نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

المتوفى ٧٣٣ هـ

١٧ - ١٨

تحقيق

الأستاذ علي محمد هاشم

الأستاذ عبد المجيد ترحيني

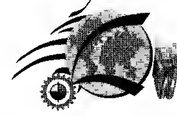
منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3883-9



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه التوفيق والإعانة

ذكرُ غزوات رسول الله ﷺ وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تُذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات

كانت غزوات رسولِ اللّهِ ﷺ التي حضرها بنفسه سبعاً وعشرين غَزاة، كلّها بعد هجرته ﷺ إلى المدينة وهي:

غزوة الأبْواء، وهي غزوة وَدَّان، ثم غزوة بُواط، ثم غزوة بدْر الأولى، ثم غزوة ذي العُشَيْرة، ثم غزوة بدْرِ الكبرى، ثم غزوة بني قَيْنُقاع، ثم غزوة السَّوِيق، ثم غزوة قَرْقَرة الكُدْر، وهي غزوة بني سُلَيْم، ثم غزوة غَطَفان إلى نجد، وهي غزوة ذي أَمَر[1]، ثم غزوة بني سُلَيم بِنجْران، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حَمْراء الأسدِ، ثم غزوة بني النَّضير، ثم غزوة بَدْر الموعِد[2] ثم غزوة ذاتِ الرِّقاع، ثم غزوة دُومة الجَنْدل، ثم غزوة بني المصْطَلِق بالمُرَيْسيع، ثم غزوة الخَنْدق، وهي غزوة الأحزاب، ثم غزوة بني قُرَيْظة، ثم غزوة بني لحْيان، ثم غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة الحُدَيْبِيَة، ثم غزوة خَيْبَرَ، ثم غزوة الفَتح، ثم غزوة حُنين، ثم غزوة الطّائف، ثم غزوة تَبُوك؛ ومنهم من عدّ عُمْرة القضَاء مع الغزوات، وكانت بعد خَيْبر وقبل الفتْح.

قاتل رسول الله ﷺ من هذه الغزوات في تسع، وهي: بدر الكُبرى، وأُحُد، والخَنْدق، وقُرَيْظة والمصْطَلِق، وخَيْبَر، وحُنَين، والطّائف؛ وقيل: إنه قاتل في بني النَّضير، والغابَة.

---

(١) ذو أمر: موضع بناحية النخيل بنجد من ديار غطفان.

(٢) غزوة بدر الموعد: هي بدر الآخرة، وسميت بذلك للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أحد.

وسَراياه ﷺ نحو من ستين سريّة[١].

ذكر أوّل لِواء عقده ﷺ

كان أوّلُ لواء عَقَده رسولُ الله ﷺ لعمِّه حمزة[٢] بن عبد المطلب في شهر رَمضان على رأس سبعة أشهر من مُهاجَرِه لواءً أبيض، حمله أبو مَرْثَد كَنّاز بن الحُصَين الغَنَويّ[٣]، حليف حمزة، وبعثه رسولُ الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يَعْتَرِضُ لعِير قريش وقد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام[٤] في ثلثمائة رجل، فبلغوا سِيف[٥] البحر من ناحية العِيص[٦]، فالتَقوا، وصفّوا للقتال، فمشى مجديّ بن عمرو الجهنيّ، وكان موادعاً[٧] للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرة، وإلى هؤلاء مرة، حتى حَجز بينهم.

ذكر سرية عُبَيدةَ بن الحارث بن المطّلب[٨] إلى بطْن رابغ

بعثه رسول الله ﷺ في شوّال على رأس ثمانية أشهر من مُهاجَرِه في ستين رجلاً

---

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه غزوة، وما لم يحضره، بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو، سرية وبعثاً. (راجع كتاب المغازي من كتاب المواهب اللدنية ١ : ٤٦٧).

(٢) حمزة بن عبد المطلب: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش (٥٤ ق هـ ـ ٣ هـ = ٥٥٦ ـ ٦٢٥ م) عم النبي ﷺ وأحد صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكة... ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي ﷺ... فقصده الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عزّ محمد وأن حمزة سيمنعه... هاجر مع النبي ﷺ وحضر وقعة بدر وغيرها. قتل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة. (الأعلام: ٢ : ٢٧٨).

(٣) كنّاز بن الحصين الغنوي: كناز بن الحصين بن يربوع الغنوي، أبو مرثد (٠٠٠ ـ ١٢ هـ = ... ـ ٦٣٣ م) صحابي من السابقين إلى الإسلام، كان ترباً لحمزة بن عبد المطلب. شهد بدراً والخندق وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة. وهو ابن ٦٦ سنة (الأعلام: ٥ : ٢٣٤).

(٤) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (... ـ ٢ هـ = ... ـ ٦٢٤ م) أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له «أبو الحكم»، فدعاه المسلمون «أبا جهل»، استمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين فكان من قتلاها (الأعلام: ٥ : ٨٧).

(٥) سيف البحر: ساحله.

(٦) العيص: موضع بناحية ذي المروة على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام.

(٧) موادعاً: مسالماً، مهادناً.

(٨) عبيدة بن الحارث: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث (٦٢ ق هـ ـ ٢ هـ = =

من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وعقد له لواء أبيض، حمله مِسْطَح بن أُثاثة بن المطّلب بن عبد مناف. حكاه محمد بن سعد. قال ابن إسحاق: أو ثمانين رجلاً من المهاجرين، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثَنِيَّة المَرَةِ، فلَقِيَ به جمعاً عظيماً من قريش.

قال الشيخ شرف الدين الدمياطيّ[١] رحمه الله: فلقي أبا سفيانَ بن حرب[٢]، وهو في مائتين على ماء يقال له أحْياء، من بطن رابغ على عشرة أميال من الجُحفة، فكان بينهم الرّميُ ولم يسُلّوا السيوف، ولم يصطفّوا للقتال، وكان سعد بن أبي وقّاص[٣] أوّل من رمَى بسهْم في سبيل الله، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم[٤]؛ وكان على القوم عِكرِمةُ بن أبي جهل. وقال أبو محمد بن هشام: كان عليهم مِكْرَز بن حفْص بن الأَخْيَف.

قال ابن إسحاق: وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقدادُ بن عمرو البَهْرَانيّ حلِيفُ بني زُهْرة، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر المازنيّ حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمَيْن، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصّلا[٥] بهم.

وقدّم ابن إسحاق هذه السّريّة على سرِية حمزة.

ذكر سَريّة سعد بن أبي وقّاص إلى الخَرّار[٦]

بعثه رسول الله ﷺ في ذي القعدة على رأس تسعةِ أشهر من مُهاجَرِه في عشرين

= ٥٦٢ ـ ٦٢٤ م) من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة وأسلم قبول دخول النبي ﷺ دار الأرقم وعقد له النبي ﷺ ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة. شهد بدراً وقتل فيها. (الأعلام: ٤: ١٩٨).

(١) شرف الدين الدمياطي: عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أبو محمد، شرف الدين: (٦١٣ ـ ٧٠٥ هـ = ١٢١٧ ـ ١٣٠٦ م) حافظ للحديث من أكابر الشافعية، ولد بدمياط وتنقل في البلاد؛ وتوفي فجأة في القاهرة. (الأعلام: ٤: ١٦٩).

(٢) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٥٧ ق هـ ـ ٣١ هـ = ٥٦٧ ـ ٦٥٢ م) صحابي من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. أسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ). توفي بالمدينة، وقيل بالشام. (الأعلام: ٣: ٢٠١).

(٣) سعد بن أبي وقاص: آخر العشرة المبشرين بالجنة، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على خلاف.

(٤) حاميتهم: وجههم.

(٥) ليتوصلا: ليتمكنا من الوصول حيث جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين.

(٦) الخرار: موضع بالحجاز.

رجلاً من المهاجرين، وعقد له لواء أبيضَ حمله المِقداد بن عمرو البهْرانيّ، وساروا يعترضون لِعير قريش، وعهِد إليه رسول الله ﷺ ألاّ يُجاوزَ الخرّار.

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمُن النهار ونسير الليل، حتى صبّحناها صبحَ خمس، فنجد العير قد مرّت بالأمس.

ذكر غزوة الأَبْواء(١) وهي غزوة وَدّان(٢) وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوةُ أول غَزَاة غزاها رسولُ الله ﷺ بنفسه، وكانت في صفَر على رأس اثني عشر شهراً من مُهاجَره، وحملَ لواءَه حمزةُ بن عبد المطلب، وكان أبيضَ، واستخلف على المدينة سعدَ بن عُبادة(٣)، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاريّ حتى بلغ الأبواء يعترض لعير قريش، فلم يلقَ كيداً.

وفي هذه الغزاة وادعَ مَخْشِيَّ بن عمرو الضَّمْرِيّ، وكان سيِّدَهم في زمانه، على ألاّ يغزو بني ضَمْرَة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً.

وكانت غيبتُه ﷺ خمسَ عشرةَ ليلة.

ذكر غزوة بُواط

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل على رأس ثلاثةَ عشرَ شهراً من مُهاجرِه وحمل لواءَه سعد بن أبي وقّاص وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن مُعاذ(٤). وقال ابن هشام: استعمل عليها السائبَ بن عثمان بن مَظْعون. وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لعير قريش، فيها أُمَيَّة بن خلف الجُمحيّ ومائة رجل من

---

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفا مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

(٢) ودان: قرية جامعة من نواحي الفرع على طريق الحاج.

(٣) سعد بن عُبادة: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت (. . . ـ ١٤ هـ = . . . ـ ٦٣٥ م) صحابي من أهل المدينة كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد أحداً والخندق وغيرهما. ولما توفي رسول الله ﷺ طمع بالخلافة ولم يبايع أبا بكر. ولم يلبث أن خرج إلى الشام مهاجراً فمات بحوران. (الأعلام: ٣: ٨٥).

(٤) سعد بن مُعاذ: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس، الأوسي الأنصاري (. . . ـ ٥ هـ = . . . ـ ٦٢٦ م) صحابي من الأبطال، من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحداً، فكان ممن ثبت فيها. رمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي ﷺ. (الأعلام: ٣: ٨٨).

قريش وألف وخمسمائة بعير، فبلغ بُواطاً، وهي من جبال جُهَينة من ناحية رَضْوَى، وهي قريب من ذي خُشُب مما يلي طريق الشام، وبين بُواط والمدينة نحوٌ من أربعة بُرُد، فلم يلْق كيداً، فرجع ﷺ.

ذكر غزوة بدر الأُولى

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثةَ عشرَ شهراً من مُهاجَرِه، لطلب كَرْز بن جابر الفِهْرِيّ[(١)]، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وكان أبيضَ، واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة[(٢)]، وكان كرز قد أغار على سَرْح[(٣)] المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجَماء[(٤)]، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سَفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يلحقه، فرجع إلى المدينة.

ذكر غزوة ذي العُشَيرة

العُشَيرة بالشين المعجمة، وقيل: بالسين المهملة، وقيل: العُشَيرا بالألف.

غزاها رسول الله ﷺ في جمادي الآخرة، على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجَرِه، وحمل لواءَه حمزةُ بن عبد المطلب، وكان أبيضَ، واستخلف على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسَد المخزوميّ.

وخرج في خمسين ومائة، ويقال في مائتين من المهاجرين ممن انتَدَب، ولم يُكرِه أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعْتقِبونها[(٥)]، وخرج يعترض لعير قريش حين ابتدأت إلى الشام، فبلغ ذا العُشَيرة، وهي لبني مُدْلج بناحية يَنْبُع، فوجد العيرَ التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام، وهي العير التي خرج أيضاً يُريدُها حين رجعت من الشام، فكانت فيها وقعةُ بدر الكبرى.

---

(١) كرز بن جابر الفهري: كرز بن جابر بن حسيل، ويقال ابن حسيل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب. الفهري. . . أسلم بعد الهجرة. وحسن إسلامه. وقتل كرز يوم الفتح وذلك سنة ثمان من الهجرة في رمضان. (الاستيعاب، هامش الإصابة في تمييز الصحابة، ٣: ٣١٠).

(٢) زيد بن حارثة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة. أسر وهو غلام يفعة، وأتي به إلى سوق عكاظ، فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة رقم الترجمة ٢٨٩٠).

(٣) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

(٤) الجمّاء: موضع على ثلاثة أميال من المدينة (اللسان: جمم).

(٥) يعتقبونها: يتناوبون ركوبها.

وفي هذه الغزاة وادَعَ رسول الله ﷺ بني مُدْلج وحلفاءَهم من بني ضَمْرة. وفيها كَنَّى رسولُ الله ﷺ علياً رضي الله عنه أبا تُراب[١]، وقيل في غيرها.

ذكر سريّة عبدِ الله بن جَحْش[٢] الأَسَدي إلى نَخْلة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مُهاجَرِه في اثني عشر رجلاً من المهاجرين. كل اثنين يعتقِبان بعيراً.

قال ابن إسحاق: وكتب له رسول الله ﷺ كِتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ويمضي لما أمره به، ولا يستكرِه أحداً من أصحابه.

قال: وكان معه أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن ربيعة، وعُكَّاشة بن مِحْصَن، وعُتبة بن غَزْوان بن جابر، وسعد بنُ أبي وقّاص، وعامرُ بن ربيعة، وواقدُ بن عبد الله التَّمِيميّ، وخالدُ بن البُكَيْر أحد بني سعد بن لَيث، وسُهَيْلُ بن بَيضاء. هؤلاء الذين عدّهم ابن إسحاق؛ وكان معهم المِقدادُ بنُ عمرو، حكاه محمد بن سعد.

قال ابن إسحاق: فلما سار عبدُ الله بن جحش يومين فتح الكتابَ فإذا فيه: «إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلة، بين مكة والطائف، فترصَّدْ بها قريشاً، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم». فلما نظر عبد الله في الكتاب قال: سَمْعٌ وطاعةٌ. ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم: قد نهاني رسول الله ﷺ أن أستكرهَ أحداً منكم، فمن كان يريد الشّهادة ويرغب فيها فلْيَنطَلِقْ، ومن كره ذلك فليرجعْ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضوْا كلُّهم، وسلك على الحجازِ حتى إذا كان بمَعْدن[٣] فوقَ الفُرُع يقال له بَحْران، أضلّ سعدُ بن أبي وقّاص وعُتبة بن غَزْوان بعيرَهما، فتخلّفا في طلبه، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيباً وأَدَماً[٤] وتجارة من تجارة قريش ـ قال ابن سعد: وخمراً ـ وفيها عمرو بن الحضْرميّ، وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة، وأخوه نَوْفل، والحكَم بن كَيْسان مولى هشام بن المُغيرة.

---

(١) قال السهيلي: في الروض الأنف: ٣: ٥٨، إن أصح الأقوال في تكنية علي بأبي تراب ما رواه البخاري في جامعه وهو: أن رسول الله ﷺ وجده في المسجد نائماً وقد ترب جنبه، فجعل يحث التراب عن جنبه، ويقول: قم أبا تراب. وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة.

(٢) عبد الله بن جحش: حليف لبني عبد شمس، أو لحرب بن أمية، وهو من المهاجرين الأولين، مات يوم أحد، ومثّل به، ودفن مع حمزة في قبر واحد. انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٤.

(٣) المعدن: المكان الذي يقيم فيه سكانه بشكل دائم، صيفاً وشتاءً (اللسان: عدن).

(٤) الأدم: الجلد.

فلما رآهم القوم هابوهم؛ وكان عُكّاشة حلَق رأسه ليطمئن القومُ[١]، فأَمِنوا.

وقال[٢] لهم عثمان: لا بأس عليكم منهم. قال: فسرّحوا ركابَهم، وصنعوا طعاماً. قال: فتشاور القوم فيهم، وذلك آخر يوم من شهر رجب فقالوا: والله لئن تركْتموهم في هذه الليلة ليدخُلُنّ الحرمَ فليمتَنعُنّ منكم به، وإن قتلتموهم لتَقْتُلُنَّهم في الشهر الحرام. فتردّد القوم وهابوا الإقدامَ عليهم، ثم شجّعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قَدروا عليه منهم وأخذِ ما معهم، فخرج واقِد، بن عبد الله يقدمُ المسلمين، فرمَى عَمرو بن الحضرميّ بسهم فقتله، واستأسر عثمانَ بن عبد الله، والحكَم بن كَيْسان، وأفلتَ نوْفَل بن عبد الله فأعجزهم. وأقبل عبد الله وأصحابُه بالعير والأسيرَيْنِ حتى قدِموا على رسول الله ﷺ.

فلما قدموا عليه قال: ما أمرتُكم بقتال في الشهر الحرام. ووقّف[٣] العِيرَ والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً؛ فأُسقِط[٤] في يَدِ القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنَّفهم المسلمون فيما صنعوا.

وقالت قريش: قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدّم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا الرجال؛ وأكثرَ الناسُ في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم «والفتنة أكبر من القتل» أي قد كانوا يفتِنون المسلمين في دينهم حتى يردّوهم إلى الكفر بعد إيمانهم، فذاك أكبرُ عند الله من القتْل.

قال: فلما نزلت الآياتُ قبض رسول الله ﷺ العيرَ والأسيرَيْن، وبعثتْ إليه قريش في فدائهما، فقال: لا، حتى يقدِمَ صاحبانا، يعني سعد بن أبي وقّاص، وعُتْبة بن غَزْوان، فإنّا نخْشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتُلْ صاحبيْكم. فقدِم سعد وعُتْبة، فأفداهما رسول الله ﷺ.

فأما الحَكَم بن كَيْسان فأسلمَ وحسُن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتِل

(١) انظر شرح المواهب: ١ : ٤٧٩.

(٢) في طبقات ابن سعد: ٢ : ٥ : «وقالوا هم عمار».

(٣) وقّف: لم يحتفظ.

(٤) أسقط في يد القوم: «زلوا وأخطؤوا وندموا وتحيروا».

يوم بئر مَعُونة[١] شهيداً، وأما عثمان فلحِق بمكة، فكان بها حتى مات كافراً.

قال: فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابِه ما كانوا فيه طمِعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطَى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨]، قال: وقسم رسول الله ﷺ الفَيْءَ فجعل أربعة أخماسه لمَنْ أفاءه، وخُمسه إلى الله ورسوله.

قال ابن هشام: وهي أوّل غنيمة غنِمها المسلمون، وعمرو بن الحضْرمِيّ أولُ من قَتَل المسلمون، وعثمانَ والحكَم أول من أسرَ المسلمون. وفي هذه السريّة سُمي عبدُ الله بن جَحْش أميرَ المؤمنين.

وقال عبد الله بن جحش في هذه الواقعة، ويقال إنها لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه؛ والذي صحّحه ابن هشام أنها لعبد اللّهِ بن جحش، أبياتاً يخاطب بها قريشاً: [من الطويل]

تَعُدُّون قتلاً في الحرام عظيمةً ... وأعظَمُ منه لو يَرى الرُّشد راشِدُ
صُدودُكم عمّا يقول محمدٌ ... وكُفرٌ به واللّهُ راءٍ وشاهدُ
وإخراجكُمْ مِن مسجد الله أهلَهُ ... لئلاَّ يُرى لِلّهِ في البيت ساجدُ
فإنَّا وإنْ عيَّرتُمونا بقتلِه ... وأرْجَف بالإسلام باغٍ وحاسدُ[٢]
سَقَينا مِنِ ابنِ الحَضْرمِيّ رماحَنا ... بنخلةَ لمّا أوقد الحربَ واقدُ[٣]
دماً وابنُ عبدِ الله عثمانُ بيننا ... يُنازعه غُلٌ من القِدّ عاندُ[٤]

ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتّصِل بها[٥]

كان سبب هذه الغزوة أن رسولَ الله ﷺ سمع بإقبال أبي سُفيان بن حرْب من

---

(١) بئر معونة: المكان الذي توجهت إليه سرية المنذر بن عمر الساعدي.
(٢) أرجف: تقوّل. اختلق.
(٣) الحضرمي: المقصود: عمرو بن الحضرمي.
(٤) القد: شرك يقطع من الجلد. وفي شرح المواهب: ١: ٤٨١ «عاقد».
(٥) وتسمى هذه الغزوة أيضاً غزوة بدر العظمى، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر قرية بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة، وقيل: ماء مشهور أسفل وادي الصفراء، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد. وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. راجع: شرح المواهب اللدنية: ١: ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

الشام في العير التي لقريش، وهي التي خرج إليها في غزوة ذي العُشَيرة، وكان فيها أموالُ قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون أو أربعون، منهم مَخْرَمة بن نَوْفل، وعمرو بن العاص[١] بن وائل، فندبَ رسولُ الله ﷺ المسلمين إليهم، وقال: هذه عِير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعلّ الله يُنْفِلكُمُوها[٢]، فانتدب الناسُ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعض.

وكان أبو سفيانَ حين دنا من الحجاز يتَحسّس[٣] الأخبار، ويسأل من لقي من الرّكبان عن أمر رسول الله ﷺ تخوّفاً على ما معه؛ فأخبره بعض الركبان: أن رسول الله ﷺ قد استنفرَ أصحابَه لقصده، فحذِر عند ذلك، واستأجر ضَمْضَم بن عمرو الغِفَاريّ؛ فبعثه إلى مكة وأمره أن يستنفر قريشاً إلى أموالهم، ويخبرَهم أن محمداً قد عرَض لها في أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة.

ذِكر رؤيا عاتِكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عبّاس، وعُروة بن الزبير[٤] رضي الله عنهم.

قالا: ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضَمضَم مكة بثلاث رؤيا أفزعتها، فبعثتْ إلى أخيها العباس، فقالت له: والله لقد رأيت رؤيا أفظعتْني وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرًا أو مصِيبة؟ فاكتم عني ما أحدّثك به، قال: وما رأيتِ؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح[٥]، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدُر[٦]! لمصَارِعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا، ثم دخل المسجدَ

---

(١) عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله فاتح مصر. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية. وهو أحد دهاة العرب (٥٠ ق هـ ٤٣ هـ = ٥٧٤ ـ ٦٦٤ م) انظر: (الأعلام: ٥: ٧٩).

(٢) ينفلكموها: يمكنكم منها.

(٣) يتحسس: يتسمع بنفسه.

(٤) عروة بن الزبير: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله (٢٢ ـ ٩٣ هـ = ٦٤٣ ـ ٧١٢ م) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيءٍ من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر، فتزوج وأقام بها سبع سنين وعاد إلى المدينة فتوفي فيها. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. و«بئر عروة» بالمدينة منسوبة إليه. (الأعلام: ٤: ٢٢٦).

(٥) الأبطح: مسيل واسع فيه دقيق الحصى.

(٦) في اللسان: غدر معدول عن غادر للمبالغة، ويقال للذكر: غدر، والأنثى غدار، وهما مختصان بالنداء في الغالب، وقد ضبطه السهيلي بضم الغين والدال (راجع الروض الأنف: ٢: ٦١).

والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مَثَل به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدَر! لمصَارِعكم في ثلاث، ثم مثَل به بعيرُه على رأس أبي قُبَيس[١] فصرخَ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها مكة فلا دارٌ منها إلا دخلتها منها فِلْقة؛ قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنتِ فاكتميها.

ثم خرج العباس فلقي الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة[٢]، وكان صديقاً له؛ فذكرَها له واستكْتَمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة؛ ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريش.

قال العباس: فغدوْت لأطوفَ بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعُود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغتَ من طوافك فأْت إلينا، فلما فرغتُ أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حَدثَتْ فيكم هذه النبيّة؟ قلتُ: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، فقلت: وما رأت؟ فقال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبّأ رِجالكم حتى تتنبأ نساؤكم! فقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتبْ عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب؛ قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبيرٌ إلا أنّي جحدْت ذلك وأنكرتُ أن تكون رأتْ شيئاً، قال: ثم تفرّقنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررْتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساءَ وأنتَ تسمع؛ ثم لم تكن عندك غِيرة لشيء مما سمعت! قال: قلت: قد والله فعلتُ، ما كان منّي إليه من كبير؛ وأيمُ الله لأتعرّضنّ له، فإن عاد لأكفِيَنّكُنّه.

قال: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديدٌ[٣] مُغضَب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيتُه، فوالله إني لأمشي نحوَه أتعرضُ له ليعود لبعض ما قال، فأُوقِعَ به، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد[٤]، فقلت في نفسي: ما له لعنه الله! أكلُّ هذا فرَق[٥] مني أن أشاتمه! وإذا هو قد سمع ما لم

---

(١) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة.

(٢) الوليد بن عتبة: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي (. . . ـ ٦٤ هـ = . . . ـ ٦٨٤ م) أمير من رجالات بني أمية، ولي المدينة (سنة ٥٧ هـ) في أيام معاوية. عزله يزيد (سنة ٦٠ هـ)، ثم أعاده (سنة ٦١ هـ) وثورة عبد الله بن الزبير في إبانها. . . ثم عزله يزيد وظل الوليد في المدينة. وحجّ بالناس سنة ٦٢ وتوفي بالطاعون. (انظر الأعلام: ٨: ١٢١).

(٣) حديد: من الحدة: أي الغضب.

(٤) يشتد: يعدو.

(٥) الفرق: الفزع، الخوف.

أسمع؛ صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرُخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جدّع[١] بعيره وحوّل رحله، وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللَّطِيمةَ[٢] اللّطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوْثَ الغوثَ! قال العباس: فشغلني عنه، وشغله عنّي ما جاء من الأمر.

فتجهّز الناس سِراعاً وقالوا: أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعِير ابن الحضْرَمِيّ؟ كلّا! والله ليعلمَنّ غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إمّا خارج، وإما باعث رجلاً مكانه، وأوْعَبت[٣] قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطّلب تخلّف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغِيرة، استأجره بأربعة آلاف درهم وكانت لأبي لهب عليه، فخرج عنه.

وروَى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهانيّ[٤] في كتابه المترجم بالأغاني[٥] بسند يرفعه إلى مُصعَب بن عبد الله[٦] قال: فأَمَرَ أبو لهب العاصيَ بن هشام في عشرة من الإبل فقمره[٧]، ثم في عشرة فقمَره، ثم في عشرة فقمَره، إلى أن خلعه من ماله فلم يُبق له شيئاً، فقال له: إني أرى القِداح[٨] قد حالفتْك يا بن عبد المطلب، فهل أُقامرك يا بن عبد المطلب، فأيُّنا غُلب كان عبداً لصاحبه. قال: افعل، ففعلَ، فقمَره أبو لهب فكرِه أن يسترِقَّه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم فقال: افْتَدوه مني بعشرة من الإبل، فقالوا: لا والله ولا بِوَبرَة. فاسترقّه، فكان يرعى له إبلَه إلى أن خرج المشركون إلى بدر. قال: وقال غيرُ مصعب: فاسترقه واحتبسَه قَيْناً[٩] يعمل الحديد.

---

(١) جدّع: قطع أنفه أو أذنيه.

(٢) اللطيمة: الإبل التي تحمل الطيب والبر.

(٣) أوعبت قريش: يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٤) أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ ـ ٩٦٧ م) من أئمة الأدب والأعلام، في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد بأصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه الأغاني. لم يعمل في بابه مثله جمعه في خمسين سنة. (الأعلام: ٤؛ ٢٧٨).

(٥) راجع الأغاني: ٤ : ١٧٤، طبع دار الكتب. والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا.

(٦) مصعب بن عبد الله: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله (١٥٦ ـ ٢٣٦ هـ = ٧٧٣ ـ ٨٥١ م) علامة بالأنساب غزير المعرفة بالتاريخ. كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً. وكان ثقة في الحديث شاعراً. ولد بالمدينة، وسكن بغداد وتوفي بها. (الأعلام: ٧ : ٢٤٨).

(٧) قمره: غلبه في المقامرة.

(٨) القداح: سهام المقامرة.

(٩) القين: الحداد.

فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجه أبو لهب عنه لأنه كان عليلاً، على أنه إن عاد أعتقه، فقبل العاصي.

قال ابن إسحاق: وكان أميّةُ بن خلف قد أجمعَ القُعودَ[١] وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عُقْبة بن أبي مُعَيط وهو جالس في المسجد بين قومه بِمِجْمَرَة، فوضعها بين يديه، وقال: يا أبا عليّ، استجْمِر، فإنما أنت من النساء. فقال: قَبّحَكَ الله وقبحَ ما جئت به. ثم تجَهَّز وخرج مع الناس.

قال: ولما فرغوا من جِهَازهم، وأجمعوا المسيرَ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بَكْر بن عبد مَنَاة بنِ كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا. فكادوا ينثَنون؛ فتبدّى لهم إبليس في صورة سُرَاقة بن مالك المُدْلجِيّ، وكان من أشراف كنانة، فقال: أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء مما تكرهونه فخرجوا سراعاً.

هذا ما كان من أمر قريش.

ذكْر خروج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين إلى بدر

قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمانٍ خلوْن من شهر رمضان.

وقال محمد بن سعد: خرج يوم السبت لاثنتي عشرةَ ليلة خلتْ من شهر رمضان على رأس تسعةَ عشرَ شهراً من مُهاجَرِه، واستعمل على المدينة عَمرَو ابن أم مَكْتوم، واسمه عبد الله، ليصلّي بالناس، ثم ردّ أبا لُبابةَ من الرَّوْحاء[٢] واستعمله على المدينة، وخرج ﷺ في ثلثمائة رجل وخمسةَ عشرَ رجلاً، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون، وسائرُهم من الأنصار بعد أن رَدّ من أصحابه من استصغرَهم، ولم يكن غزا بالأنصار قبلها.

قال محمد بن سعد: وتخلّفَ من أصحاب رسول الله ﷺ ثمانيةٌ لعلَّة، ضَرب لهم رسول الله ﷺ بسِهامهم وأجُورهم؛ ثلاثة من المهاجرين: وهم عثمان بن عفان، خلّفه رسول الله ﷺ على امرأته رُقيّة بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فأقام عليها حتى ماتت، وطلْحةُ بن عُبيد الله، وسَعيد بن زيد، بعثهما يتحسَّسان خبر العِير، وخمسةٌ من الأنصار، وهم: أبو لُبابة بن عبد المنذر، خلّفه على المدينة، وعاصم بن

(١) راجع (اللسان: قعد).

(٢) الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

عديّ، خلّفه على أهل العالية، والحارث بن حاطِب رده من الرَّوحاء إلى بني عمرو بن عَوْف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصِّمة، وخَوَّات بن جُبَيْر، كُسرا بالرَّوحاء.

وكانت إبِلُ أصحابِ رسول الله ﷺ يومئذٍ سبعين بعيراً يعْتَقِبونها[١]، فكان رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغنويّ يعتقبون بعيراً.

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال: كُنا يوم بدر كلّ ثلاثة على بعير، وكان أبو لُبابةَ، وعليّ، زميليْ رسول الله ﷺ، فكان إذا كانت عُقْبةُ النبي ﷺ قالا له: اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك، فيقول: «ما أنتما بأقْوى على المشي منّي، وأما أنا أغْنَى عن الأجْر منكما».

قال ابن إسحاق: وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كَبْشَة، وأنسَة مولى رسول الله ﷺ يعتقِبون بعيراً؛ وكان أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمٰن بن[٢] عوف، يعتقبون بعيراً.

قال ابن سعد: وكانت الخيل فرسيْن: فرس للمِقْداد بن عمرو[٣]، وفرس لمرْثد بن أبي مرْثَد الغنَويّ[٤]. قال ابن إسحاق: وفرس للزُّبَيْر بن العوّام[٥].

قال: ودفَع رسول الله ﷺ اللّواء إلى مُصْعَب بن عُمير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار، وكان أبيضَ، قال: وكان أمامَ رسول الله ﷺ رايتان سوْداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، والأخرى مع الأنصار.

---

(١) يعتقبونها: يتناوبون على ركوبها.

(٢) عبد الرحمٰن بن عوف: عبد الرحمٰن بن عوف بن عبد عوف، أبو محمد، الزهري القرشي (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢ م) صحابي من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. (الأعلام: ٣: ٣٢٠).

(٣) المقداد بن عمرو: المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود النهراني، وقيل: الحضرمي. وقيل كنيته أبو عمرو وقيل: أبو سعيد. أسلم قديماً، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأحداً والمشاهد بعدها. واتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان. قيل: وهو ابن سبعين سنة انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٤٥٥ رقم الترجمة ٨١٨٣).

(٤) مرثد بن أبي مرثد: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي، وكان مرثد يحمل الأسرى. استشهد في صفر سنة ثلاث في غزوة الرجيع. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٣٩٨ رقم الترجمة ٧٨٧٨).

(٥) الزبير بن العوام: ابن عمة رسول الله ﷺ، توفي سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل.

قال ابن سعد: وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوْس مع سعد بن مُعاذ، وجعل رسول الله ﷺ على السّاقة قيْسَ بن أبي صعْصعة أخا بني مازن بن النجار. قال: ولما كان رسول الله ﷺ قريباً من الصَّفْراء[١] بَعث بَسْبَسَ بنَ عمرو، وعديَّ بنَ أبي الزّغباء الجُهَنِيّيْن إلى بدر يَتحسَّسان له الأخبار عن أبي سفيان وعِيره.

ثم ارتحل ﷺ إلى ذَفران ـ وادٍ يَسارَ الصَّفراء ـ وأتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عَيرَهم، فاستشار الناسَ وأخبرهم، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسَن، ثم قام عمر فقال وأحسَن، ثم قام المِقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امضِ لما أمرك الله! فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكِنْ نقول: اذهبْ أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتِلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سِرتَ بنا إلى بَرْك الغِماد[٢] لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تبلغَه؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له.

ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس ـ وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس ـ فقال له سعد بن مُعاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجلْ؛ قال: فقد آمنّا وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحقّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقَى عدوّنا غداً، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللّقاء، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينُك، فسِر بنا على بركة الله، فقال ﷺ: «سيروا وأبشِروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتَين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

ثم ارتحل ﷺ من ذَفران[٣] حتى نزل قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابِهِ، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني مَنْ أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتَنا أخبرناك. قال: أو ذَاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدَق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي تركَ به رسول الله ﷺ أصحابَه ـ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا

---

(١) الصَّفراء: وادٍ من ناحية المدينة، كثير النخل والزرع في طريق الحاج، وبينه وبين بدر مرحلة. وقيل: قرية فوق ينبع مما يلي المدينة.

(٢) برك الغِماد: (بكسر الغين المعجمة، وقال ابن دريد: بالضم، والكسر أشهر) موضع في أقاصي أرض هجر، وقيل: موضع أقصى اليمن. وقال الهمذاني: موضع بالحبشة.

(٣) ذَفران: وادٍ قرب وادي الصفراء.

وكذا، فإذا كان الذي أخبرني صدَقَني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به قريش ـ ثم قال: من أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نحن من ماء». ويقال: إن الشيخَ سُفيان الضَّمْريّ قال: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسَى بعث عليَّ بن أبي طالب، والزُّبَير بن العوّام، وسعد بن أبي وقّاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر، فأصابوا راوية[1] لقريش فيها أسْلَم، غلام بني الحجاج، وعَرِيض أبو يَسار، غلام بني العاص، فأتوا بهما؛ فسألهما رسول الله ﷺ عن قريش، فقالا: هم وراء هذا الكثِيب الذي تَرَى بالعُدْوة القُصْوى، فقال لهما: كم القوم؟ قالا: كثير؛ قال: ما عِدّتهم؟ قالا: لا ندري. قال: كم ينحرونَ كل يوم؟ قالا: تسعاً، ويوماً عشراً؛ فقال رسول الله ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فمَن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وحَكِيم بن حِزام، ونوْفل بن خُوَيْلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنصر بن الحارث، وزَمْعَة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُميَّة بن خلف، ونُبَيْه ومُنبِّه ابنا الحجاج، وسُهَيْل بن عمرو، وعمرو بن عَبْدِ وُدّ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقَتْ أفلاذ كبِدها.

قال: وبلغ أبا سفيان الخبرُ بمقدَم رسول الله ﷺ، وقد ورد ماء بدر، فرجع إلى أصحابه سريعاً وصرفَ وجهَ عِيره عن الطريق، فساحل بها[2]، وترك بدراً يسارَه، وانطلق. وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحْفَةَ[3]، ورأى جُهَيْم بن الصَّلْت مَخْرَمة بن عبد المطلب رؤيا فقال: إنّي فيما يرى النائم، أو إني لبين النائم والْيقظان، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف، ومعه بعيرٌ له، ثم قال: قُتل عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبَةُ ابن ربيعة، وأبو الحَكَم بنُ هِشام، وأمية بنُ خَلَف، وفلانٌ وفلان، فعدد رجالاً مِمَّنْ كان قُتِل يوم بدر من أشرافِ قريش، ورأيته ضرب في لَبَّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ[4] من دمه.

قال: فبلغتْ أبا جهل بن هشام فقال: وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني عبد المطلب! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيرَه أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم

---

(١) الراوية: الإبل التي يستقى عليها الماء.
(٢) ساحل بها: أي أخذ بها جهة الساحل.
(٣) الجُحفة: قرية على ثلاث أو أربع مراحل من مكة.
(٤) النضح: الرّش.

لتمنعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم، فقد نجّاها الله فارجعوا! فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرِد بدراً، ـ وكان بدرٌ موسِماً من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق في كل عام، ـ فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجَزور، ونُطعَم الطعام، ونُسقَى الخمر، وتعزفَ علينا القيان[١]، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعِنا، فلا يزالونَ يهابوننا أبداً بعدها، فامضُوا.

فمضت قريش حتى نزلوا العُدْوَةَ[٢] القُصْوَى من الوادي، والقُلُب[٣] ببدر في العدوة[٤] الدنيا؛ قال: وبعث الله السماء، وكان الوادي دَهْساً[٥]، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبَّد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير.

وقال ابن سعد: كان المسلمون يومئذٍ يَميدون من النعاس ونزلوا على كَثِيبٍ[٦] أهْيَل، فمَطَرت السماءُ فصار مثلَ الصَّفا[٧] يسعَوْن عليه سعياً. وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَاكُمُ[٨] ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن إسحاق: وأصابَ قريشاً منها ما لم يَقدِروا على أن يرتَحِلُوا معه، فخرج رسولُ الله ﷺ يبادِرُهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من ماء بدر نزل به، فأتاه الحُبَابُ بن المنذر بن الجَمُوح فقال: يا رسول الله، هذا المنزلُ منزلٌ أنزلَكه اللَّهُ، ليس لنا أن نتقدّمه، ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل الرأيُ والحربُ والمكيدةُ». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من القوم فتنزلَه، ثم نُعَوّر[٩] ما وراءه من القُلُب، ثم نبتني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي»، فنهض بالناس وسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم، نزل عليه؛ ثم أمر بالقلُب فعُوّرت، وبنى حوضاً على القَليب الذي نزل عليه، فمُلىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

---

(١) القيان: الجواري المغنيات.
(٢) العدوة القصوى: أي جانب الوادي القريب من مكة.
(٣) القُلُب: جمع قليب، وهو البئر.
(٤) العدوة الدنيا: أي بالجانب الأدنى من المدينة.
(٥) الدهس: كل مكان سهل، ليس برملٍ ولا تراب.
(٦) كثيب أهيل: أي: رمل سائل.
(٧) الصفا: الحجارة الصلدة.
(٨) في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو.
(٩) نُعَوِّر القُلُب: ندفنها.

فقال سعد بن معاذ: يا نبيّ الله، نبْتَنِي لك عَرِيشاً[١] تكون فيه، وتكون عندك ركائبك، ثم نلقَى عدوّنا، فإن أعزّنا الله وأظْهَرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك، فلحِقْت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ لك حُبًّا منهم، ولو ظنّوا أن نلقَى حرباً ما تخلّفوا عنك، يمنعُك الله بهم يُناصِحونك ويجاهدون معك؛ فأثنى رسول الله ﷺ عليه خيراً، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريشٌ، فكان فيه.

قال: وارتحلت قريش حين أصبحتْ فأقبلت، فلمّا رآها رسول الله ﷺ قال: «اللّهُمَّ هذه قريشٌ قد أقبلت بخُيَلائها[٢] وفَخْرها، تُحادّك[٣] وتكذب رسولَك، اللهم فنصْرَك الذي وعَدتَني، اللهم أَحِنْهم[٤] الغداة».

قال ابن سعد: كانت قريش تسعمَائة وخمسين، وخيلُهم مائةَ فرس، وكان لهم ثلاثةُ ألوية؛ لواء مع أبي عَزيز بن عُمير، ولواء مع النَّضْرِ بن الحارث، ولواء مع طلحةَ بن أبي طلحة.

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يَسار وغيره، عن أشْياخ من الأنصار، قال: لما اطمأنَّ القوم بعثوا عُمير بن وهب الجُمَحيّ فقالوا: احزُر[٥] لنا أصحاب محمد، فجالَ بفرسه حول العَسْكَر؛ ثم رجع إليهم، فقال: ثلثمائة رجل يَزيدون قليلاً أو يَنقُصُونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر، ألِلْقَوم كَمينٌ أو مَدد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعَد، فلم يَرَ شيئاً؛ فرجع إليهم، فقال: ما رأيتُ شيئاً، ولكني رأيتُ يا معشرَ قريش البَلايا[٦] تحمِل المنَايا، نواضح[٧] يَثرِبَ تحمل الموتَ الناقِعَ[٨]، قوم ليس معهم مَنَعَة ولا ملجأ إلا سيوفُهم تَروْنهم خُرْصاً لا يتكلّمون، يتلَمَّظون[٩] تَلمُّظ الأفاعي؛ واللّهِ ما أَرَى أن يُقتَل رجلٌ منهم حتى يُقتَل رجلٌ منكم، فإذا أصابوا منكم

---

(١) العريش: شبه الخيمة، يستظل به.
(٢) الخيلاء: الكبر والإعجاب.
(٣) تحادك: تعاديك.
(٤) أحنهم: أهلكهم.
(٥) الحزر: التقدير بالحدس والظن.
(٦) البلايا: جمع بلية، وهي الناقة، تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت. وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول: إن صاحبها يحشر عليها.
(٧) النواضح: الإبل التي يستسقى عليها.
(٨) الناقع: الثابت البالغ في الإفناء.
(٩) يتلمظون: تلمظت الحية: إذا أخرجت لسانها (اللسان: لمظ).

أعْدادَهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فرَوْا رأيَكم.

فلما سمع حَكِيم بن حِزام ذلك مشى في الناس؛ فأتى عُتبَةَ بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش وسيّدها، والمطاعُ فيها، هل لك ألاّ تزال تُذكَر منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرجعُ بالناس وتحملُ أمرَ حليفِك عمرو بن الحَضْرَمِيّ. قال: قد فعلتُ، عليّ عَقْله[1]؛ فأتِ ابنَ الحَنظَليّة، يعني أبا جهل بن هشام، قال: فأتيته فقلتُ: يا أبا الحكم، قد أرسلني إليك عُتبة بكذا وكذا، فقال: انتفخ واللّهِ سَحْره[2] حين رأى محمداً وأصحابَه، كلا والله لا نَرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، ثم بعثَ إلى عامر بنِ الحضرمي فقال: هذا حليفُك يريد أن يَرجع بالناس، وقد رأيتَ ثأرَك بعينِك، فقم فانشُد خُفرَتك[3]، ومَقْتَلَ أخيك، فقام عامر فاكتشف[4] ثم صرَخ: واعَمْراه، واعَمْراه! فحميت الحرب وحَقِب[5] أمر الناس، واستوْسقوا[6] على ما هم عليه من الشر. قال: فخرج الأسودُ بن عبد الأسد المخزوميّ، وكان رجلاً شرساً سيِّءَ الخُلق، فقال: أُعاهد اللّهَ لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه، أو أموتَنّ دونَه، فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ[7] قدمَه بنصفِ ساقه، وهو دونَ الحوض، فوقع على ظهره، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يُبرّ يمينه، وأتْبعه حمزة فضربه حتى قتله. ثم خرج بعده عتبةُ بنُ ربيعة، بين أخيه شَيْبة بن رَبيعة، وابنِه الوليد بن عتبة، حتى إذا بَرَز من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه ثلاثةٌ من الأنصار، وهم: عَوْف ومُعَوِّذ ابنا الحارث، وعبدُ الله بن رَواحة، فقالوا: مَن أنتم؟ فقالوا: رَهْطٌ من الأنصار؛ قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمدُ، أَخرِج إلينا أكفاءَنا من قومنا، فأخرج لهم رسولُ الله ﷺ عمّه حمزةَ بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، وعِبيدةَ بن الحارث، فلما دَنَوا منهم قالوا: مَنْ أنتم؟ فسمَّى كل رجل منهم نفسه، قالوا: نعَم أكفَاء كِرام؛ فبارز عبيدةُ ـ وكان أسنَّ القوم ـ عتبةَ، وبارز حمزة شيبَة، وبارز عليّ الوليدَ بن عتبة، فأما حمزةُ وعليّ فإنهما لم يُمهلا مُبارزَيْهما أَن قتلاهما، واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضربتين كلاهما

(١) عقله: ديته.
(٢) انتفخ سحره: يقال: للجبان الذي ملأ الخوف جوفه، والسحر: الرئة.
(٣) انشد خُفرتك: أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك، لأنه كان حليفاً لهم وجاراً.
(٤) اكتشف: تعرى من ثيابه. وفي الطبقات: «فكشف عامر وحثا على استه التراب».
(٥) حَقب: اشتد.
(٦) استوسقوا: اجتمعوا.
(٧) أطنّ: أطار.

أَثْبَت[١] صاحبه، وكَرَّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فَذَفَّفا[٢] عليه، واحتملا صاحبَهما فحازاه[٣] إلى أصحابه.

قال محمد بن سعد: وفي عُبيدةَ وعُتبةَ نزل قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]. قال: ثم زحَف الناس ودنا بعضُهم من بعض.

وكانت وقعةُ بدر يومَ الجمعة صَبيحةَ سَبْعَ عَشرةَ من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة.

وعدّل رسول الله ﷺ الصّفوفَ، ورجع إلى العَريش، فدخَلَه هو وأبو بكر الصدّيق ليس معه غيرُه فيه، وهو ﷺ يناشد ربه[٤] ما وعدَه من النصر، ويقولُ فيما يقول: اللهمّ إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ اليومَ لا تُعبد، وأبو بكر يقول: يا نبيّ الله، بعضَ مناشدتِك ربّك، فإن الله مُنجزُك ما وعدَك. وخَفقَ[٥] رسول الله ﷺ خَفْقةً ثم انتبه، فقال: أَبْشِر يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله، هذا جبريل آخذٌ بعِنان فرسِه يقودُه، على ثناياه النَّقع[٦].

قال ابن إسحاق: ورُمِي مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل، وكان أولَ قتيل قُتل من المسلمين، ثم رُمي حارثةُ بن سُراقة، أحدُ بني عَدِيّ بن النجّار، وهو يشربُ في الحوض بسهم، فأصاب نَحْرَه، فقُتِل.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس يُحرِّضُهم، وقال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يقاتلُهم اليومَ رجل فيقتَلُ صابراً محتسِباً مُقبِلاً غيرَ مُدبر، إلا أدخله الله الجنة»، فقال عُمير بن الحُمام أخو بني سَلمة، وفي يده تمراتٌ يأكلهُن: بَخ بَخ[٧]! أفما بيني وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التَّمرات من يدِه، وأخذ سيفَه وقاتل حتى قُتِل.

وقال عَوْفُ بن الحارث ـ وهو ابنُ عَفراء ـ يا رسول الله: ما يُضحِك[٨] الربَّ من

---

(١) أثبت صاحبه: جرحه جراحة لم يقم معها.
(٢) ذففا عليه: أسرعا قتله.
(٣) حازاه: سارا به في رفق.
(٤) يناشد ربه: يسأله ويرغب إليه.
(٥) خفق: نام نوماً يسيراً.
(٦) النقع: الغبار.
(٧) بخ: كلمة تقال في موضع الإعجاب.
(٨) يضحك الرب: يرضيه غاية الرضا.

عبده؟ قال: غَمْسُه يدَه في العدوّ حاسِراً[١]. فنزع دِرْعاً كانت عليه، وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتِل.

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حَفْنة من الحَصْباء فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: شاهَت[٢] الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: شُدُّوا؛ فكانت الهزيمةُ على قريش، فقتَل الله من صناديد قريش مَن قَتل، وأسرَ مَن أسر.

قال محمد بن سعد: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥]، قلت: وأيّ جمع يُهزَم ومَن يَغلِب؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله ﷺ يَثِب في الدرع وثباً وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾، فعلمت أن الله تعالى سيَهزمهم.

قال: ولمّا وضع القومُ أيديَهم يأسرون، ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن مُعاذ قائم على باب العريش، مُتوشّح السيفَ، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كَرّة العدوّ، فرأى رسول الله ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكَراهِية لما يصنع الناس فقال له: لَكَأَنّي بك يا سعدُ تكره ما يصنعَ القوم؛ قال: أجَل: والله يا رسول الله، كانت أوّلَ وقْعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثْخان[٣] في القتل أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال.

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين.

قال محمد بن سعد: لما صَفَّ رسول الله ﷺ أصحابَه وعبّأهُم للحرب، جاءت ريح لم يُرَ مثلُها شدّة، ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى ثم ذهبت، فجاءت ريح أخرى، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن مَيْمَنَة رسول الله ﷺ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن مَيْسَرة رسول الله ﷺ، وكان سِيما[٤] الملائكة يومئذٍ عمائم قد أرخَوْها بين أكتافهم: خُضْر وصُفْر وحُمْر من نور، والصُّوف في نواصي خيلهم، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إنّ الملائكة قد سَوَّمت[٥] فسوِّموا، فأعلَموا بالصوف في مَغافرهم[٦] وقلانِسهم.

---

(١) حاسراً: مكشوفاً.
(٢) شاهت: قبحت.
(٣) الإثخان: المبالغة.
(٤) سيما: علامة.
(٥) سوَّمت: حملت علاماتها المميزة.
(٦) المغافر: المغفر: وهو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه.

قال: وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بُلْق[١].

وقال ابن إسحاق: حدّثني عبدُ الله بن أبي بكر أنه حُدِّث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدّثني رجل من بني غِفَار قال:

أقبلتُ أنا وابن عمّ لي حتى أَصعدَنا في جبل يُشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظُر الوَقْعة على من تكونُ الدائرةُ؛ ننتهب مع من ينتهب، فبينما نحنُ في الجبل إذ دَنت منّا سحابةٌ، فسمعنا فيها حَمْحَمَةَ الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقدِمْ[٢] حَيْزُوم. قال: فأمّا ابنُ عمي فانكشف قِناعُ قلبه، فمات مكانه. وأما أنا فكدت أَنْ أهلِك، ثم تَماسكْت.

وروى ابن إسحاق عن أبي أُسَيْد مالك بن ربيعة ـ وكان شهد بدراً ـ قال ـ بعد أن ذهب بصره ـ: لو كنتُ اليوم ببدر ومعي بصري لأَرَيتُكم الشِّعْب[٣] الذي خرجت منه الملائكة، لا أَشُكّ ولا أتمارى[٤].

وعن أبي داود المازِنيّ، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسُه قبل إن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت سيما الملائكة يومَ بدر عمائمَ بِيضاً قد أرسلوها في ظُهورهم، ويوم حُنَينٍ عمائمَ حُمراً، وفي حديث آخر عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بِيضاً قد أرخوْها على ظهورهم، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامةٌ صفراء.

وعن ابن عباس[٥] رضي الله عنهما، قال: لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يومِ بدر، وكانوا فيما سواه من الأيام عَدداً ومَدَداً لا يَضربون.

قال: وكان شِعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابنُ إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذٍ يرتجز وهو يقاتل ويقول:

---

(١) بُلق: لونها أسود وأبيض.

(٢) أَقدِم: كما صوبه صاحب اللسان: كلمة تزجر بها الخيل. وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

(٣) الشعب: الطريق في الجبل.

(٤) أتمارى: أشك.

(٥) عبد الله بن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ ق هـ ـ ٦٨ هـ = ٦١٩ ـ ٦٨٧ م) حبر الأمة الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ. وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف، وتوفي بها. (الأعلام: ٤: ٩٥).

ما تَنْقِم الحرب العَوان منّي بازلُ عامَين حديثٌ سنّي[١]

* لمِثْلِ هذا ولدَتْني أمّي *

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عَدوه أمَر أن يُلتَمس أبو جهل بن هشام في القتْلى، فمرّ به عبدُ الله بن مسعود، قال: فوجدته بآخر رَمق فعرفْتُه، فوضعت رجلي على عنُقه، فقال لي: لقد ارتَقيْت يا رُوَيْعِيَ[٢] الغنم مُرتقًى صعباً، ثم قال: أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ فقلْت: لِلّهِ ولرسوله؛ ثم احتَرزْت رأسه، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدوِّ الله أبي جهل؛ فقال[٣]: آللّهِ الذي لا إله غيره؟ قلت: نعم واللّهِ الذي لا إله غيره، ثم ألقيت رأسَه بين يدي رسول الله ﷺ.

وعن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنه قالت: لما أمَر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القَليب، طرحوا فيه إلا أميّة بن خلف فإنه انتفخ في دِرعه فملأها فذهبُوا ليُحَرِّكوه فتَزايَل[٤]، فأقَرُّوه وألقَوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة، قالت: ولما أُلقُوا في القَليب، وقف رسول الله ﷺ فقال: «يا أهلَ القليب، هل وجدتُّم ما وعدَ ربكم حقاً، فإني قد وجدتُ ما وَعدني ربي حقاً»، قالت: فقال له أصحابه: يا رسولَ الله، أتكلم قوماً مَوتى؟ فقال لهم: «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حق». وعن أنس رضي الله عنه نحوُه، إلا أنّ فيه: فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جَيَّفوا[٥]؟ قال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم[٦]، ولكن لا يَستطيعون أن يُجيبوني».

قال ابن إسحاق: وكان الفِتية الذين قُتِلوا ببدرٍ ـ فنزل فيهم قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧] ـ الحارثُ بنُ زَمْعَة بن الأسود، وأبو قيْس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أميّة بن خَلَف، والعاصُ بن منبّه.

---

(١) الحرب العوان: هي التي قوتل قبلها مرة. البازل: أصله في البعير، يقال: بعير بازل، إذا استكمل السنة الثامنة، وطعن في التاسعة، والكلام هنا على التشبيه. يريد أن يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة.

(٢) رويعِي: تصغير راعٍ.

(٣) كانت يمين رسول الله ﷺ، راجع الروض الأنف: ٢: ٧٢.

(٤) تزايل: تفرّق.

(٥) جَيَّفوا: صاروا جيفاً.

(٦) الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾، تجده واضحاً في الروض الأنف: ٢: ٧٤. وفي شرح المواهب اللدنية: ١: ٥٢٢.

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبسَهم آباؤهم وعشائرُهم بمكة وفَتَنُوهم فافتتَنوا، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر، فأُصِيبوا كلُّهم.

قال: ثم أمر رسولُ الله ﷺ بما في العسكر ممّا جمع الناسُ فجُمع، واختلف المسلمون فيه، فقالَ من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدوَّ: والله لولا نحن ما أصبْتموه، لنحن شَغلْنا عنكم القومَ حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافةَ أن يُخالف إليه العدوّ: ما أنتم بأحقّ منّا، لقد رأينا أن نقتل العدوّ إذ منَحنا الله أكتافَهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَن يمنعه، ولكِنّا خِفْنا على رسول الله ﷺ كرّة العدوّ فقمنا دونه، فما أنتم أحقّ به منا. فـأنـزل الله تـعـالـى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ﴾ [الأنفال: ١]، نزلت السورة بجملتها في غزوة بدر.

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافِلاً إلى المدينة ومعه الأُسارَى من المشركين والنَّفَل[١]، وجعل على النّفَل عبد الله بن كعب المازنيّ، فلما خرج رسول الله ﷺ من مضيق الصفراء، نزل على كَثِيب بين المضيق وبين النازِيَة[٢]، يقال له: سَيَر، إلى سَرْحة[٣] به وهو من المدينة على ثلاث ليال، فقسم هناك النّفل الذي أفاء اللَّهُ على المسلمين على السواء.

قال ابن سعد: وتنفّل رسول الله ﷺ سيفَه ذا الفَقَار، وكان لمنبّه بن الحجّاج، فكان صفيّه يومئذٍ؛ وأخذ رسول الله ﷺ سهمَه مع المسلمين، وفيه جَمل أبي جهل بن هشام، وكان مَهْرِياً[٤]، وبعث رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة بشيراً إلى المدينة، وبعث عبدَ الله بن رَوَاحة إلى أهل العالية.

قال ابن سعد يرفعُه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر بثلثمائة وخمسةَ عشرَ من المقاتِلة، كما خرج طالوتُ فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا، فقال: «اللهم إنهم حُفاةٌ فاحْملهم، اللهم إنهم عُراةٌ فاكسُهم، اللهم إنهم جِياعٌ فأَشْبِعهم».

ففتح الله يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، فاكتسوْا وشبِعوا.

---

(١) النَّفَل: الغنيمة.

(٢) النازية: عين على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة، قرب الصفراء.

(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.

(٤) مهري: نسبته إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن.

وقال يرفعه إلى عِكرمةَ قال: قيل لرسول الله ﷺ لما فرغ من أهل بدر: عليك بالعِير ليس دونَها شيء، فناداه العباس: إنه لا يصلح ذلك لك، قال: لِمَ؟ قال: لأنّ الله تعالى وَعدك إحدى الطائفتين، فقد أعطاك ما وعدك.

ذِكر ورود الخبر بمُصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب[١]

قال ابنُ إسحاق: كان أوّل من قدم مكة بمصاب قريش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعيّ، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قُتِل عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو الحَكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزَمْعَةَ بن الأسود، ونُبَيْه ومَنَبِّه ابنا الحجّاج، وأبو البَخْتَرِيّ، وجعل يعدّد أشراف قريش، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحِجر، : والله إن يعْقِل هذا فاسألوه عني، قالوا: ما فعل صَفْوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس في الحِجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتِلا.

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمتْ أم الفضل، وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خِلافهم، وكان يكتم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحابِ بدر كبته[٢] الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة، وعزاً، وكنتُ رجلاً ضعيفاً، وكنت أنحت الأقداح في حُجْرة زمزم، فوالله إني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي وعندي أمّ الفضل جالسةٌ، وقد سَرّنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رِجليه بشرّ، حتى جلس على طُنُب[٣] الحجرة، وكان ظهري إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. فقال أبو لهب: هلمّ إليّ، فعِندك لَعَمري الخبر. قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرني

---

(١) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قريش (... ـ ٢هـ = ... ـ ٦٢٤ م) عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتياً. كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فآذى أنصاره، وحرض عليهم، وقاتلهم. وفي الآية ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ②﴾ كان أحمر الوجه مشرقاً، فلقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدها. (الأعلام: ٤: ١٢).

(٢) كبته: أذلّه.

(٣) طنب الحجرة: طرفها. والطنب أيضاً: حبل طويل يشد به سرادق البيت.

كيف أمْر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لَقِينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايم الله مع ذلك ما لُمتُ الناس، لقِينا رجالاً بِيضاً، على خيل بُلْق بين السماء والأرض، والله ما تُلِيق[1] شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعْتُ طُنُب الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فَثاورتُه[2] فاحتَمَلني، فضرب بي الأرض، ثم برك على صدري، وكنتُ رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة فأخذَتهُ فضربته به ضربة فلَقَت رأسه شجَّة منكرة، وقالت: أتستضعفه أن غاب عنه سيده؟ فقام مولّياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبعَ ليال حتى رماه الله بالعدَسة[3] فقتلته.

وقالت قريش في قتلى بدر مراثي كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره، تركنا إيرادَها رغبة في الاختصار، ولأنه ليس تحت ذلك كبيرُ فائدة فيما نحن بصدده، إلا أنها تشهد بقتل من قتِل ممن نذكره إن شاء الله تعالى.

ذِكرُ تسميةِ من شَهِد بدراً من المهاجرين والأنصار مع رسول الله ﷺ

كان جميع مَنْ شهد بدراً مع رسول الله ﷺ من المسلمين ومن ضُرب له فيها بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعةَ عشرَ رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأَوْس أحدٌ وستون، ومن الخزرج مائةٌ وسبعون.

فأما من شهِد بدراً من المهاجرين، ومن ضُرب له بسهمه وأجْرِه، فشهدها من بني هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً، وهم: سيدنا رسول الله ﷺ، وحمزةُ بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، وزيدُ بن حارثة، وأنَسَةُ الحبَشيّ، وأبو كَبْشَة الفارسي، مَوالي رسول الله ﷺ، وأبو مَرْثَد كنّاز بن حُصَيْن، وابنُه مَرْثَد، حليفا حمزة بن عبد المطلب، وعُبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه: الطفَيلُ، والحصين، ومِسطح، واسمُه عَوفُ بن أُثاثة بن عبّاد بن المطَّلب.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسةَ عشرَ رجلاً، وهم: أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة، وسالمٌ مولاه. ومن حلفائهم من بني أسَد بن خُزَيمةَ عبد

---

(١) ما تليق: ما تبقي.

(٢) ثاورته: واثبته.

(٣) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون. وكان العرب يتشاءمون بها، ويرون أنها شديدة العدوى.

الله بن جحش بن رِئاب، وعُكّاشةُ بن مِحْصَن، وشُجاع بن وهب بن رَبيعة، وأخوه عُقْبة، ويزيد بن رُقَيْش[1] بن رئاب، وأبو سِنان بن مِحْصَن بن حُرْثان أخو عُكّاشة، وابنه سِنان، ومُحْرِز بن نَضْلة بن عبد الله وربيعة بن أكثم بن سَخْبَرة بن عمرو. ومن حلفائهم من بني كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد: ثَقْفُ بن عمْرو، وأخواه مالك، ومُدْلِج، وهم من بني حَجْر آل بني سُلَيم، وأبو مَخْشي، حَليف لهم.

ومن بني نوفل بنِ عبد مناف رجلان، وهما: عُتْبة بن غَزْوان، وخَبّاب مولاه.

ومن بني أسد بن عبد العُزّى ثلاثةُ نفر، وهم: الزبير بن العوّام وحاطبُ بن أبي بَلْتَعة، وسعد مولاه.

ومن بني عبد الدار رجلان، وهما: مُصْعَب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملَة، ويقال: ابن حرملة بن مالك بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار.

ومن بني زُهرة بن كِلاب وحلفائهم تسعةُ نفر، وهم: عبد الرحمٰن بن عوْف، وسعدُ بن أبي وقّاص، وأبو وقاص مالكُ بن أُهَيْب، وأخوه عُمَير بن أبي وقّاص، ومن حلفائهم: المِقْدادُ بن عمرو بن ثَعْلَبة، وعبد الله بن مسعود بن الحارث، ومسعود بنُ ربيعة بن عمرو، وذو الشِّمالين[2] عُمَير بن عبد عمرو بن نَضْلة وخَبَّاب بن الأرَتّ.

ومن بني تَيْم بن مرّة ومواليهم أربعةُ نفر، وهم: أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ومواليه، بلالُ بن رَبَاح، وعامرُ بن فُهَيْرة، وصُهَيْب بن سِنان.

ومن بني مخزوم خمسةُ نفر، وهم: أبو سَلَمة عبدُ الله بن عبد الأَسَد وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد، واسم شمَّاس عثمان، والأَرْقَم بن أبي الأرقم، وأبو الأرْقم هو عبد مناف بن أسد، وعمَّار بن ياسر، ومُعتِّب بن عوْف بن عامر حليفٌ لهم.

ومن بني عديّ بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلاً، وهم: عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وأخوه زيد، ومِهْجَع مولى عمر، وعمر بن سُرَاقة بن المُعْتَمِر، وأخوه عبد الله، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عُرَين، حليف لهم، وعامر بن البُكَير، وأخواه خالد وإياس، حلفاء بني عديّ، وخَوْليّ بن أبي خَوْليّ، وأخوه مالك، حليفان لهم ـ ومنهم من عدّ هلال بن أبي خَوْليّ ـ وعامرُ بن أبي ربيعة، حليف لهم.

ومن بني جُمَح خمسةُ نفر، وهم: عثمان بن مَظْعون، وابنه السَّائب وأخواه قُدَامة، وعبد الله: ابنا مظعون، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر.

---

(١) هذه رواية ابن هشام. وفي الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة «رقيش بن رباب». وفي الأصول: «قيس بن رئاب».

(٢) قال ابن هشام: إنما قيل له: «ذو الشمالين» لأنه كان أعسر.

ومن بني سهم بن عمرو: خُنَيْس بن حُذَافة بن قيس.

ومن بني عامر بن لؤيّ خمسة نفر، وهم: أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم بن عبد العُزّى، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى، وعبد الله بن سُهَيل بن عمرو ـ وكان قد خرج مع أبيه سُهيل، فلما نزل الناس بدراً فرّ إلى رسول الله ﷺ فشهدها معه ـ وعُمَير بن عَوْف، مولى سُهَيل بن عمرو، وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم.

ومن بني الحارثِ بن فهر خمسةُ نفر، وهم: أبو عُبيدة عامرُ بن عبد الله بن الجراح، وعمْرو بن الحارث بنْ زُهَير، وسُهَيْل بن ربيعة بن هلال، وأخوه صَفْوان بن وَهب، وهما ابنا بيضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة.

هؤلاء الذين شهدوا بدراً مَن المهاجرين.

وأما من ضرب له بسهمه وأجره، فثلاثة نفر، وهم: عثمان بن عفّان ـ وقد تقدّم خبره ـ وطلْحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وكانا قد بعثهما رسول الله ﷺ إلى الشام يتحسّسان له خبر العير، فقدما بعد غزوة بدر، فضَرَب لهما رسول الله ﷺ بسهميهما، قالا: يا رسول الله، وأَجْرَنا؛ قال: وأجركما.

وأما من شهدها من الأوس ومن غاب وضُرِب له فيها بسهمه وأجره، فهم أحد وستون رجلاً، شَهِدها منهم ستة وخمسون رجلاً، وهم: سعد بن مُعاذ بن النعمان، وأخوه عمرو بن معاذ، والحارث بن أَنَس بن رافع، وسعد بن زيد بن مالك، وسَلَمَة بن سَلامة بن وَقْش، وعبّاد بن بشر بن وَقْش، وسلَمة بن ثابت بن وَقْش، ورافع بن يزيد بن كُرْز، والحارث بن خَزَمة بن عديّ، حليف لهم، ومحمد بن مَسْلمة بن خالد، حليف لهم، وسَلَمَة بن أسلم بن حَرِيش، حليف لهم، وأبو الهَيْثم بن التَّيِّهان، وأخوه عُبَيد بن التيهان ـ قال ابن هشام: ويقال: عَتيك بن التيهان ـ وعبدُ الله بن سُهَيل، وقَتادةُ بن النعمان بن زيد، وعُبيد بن أوس بن مالك ـ وعبيد هو الذي يقال له: مُقرِّن، لأنه قرنَ أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عَقيل بن أبي طالب يومئذٍ، ونصر بن الحارث بن عبد بن رِزَاح بن كعب، ومُعَتِّب بن عبيد وعبد الله بن طارق حليف لهما من بَليّ، ومسعود بن سعد بن عامر، ويقال فيه: مسعود بن عبد سعد، وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو، وأبو بُرْدة بن نِيَار، واسمه هانىء، حليف لهم من بليّ، وعاصم بن ثابت بن قيس، ومُعتِّب بن قُشَير، وأبو مُلَيل بن الأزعر بن زيد، وعمرو بن معْبد بن الأزعر، وقيل فيه: عُمَير بن معْبد، وسهْل بن حُنَيف بن واهب، ومُبشِّر بن عبد المُنذر بن زَنْبَر[1]، وأخوه رفاعة، وسعد بن عُبيد بن النعمان، وعُوَيم بن ساعدة بن

(١) كذا في الإصابة والسيرة. وفي الأصول: «زبير»، تصحيف.

عُنْجُدة، وعبيد بن أبي عُبَيد، وثَعْلَبَة بن حاطب، وأُنَيس بن قَتادة بن ربيعة، ومَعنُ بن عَديّ بن الجدّ من حلفائهم، وثابت بن ثَعْلبة، وعبد الله بن سَلَمة، وزيد بن أسلم بن ثعلبة، وربعيّ بن رافع بن زيد، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بَليّ، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعْمان، وعاصم بن قيس بن ثابت، وأبو ضَيَّاح ثابت بن النعمان وأخوه أبو حَنة ـ ويقال: أبو حبّة ـ وسالم بن عُمير بن ثابت بن النعمان، والحارث بن النعمان بن أمية، ومُنذر بن محمد بن عُقبة، وأبو عُقَيل بن عبد الله بن ثعلبة من حلفائهم، وسَعْد بن خَيثَمَة بن الحارث، ومُنذر بن قُدامة، ومالك بن قُدامة بن عَرْفَجة، والحارث بن عَرْفَجة، وتَميم مولى بني غَنْم، وجبْر بن عَتيك بن الحارث ومالك بن نُمَيلة، حليف لبني معاوية من مُزينة، والنعمان بن عَصَر[(١)]، حليف لبني معاوية من بليّ. هؤلاء الذين شهدوها من الأوس.

وأما من ضُرب له بسهمه وأجره منهم فخمسة نفر، وهم: أبو لُبابة واسمه بَشير بن عبد الله، والحارث بن حاطب، وحاطِب بن عمرو بن عُبيد وعاصم بن عَدِيّ بن الجدّ بن العَجْلان، وخَوَّات بن جُبير بن النعمان.

وأما من شهدها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم فمائة وسبعون رجلاً: خارِجةُ بن زيد بن أبي زُهَير، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير وعبد الله بن رَواحة بن امرىء القيس، وخلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو وبَشير بن سعد بن ثعلبة، وأخوه سِماك بن سعد، وسُبَيع بن قيس بن عَيْشة بن أمية، وأخوه عَبّاد بن قيس، وعبد الله بن عَبْس، ويزيدُ بن الحارث بن قيس وخُبَيْب بن إسَاف بن عتبة، وعبد الله بن زيد بن ثَعْلبة، وأخوه حُرَيث بن زيد، وسفيان بن نَسْر[(٢)] بن عمرو بن الحارث، وتَميم بن يَعار[(٣)] بن قيس، وعبد الله بن عُمير بن عديّ، وزيد بن المُزَيْن[(٤)] بن قيس، وعبد الله بن عُرْفطة بن عديّ، وعبد الله بن ربيع بن قيس، وعبد الله بن عبد الله بن أبيّ [بن][(٥)] مالك، وأوس بن خوْلي بن عبد الله بن الحارث، وزيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جَزْء وعُقبة بن وَهْب بن كَلَدَة، حليف لهم من بني عبد الله بن غَطَفَان، ورفاعة بن عمرو بن ثعلبة، وعامر بن سلَمة بن عامر، حليف لهم من اليمن، وأبو حميضة عبّاد بن قُشَيْر بن المُقدَّم، وعامر بن البُكَير، حليف لهم، وَنَوْفَل بن عبد الله بن نَضْلة، وعُبادة بن

(١) في الأصول: «عيصر» وهو تحريف.
(٢) في الأصول: «بشر»، تصحيف.
(٣) في الأصل: «معاذ»، وهو تصحيف.
(٤) كذا ضبطه الدارقطني بضم الميم وفتح الزاي وتسكين الياء. راجع أسد الغابة: ٢: ٢٤١.
(٥) زيادة عن جميع المراجع.

الصامت بن قيس بن أَصْرم، وأخوه أَوْس بن الصّامت والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، وهو الذي يقال له: قَوْقَل[١]؛ وثابت بن هَزّال بن عمرو بن قُرْيُوش، ويقال: قُرْيوس، ومالك بن الدّخْشم بن مالك، وربيع بن إياس، حليف لبني لَوْذان من اليمن، والمُجَذَّر بن زياد بن عمرو؛ واسم المجذر، عبد الله حليف لهم من بلِيّ، وعُبَّاد[٢] بن الخَشْخاش بن عمرو، حليف، ونجاب بن ثعلبة بن خَزمة[٣]، ويقال: بَحّاث، وعبد الله بن ثعلبة بن خَزمة، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سُليم، وأبو دُجانة سماك بن خَرَشة.

قال ابنِ هشام: سماك بن أوسِ بنِ خرشة، والمنذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة، وأبو أُسَيدِ مالك بن ربيعة، ومالك بن مسعود البَدِيّ[٤]، وعبد ربه بن حَقّ بنِ أوس بن وَقْش بن ثعلبة بن طَرِيف.

ومن حلفائهم من جهينة: كعب بن جَمّاز بن ثعلبة ـ ويقال: حِمار، وهو من غُبْشان ـ وضَمرة، وبَسْبَس، وزياد، بنو عمرو.

وعبد الله بن عامر من بَلِيّ، وخراش بن الصِّمة بن عمرو بن الجَمُوح، وتَميم مولى خراش بن الصِّمة، وعبد الله بن عمرو بن حَرام، ومُعاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومُعَوِّذ بن عمرو بن الجموح، وخَلّاد بن عمرو بن الجَموح، وعُقبة بن عامر بن نَابي، وحَبيب بن أسود، مولى لهم، وثابت بن ثَعلبة بن زيد بن الحارث، وثعلبة الذي يقال له: الجِذْع، وعمير[٥] بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث، وبِشر بن البَراء بن مَعْرور بن صخر، والطُّفَيل بن مالك بن النعمان، وسِنَان بن صَيْفيّ بن صخر وعبد الله بن الجَدّ بن قيس بن صَخر، وخارِجة بن حُمَيِّر، وعبد الله بن حمير، حليفان لهم من أشجع من بني دُهْمان، وجَبّار بن صخر بن أمية بن خُنَاس، ويزيد بن المُنذر بن سَرح، وأخوه معقِل بن المُنذِر، وعبد الله بن النُّعمان بن بَلْدَمة، ويقال: بُلْدُمة وبُلذُمة، والضحّاك بن حارثة بن زيد بن ثَعلبة، وسَواد بن زُرَيق بن ثَعلبة؛ ومَعْبد بن قَيْس بن صخر، وأخوه

---

(١) قال في الاستيعاب: «إن النعمان هذا كان ذا عزة ومنعة، فكان يقال للخائف إذا جاءه: «قوقل حيث شئت فأنت آمن». فقيل لبني غنم وبني سالم لذلك. قواقلة، وفي القاموس: القوقل: اسم أبي بطن من الأنصار، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له: «قوقل في هذا الجبل وقد أمنت»، أي أرتق.

(٢) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة: «عبادة». وفي رواية: «الحسحاس».

(٣) في الأصول: «حزمة»، وهو تصحيف. والتصويب عن القاموس والإصابة.

(٤) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة: «البدن».

(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والإصابة، وأسد الغابة. وفي الأصل: «عمر».

عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مناف بن النعمان، والنعمان بن يَسار مولى لبني النعمان، وأبو المُنذر بن يزيد بن عامر بن حَديدة، وسُلَيم بن عمرو بن حَديدة، وقُطْبة بن عامر بن حدِيدة، وعَنْتَرة[(١)] مولى سليم بن عمرو وعبس بن عامر بن عدي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، وأبو اليسر وهو كعب بن عمرو بن عَبّاد بن عمرو، وسهل[(٢)] بن قيس بن أبي كعب، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو، وحارثة بن مالك بن غَضب بن جُشم، وقَيْس بن مِحْصَن بن خالد بن مُخَلَّد، ويقال: قيس بن حِصْن، وأبو خالد، وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخلَّد، وجُبَير بن إياس بن خالد بن مخلد وأخوه عُقبة بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد، وذَكْوان [ابن عبد][(٣)] قيس بن خَلَدَة بن مخَلَّد، ومسعود بن خلدة بن عامر بن مخلد، وعبّاد بن قيس بن عامر بن خالد، وأسعد بن مَزيد بن الفاكِه بن زيد بن خَلَدة، والفاكه بن بِشر بن الفاكه بن زيد، ومُعاذ بن ماعِص بن قيس بن خلدة، وأخوه عائذ بن ماعِص، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدة، ورِفاعة بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وأخوه خلّاد بن رافع، وعُبَيد بن زيد بن عامر، وزِياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان، وفَرْوة بن عمرو بن وذْفة بن عُبَيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العَجلان، ورُجَيلة بن ثَعلبة بن خالد بن ثعلبة، وعطيةُ بن نُوَيْرة بن عامر بن عطية، ورافع بن المُعَلَّى بن لَوْذان، وأبو أيوب خالد ابن زَيد بن كُلَيب بن ثعلبة، وثابت بن خالد بن النُّعمان، وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو، وسُراقة بن كعب بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة، وحارثة بن النعمان بن زيد بن عُبيد، وسُلَيم بن قيس بن فَهْد، وسُهَيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدي بن أبي الزَّغْباء، حليف لبني عائذ من جُهينة، ومسعود بن أَوْس بن زيد، وأبو خُزَيْمة بن أوس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زَيد، وعَوف، ومُعوِّذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رفاعة، وهم بنو عَفراء بنت عُبيد بن ثعلبة، والنعمان بن عمرو بن رِفاعة بن سَواد، ويقال: نُعَيمان؛ وعامر بن مخلَّد بن الحارث بن سَواد، وعبد الله بن قَيس بن خالد بن خَلَدة بن الحارث بن سَواد، وعُصَيمة، حليف لبني سواد من أَشجع، ووديعة بن عمرو، حليف لهم من جُهَينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سواد ـ قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحارث ابن عَفراء شهد بدراً ـ وثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عتيك، والحارث بن الصِّمة بن عمرو بن عتيك، كُسِر بالرَّوْحاء، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، وأُبيّ بن

---

(١) في الأصول: «عنيزة» وما ذكر هو الصواب.
(٢) في الأصول: «سهيل».
(٣) زيادة عن الإصابة، وأسد الغابة، والاستيعاب.

كعب بن قَيس، وأَنَس بن مُعاذ بن أنس بن قَيس، وأَوس بن ثابت بن المُنذر بن حَرام، وأبو شَيْخ أبيّ بن ثابت[١] بن المنذر بن حرام.

قال ابن هشام: أبو شيخ أبيّ بن ثابت أخو[٢] حسان بن ثابت، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حَرام، وحارِثة بن سُراقة بن الحارث بن عدِيّ، وعمرو بن ثعلبة بن وَهب بن عدي، وسَليط بن قَيس بن عمرو بن عتيك بن مالك، وأبو سَليط - وهو أُسَيْرة بن عمرو - وثابت بن خَنساء بن عمرو بن مالك بن عديّ، وعامر بن أمية بن زيد بن الحَسْحاس بن مالك، ومحرز بن عامر بن مالك بن عَدِيّ، وسواد بن غَزِيَّة بن أُهَيْب، حليف لبني عديّ بن النجار.

وأبو زيد قيْس بن سَكَن بن قيس، وأبو الأَعور بن الحارث بن ظالم بن عبس ابن حَرام، ويقال: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسُلَيم بن مِلْحان، وأخوه حرام - واسم مِلْحان: مالِك بن خالد بن زَيد - وقَيْس بن أبي صَعْصَعَة - واسم أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عَوْف - وعبد الله بن كَعب بن عمرو بن عَوف، وعُصَيْمة، حلِيف لبني مازِن بن النجار من بني أَسَد بن خُزَيمة، وأبو داود عُمَيْر بن عامر بن مالك ابن خَنساء، وسُراقة بن عمرو بن عَطيّة ابن خَنساء، وقيس بن مُخَلَّد بن ثَعلبة بن صخر بن حَبيب، ومسعود بن عبد الأَشْهل بن حارثة بن دِينار، وأخواه لأمه الضَّحَّاك، والنُّعمان، ابنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سُهَيل بن عبد الأشهل، وكَعب بن زَيد بن قَيس بن مالك، وبُجَيْر بن أبي بُجَير، حليف لبني قَيس بن مالك.

هؤلاء الذين عدّهم محمد بن إسحاق.

قال ابن هشام: وأكثر أهلِ العلم يذكرون في الخَزرج ممن شهد بدراً عِتبان ابن مالك بن عمرو بن العَجْلان، ومُلَيْل بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان، وعِصْمة بن الحُصَين بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان، وهلال بن المُعلّى بن لَوْذان بن حارثة.

ذِكْرُ تسمية من استُشهد من المسلمين في غزاة بدر

كان من استُشهِد من المسلمين في غزاة بدر أربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة نفر، وهم: عُبَيدة بن الحارث بن المطلب، قتله عُتبة بن ربيعة، قطع رجله فمات بالصفراء في قُفول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وعُمير[٣] بن أبي وَقَّاص، وهو أخو

(١) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «أبو شيخ بن أبي ثابت». راجع الاستيعاب ص: ٧١٥.

(٢) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أبو».

(٣) ذكر الواقدي أن النبي ﷺ كان ردّ عميراً هذا في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عمير، فلما رأى =

سعيد، وذو الشِّمالَين بن عبد عمرو بن نَضلة الخُزاعي، حليف لبني زُهْرة، وعاقلُ بن البُكَيْر، حليف لبني عديّ بن كَعب من بني سعد بن ليث، ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطاب، وصَفوان بن بَيْضاء، من بني الحارث بن فِهر.

ومن الأنصار ثمانية، وهم: سعد بن خَيْثمة، ومُبَشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر، ويزيد بن الحارث، وعُمَير بن الحمام، ورافع بن المُعَلَّى، وحارثة بن سُراقة بن الحارث، وعَوف، ومُعَوِّذ، ابنا الحارث بن رفاعة.

ذكرُ تسمية من قُتل من المشركين في غزوة بدر

كانت عدّة من قتل من المشركين في غزوة بدر سبعين رجلاً

من بني عبد شمس ومواليهم وحلفائهم أربعة عشر رجلاً، وهم: عُقبة بن أبي مُعَيط، قُتِلَ صَبْراً[١] بعِرق الظُّبْية[٢] عند قُفول رسول الله ﷺ إلى المدينة وقال ـ حين أمر رسول الله ﷺ بقتله ـ: فمن للصِّبْية يا محمد؟ قال: النار! فقتله عاصم بن ثابت بن الأَقْلح، وحَنْظَلة بن أبي سفيان بن حرب قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، ويقال: اشترك فيه حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، والحارث بن الحَضْرَمِيّ، وعامر بن الحضرمي، حليفان لهم. قتل عامراً عَمَّار بن ياسر، وقتل الحارثَ النُّعمان بن عَصر، حليف الأوس، وعُمير بن أبي عمير، وابنه، مَوْليان لهم. قتل عُميراً سالم مولى أبي حُذَيفة، وعُبيدة بن سعيد بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس، قتله الزبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية، قتله عاصم بن ثابت بن الأَقْلح، صبراً، وقيل: قتله عليّ بن أبي طالب، وعُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس، اشترك فيه عُبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب؛ وشَيْبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبد المطلب، والوليد بن عُتبة بن ربيعة، قتله علي بن أبي طالب، وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أَنمار، قتله عليّ، ووهب بن الحارث، حليف لهم من بني أنمار، وعامر بن زيد، حليف لهم من اليمن.

ومن بني نَوْفَل بن عبد مناف رجلان، وهما: الحارث بن عامر بن نوفل، قتله خُبَيب بن إِساف، وطُعَيمة بن عديّ بن نوفل قتله علي، ويقال: حمزة؛ وروى أبو

= النبي ﷺ بكاءه أذن له في الخروج معه، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة (راجع المغازي للواقدي والروض الأنف).

(١) يقال للرجل إذا حُبس على القتل حتى يقتل: قتل صبراً.

(٢) عرق الظبية: بين مكّة والمدينة قرب الروحاء.

عُمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قتل طُعَيمة بن عدي صبراً هو وعُقبة بن أبي مُعَيط والنَّضر بن الحارث.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ سبعة نفر: زَمعة بن الأَسْود بن المطلب بن أَسَد، قتله ثابت بن الجِذْع، وقيل: اشترك فيه حمزة وعليّ مع ثابت، والحارث بن زَمعة قتله عمار بن ياسر، وعُقيل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة وعليّ، وأبو البَخْتَرِيّ ـ وهو العاص بن هشام ـ قال بن هشام: العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد، قتله المُجَذَّر البَلَويّ، وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن قتله، لأنه كان أَكَفَّ الناسِ عن رسول الله ﷺ، لما كان بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نَقض الصحيفة كما تقدَّم، فلما لقيه المجذَّر قال له: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك، وكان مع أبي البَخْتري زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جُنادة بن مُليحة ـ رجل من بني ليث ـ فقال أبو البَخْتري: وزميلي، فقال المجذَّر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك. فقال: لا والله إذاً لأموتنّ أنا وهو جميعاً! لا تَحدّثُ عنّي نساء مكة أني تركت زميلي حِرصاً على الحياة، وقال يرتجز:

لـن يُسـلَـم ابـنُ حُـرّةٍ زمـيـلَـه حـتـى يـمـوتَ أو يـرى سَـبـيـلَـه

ثم اقتتلا، فقتل المجذر أبا البختريّ، ثم أتى رسولَ الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحقّ، لقد جهِدْت عليه أن يستأسِر فآتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته. ونوفل بن خويلد بن أسد قتله عليّ بن أبي طالب، وعقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير، مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصيّ أربعة نفر وهم: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، قتله عليّ صبراً بالصَّفراء[1]، ولما بلغ ابنته قُتيلة بنت النضر خبر مقتله كتبت إلى رسول الله ﷺ شعراً: [من الكامل]

يــا راكـبــاً إن الأُثــيْــل مَــظِــنَــة مِن صبح خامسةٍ وأنت مُوفق[2]
بــلّــغ بــه مـيْــتــاً بــأن تــحــيّــةً ما إن تزال بها النجائب تخفِق[3]

(١) الصفراء: وادٍ من ناحية المدينة كثير النخل والزرع، وهو على مرحلة من بدر.
(٢) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء. ومظنة الشي: موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه.
(٣) النجائب: الإبل الكريمة.

مِـنـي إلـيـه وعـبْـرةً مـسـفـوحـةً جادت لـمـائـحـهـا وأخـرى تـخـنُـق[1]

هـل يـسـمـعـنّ الـنـضـر إن ناديـتُـه بـل كـيـف يـسـمـع مـيّـت لا يـنـطِـق

ظـلـت سـيـوفُ بـنـي أبـيـه تَـنـوشُـه لـلّـهِ أرحـامٌ هـنـاك تـشـقّـق[2]

قـسـراً يـقـاد إلـى الـمـنـيّـة مُـتـعـبـاً رَسْف الـمـقـيَّـدِ وهـو عـانٍ مـوثـق[3]

أمـحـمـد أو لـسْـت ضِـنْءَ نـجـيـبـةٍ فـي قـومـهـا والـفـحـل فـحـل مُـعـرِق

مـا كـان ضـرَّك لـو مـنـنْـت وربـمـا منّ الفتى وهو المَغِيظ المُحنِق[4]

الـنـضـر أقـربُ مـن قـتـلـت قـرابـةً وأحـقّـهـم إن كـان عـتْـق يُـعـتَـق[5]

أو كـنـت قـابـلَ فـديـة فَـلْـيُـنْـفـقـنْ بـأعـزّ مـا يـغـلـو بـه مـا يُـنـفـق[6]

فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى اخضلّت[7] لحيته وقال: «لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه» حكاه أبو عمر عن عبد الله بن إدريس، وحكاه الزبير بن بكّار، وقال: فرقّ لها رسول الله ﷺ حتى دمعَت عيناه، وقال لأبي بكر: «يا أبا بكر لو كنتُ سمعت شعرها ما قتلت أباها» وزيد بن مُلَيص، مولى عُمَير بن هاشم، قتله بلال بن رَباح، مولى أبي بكر، ويقال: قتله المِقداد بن عمرو، ونُبيه بن زيد بن مليص، وعبيد بن سَلِيط، حلِيف لهم من قيس.

ومن بني تَيْم بن مرّة أربعة نفر وهم: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله عبد الرحمٰن بن عوف، وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله صُهَيب بن سنان. ومالك بن عبيد الله بن عثمان، أسر فمات من الإسار، فعدّ في القتلى، وعمرو بن عبد الله بن جُدْعان.

ومن بني مخزوم بن يَقَظة بن مرة أربعة وعشرون رجلاً: أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله، وضرب ابنهُ عِكرمة يد معاذ فطرحَها، ثم ضربه معوّذ بن عَفراء،

---

(١) مسفوحة: جارية، منسابة. جادت لمائحها: تعني أباها لأنه هو الذي يستبكيها ويستنزف دمعها.
(٢) تنوشه: تتناوله. أرحام تشقق: أي: أقارب تقتتل مع بعضها.
(٣) قسراً: مرغماً.
(٤) الضن: الأصل: المعرق: الكريم.
(٥) المحنق: الغاضب.
(٦) العتق: تحرير العبد وإطلاقه.
(٧) اخضلت: تبللت بالدمع.

حتى أثبته، وتركه وبه رمق، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتزّ رأسه كما تقدّم، والعاص بن هِشام بن المغيرة، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمر. ويزيد بن عبد الله، حليف لهم من بني تميم، قتله عمّار بن ياسر. وأبو مُسافع الأشعريّ، حليف لهم، قتله أبو دُجانة الساعديّ، وحَرْملة بن عمرو حلِيف لهم، قتله خارجة بن زيد، ويقال: بل عليّ بن أبي طالب ومسعود بن أبي أميّة بن المُغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب. وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ويقال: عليّ؛ وأبو قيس بن الفاكِه بن المغيرة، قتله عليّ، ويقال عمّار بن ياسِر، ورِفاعة بن أبي رِفاعة بن عابِد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله سعد بن الربيع، والمنذر بن أبي رِفاعة بن عابد، قتله معْن بن عديّ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رِفاعة، قتله عليّ بن أبي طالب، والسّائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على ما حكاه ابن إسحاق.

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن السائب هذا ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجِعرانة[١] من غنائم حنين، فقد وقع فيه الخلاف. والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة، وحاجب، ويقال: حاجز بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ، قتله علي بن أبي طالب، وعويمر بن السائب بن عويمر، قتله النعمان بن مالك القَوقليّ مبارزة، وعمرو بن سفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيىء، قتل عمراً يزيدُ بن رُقَيْش، وقتل جابراً أبو بُردة بن نَيار، وحُذيفة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقاص، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله صُهَيب بن سِنان، وزُهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أُسَيد مالك بن أبي ربيعة، والسائب بن أبي رفاعة، قتله عبد الرحمٰن بن عَوف. وعائذ بن السائب بن عُويمر، أُسِر ثم افتدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب، وعُمير، حليف لهم من طيّىء، وخِيار، حليف لهم من القارة[٢].

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤيّ سبعة نفر وهم: مُنبّه بن الحجاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سهْم، قتله أبو اليَسَر، أخو بني سَلمة وابنه العاص بن مُنبّه، قتله عليّ، ونُبيْه بن الحجاج، قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص، اشتركا فيه، وأبو العاص بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم، قتله عليّ،

---

(١) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن وهو راجع من غزوة حنين. (معجم البلدان).

(٢) القارة: قبيلة تتألف من عضل والدبش ابنا الهون بن خزيمة.

ويقال: النعمان القوقَليّ، ويقال: أبو دُجانة، وعاصم بن أبي عَوف بن صُبَيرة بن سُعَيد بن سعد بن سهم، قتله أبو اليَسَر أخو بني سلمة. والحارث بن مُنبّه بن الحجاج، قتله صُهَيب بن سِنان، وعامر بن أبي عَوْف بن صُبيرة أخو عاصم، قتله عبد الله بن سلمة، ويقال: أبو دُجَانة.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ أربعة نفر، وهم: أميّة ابن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن ويقال: قتله معاذ بن عَفراء، وخارجة بن زيد، وخُبَيْب بن إساف، اشتركوا فيه. وابنه عليّ بن أميّة بن خلف، قتله عمّار بن ياسر، وأوْس بن مِغير بن لَوْذان بن سعد بن جُمح، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: قتله الحُصين بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مَظْعون، اشتركا فيه، وسَبْرة بن مالك، حليف لهم.

ومن بني عامر بن لؤيّ من حلفائهم رجلان، وهما: معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيْس، قتله عليّ، ويقال: عُكّاشة بن مِحصَن. ومَعْبد بن وهب، حليف لهم من بني كلب، قتله خالد وإياس ابنا البُكَير، ويقال: أبو دُجانة.

فجميع من انضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية وستون على الشك في السائب بن أبي السائب، والذي ثبت في صحيح البخاريّ أن رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً.

ذكر تسمية من أُسِر من المشركين في غزوة بدر

كانت عدّة من أسِر من المشركينَ في يوم بدر سبعين رجلاً على ما ورد في الصحيح ودلّت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني يوم أحد، وكان قد قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، والذي انضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلاً.

من بني عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر، وهم: العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أسره أبو اليَسر كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو الخزرجيّ، وكان رجلاً قصيراً، والعباس رجلاً طويلاً ضخماً، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وعَقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، أسره عُبيد بن أوْس بن مالك الأوسي، ونوْفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعُتبة، حليف لهم من بني فِهر، قال: وكان العباس وعَقيل خرجا مُكْرَهين.

ومن بني عبد المطلب بن عبد مناف خمسة نفر، وهم: السائب بن عُبيد بن عبد

يزيد بن هاشم بن المطلب، ونُعمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطلب، وعَقِيل بن عمرو حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه عمرو بن تميم.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر، وهم: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس، والحارث بن أبي وَجْرة ـ ويقال: وحْرة بن أبي عمرو ـ بن أمية، وأبو العاص بن نَوْفل بن عبد شمس، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، وخالد بن أَسِيد بن أبي العِيص. ومن حلفائهم: أبو ريشة بن أبي عمرو، وعمرو بن الأزرق، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضْرمي، وأبو العريض يَسار، مولى العاص بن أمية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر، وهم: عدِيّ بن الخيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس حليف لهم من بني مازِن بن منصور، وأبو ثَوْر، حليف لهم ونَبْهان، مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصيّ ثلاثة نفر، وهم: أبو عزيز بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والأسود بن عامر حليف لهم، وعَقيل، حليف لهم من اليمن.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصيّ أربعة نفر، وهم: السّائب بن أبي حُبَيش بن المطلب بن أسد، والحُوَيرث بن عبّاد بن عثمان بن أسد. قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد، وعبد الله بن حُمَيد بن زُهير بن الحارث، وسالم بن شمّاخ، حليف لهم.

ومن بني تيم بن مُرّة رجلان وهما: مُسافع بن عياض بن صَخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يَقَظة بن مرة عشرة نفر، وهم: خالد بن هِشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزُوم، أسره سواد بن غَزِيّة، وأميّة بن أبي حُذَيفة بن المُغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصَيْفيّ بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخْزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعة بن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقَيْس بن السائب، والمطلب بن حَنْطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعلم، حليف لهم من خُزَاعة، ويقال: عُقَيلِيّ. وزعموا أنه أوّل من فرّ منهزماً، وهو الذي يقول: [من الطويل]

ولَسْنا على الأدبار تَدْمَى كُلُومُنا ... ولكنْ على أعقابنا تقطر الدّما[1]

---

(١) وصوابه هكذا: =

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب خمسة نفر، وهم: أبو وَداعة ابن صُبَيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أوّل أسير افتُدِي من أسرى بدر، افتداه ابنُه المطلب بن أبي وداعة، وفَرْوة بن قيس بن عديّ بن حُذافة بن سُعيد بن سهم، وحَنْظَلة بن قبيصة بن حُذافة بن سُعيد بن سهم، والحجّاج[1] بن الحارث بن قيس بن عدي بن سُعيد[2] بن سهم، وأسْلَم، مولى نُبَيه بن الحجاج.

ومن بني جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب أحد عشر نفراً وهم: عبد الله بن أبيّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح وأخوه عمرو بن أبيّ، وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهْب بن حذافة بن جمح، والفاكِه، مولى أمية بن خلف ووهب بن عُمير بن وهْب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح، وربيعة بن دَرّاج بن العنْبس بن أُهْبان بن وهب بن حُذافة بن جمح، وأبو رُهْم بن عبد الله حليف لهم، ومولَيان لأميّة بن خلف، أحدهما: نِسْطاس، وأبو رافع غلام أمية بن خلف. قال ابن هشام: وحليف لهم ذهب عني اسمه.

ومن بني عامر بن لُؤيّ خمسة نفر، وهم: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نَضْر بن مالك بن حِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم أخو بني سالم بن عَوْف، وعبد بن زَمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَدّ، وعبد الرحمٰن بن مَشنوء بن وَقْدان بن قيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ، وحبيب بن جابر، والسائب بن مالك.

ومن بني الحارث بن فِهْر أربعة نفر، وهم: الطُّفيل بن أبي قُنَيع، وعُتْبة بن عمرو بن جَحْدَم، وشافع وشفيع، حليفان لهم من اليمن.

= فلسْنَا على الأعقابِ تدمَى كلومُنا ولكن على أقدامنا تقطرُ الدِّما

وهو للحُصَيْن بن الحُمام المُرّي من قصيدة له أوّلها:

تأخّرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

يقول: نحن لا نولّي فنخرج في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا؛ ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا؛ فإن أصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا. انظر لسان العرب (مادة دمي)، والحماسة للتبريزي ص ٩٣، والشعر والشعراء ص ٦٣٠.

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢: ١٠٧ «وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع وهماً، فإنه من مهاجرة الحبشة، وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يعد في أسرى المشركين يوم بدر».

(٢) لم يوافق الواقدي ولا غيره ابن إسحاق على قوله: «سعيد بن سهم». وقالوا إنما هو سعد.

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن منّ عليه رسول الله ﷺ (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك

قال: لما قَفَل رسول الله ﷺ من غزاة بدر ومعه الأسارَى سمع العباس[١] وهو يئنّ ويتأوّه، قد آلمه الوَثَاق، فقلِق رسول الله ﷺ تلك الليلة لذلك، فاستأذنه أصحابه رضي الله عنهم، في أن ينفِّسوا عن العباس وَثاقه، فقال ﷺ: «إن فعلتُم ذلك بجميع الأسرى فنِعْم وإلا فلا»، أو كما قال: فنفَّسوا عن جميع الأسرى.

ولما قدِم رسول الله ﷺ وفرّق الأسارى بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيراً». ثم جاءه جبريل عليه السلام في أمر الأسارى فقال: إن شئْتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء، واستشهد قابلاً منكم سبعون. قال: فنادى رسول الله ﷺ في أصحابه، فجاءوا ـ أو من جاء منهم ـ فقال: «هذا جبريل يخيّركم بين أن تقدّموهم فتقتلوهم، وبين أن تُفادُوهم ويستشهد قابِلاً منكم بعدّتهم». فقالوا: بل نُفاديهم ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون. ففادوهم. رواه محمد بن سعد.

وروى ابن قُتَيبة[٢] عن ابن إسحاق[٣] أن رسول الله ﷺ قال للعباس: «افدِ نفسَك وابنَيْ أخويْك: عَقيل بن أبي طالب[٤]، ونَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب[٥]،

---

(١) العباس بن عبد المطلب: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل (٥١ ق هـ ـ ٣٢ هـ = ٥٧٣ ـ ٦٥٣ م) من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجدّ الخلفاء العباسيين. عم الرسول ﷺ كان سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه. هاجر إلى المدينة وشهد وقعة «حنين». وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره. كانت وفاته في المدينة. (الأعلام: ٣: ٢٦٢).

(٢) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ ـ ٨٨٩ م) من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد، وسكن الكوفة. وتوفي ببغداد من كتبه: «أدب الكاتب» و«المعارف» و«عيون الأخبار». انظر (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(٣) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطَّلبي بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام توفي سنة ٦٥١ هـ. (الأعلام: ٦: ٢٨).

(٤) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد (. . . ـ ٦٠ هـ = . . . ـ ٦٨٠ م). أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي، فصيح اللسان. أخو «علي» و«جعفر»، لأبيهما؛ برز اسمه في الجاهلية. بقي على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسره المسلمون ففداه العباس بن عبد المطلب، فرجع إلى مكة، ثم أسلم بعد الحديبية. عمي في آخر أيامه، وتوفي في أول أيام يزيد، وقيل: في خلافة معاوية. (الأعلام: ٤: ٢٤٢).

(٥) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي: صحابي (. . . ـ ١٥هـ = . . . ـ ٦٣٦م). =

وحليفك، فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكنّ القوم استكرهوني، فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك به، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا». قال: فإنه ليس لي مال، قال: «فأين المال الذي وضعته عند أمّ الفضل بمكة حين خرجتَ وليس معكما أحد؟ ثم قلتَ: إن أصِبتُ في سفري هذا فللفضل كذا، ولعبد الله كذا». قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى نفسَه بمائة أوقيّة، وكل واحد بأربعين أوقية، وقال: «تركتني أسأل الناس في كفّي». قال: «وأسلم العباس، وأمرَ عَقيلاً فأسلم».

وروى محمد بن سعد[1] قال: لما أُسر نوفل بن الحارث ببدر قال له رسول الله ﷺ: «افدِ نفسك». قال: ما لِي شيء أفتدي به. قال: «افد نفسك برماحك التي بجُدّة». فقال: والله ما علم أحد أن لي بجدّة رماحاً غيري بعد الله، أشهد أنك رسول الله. ففدى نفسه بها، وكانت ألفَ رمح، وقيل: كان إسلام نوفل وهجرتُه أيام الخندق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرَع أصحاب بدرٍ ناحُوا على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغَ محمداً وأصحابه فيشمَتوا بكم، ولا تَبعثوا في أسراكم حتى تستأنُوا[2] بهم لا يأرَب[3] عليكم محمد وأصحابُه الفداء. فقال المطلب بن أبي وَداعة: صدقتم، لا تعجَلوا؛ وانسلّ من الليل فقدم المدينةَ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، وانطلق به.

ثم بعثت قريش في فِداء الأُسارى، فكان أعلى ما فُدِي به أسير أربعةَ آلاف درهم فما دونها إلى ألف درهم.

وقال محمد بن سعد في طبقاته: كان فِداء أُسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يجد عنده شيئاً أُعطِي عشرة من غِلمان المدينة فعلّمَهم الكتابة، فإذا

= كان من أغنياء قريش. أخرجه قومه يوم «بدر» لقتال المسلمين، وهو كاره فأسر، ثم أسلم. رجع إلى مكة، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ أيام الخندق، وشهد فتح مكة، حضر حنيناً والطائف... عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب (الأعلام: ٨: ٥٤).

(١) محمد بن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ ـ ٨٤٥ م). مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة من حفّاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. أشهر كتبه: «طبقات الصحابة ـ ط» اثنا عشر جزءاً، يعرف بطبقات ابن سعد. (الأعلام: ٦: ١٣٦).

(٢) تستأنوا بهم: تنتظروا بهم، أي تأخروا فداءهم.

(٣) لا يأرب: لا يشتد.

حذَقوا فهو فداؤه. وكان أهل مكّة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، قال: فكان زيد بن ثابت ممن عُلِّم.

ذكرُ خبر أبي سفيان في أمر ابنه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه

قال محمد بن إسحاق: وكان عمرو بن أبي سفيان في الأسارى، فقيل لأبي سفيان: افدِ ابنَك عَمْراً؛ فقال: أَيُجمَع عليّ دمي ومالي! قتلوا حَنظلة، وأفدي عمراً! دعُوه في أيديهم يُمسكوه ما بدا لهم. فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن النعمان بن أكّال، أخو بني عمرو بن عَوف معتمراً، وكان شيخاً مسلماً، في غَنَم له بالبقيع[1]، وقد كانت قريش عهدوا أنهم لا يَعرضون لحاج أو معتمر إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بمكة فحبسه بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان: [من الطويل]

أرهطَ ابنِ أكّالٍ أجيبوا دُعاءَه ... تَفاقدتُم لا تُسلِموا السيّد الكَهْلا[2]

فإنَّ بني عمرو لئامٌ أذلّةٌ ... إذا لم يَفُكّوا عن أسيرهم الكَبْلا[3]

قال: فمشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبَره، وسألوه أن يعطيَهم عمرو بن أبي سفيان فيَفتكّوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلّى سبيلَ سعد بن النعمان.

ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه وإرساله زينب بنت رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك، وردّ زينب عليه بغير نكاحٍ جديد

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس، خَتَن رسول الله ﷺ، وزوْجُ ابنته زينب. أسره خِراش بن الصِّمة، أحد بني حَرام.

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة، فسألت خديجةُ رسولَ الله ﷺ أن يزوجه زينب، فزوجه بها، وذلك قبل أن ينزل الوحْي على رسول الله ﷺ، فكان معها وهو على شِرْكه وهي مسلمة.

---

(١) البقيع: مكان مقبرة أهل المدينة.
(٢) تفاقدتم: يدعو عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً.
(٣) الكبل: القيد.

فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها[١] بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة وقال: «إن رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا». قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردّوا عليها الذي بعثت به، وأخذ رسول الله ﷺ عليه أن يخلّي سبيل زينب، ولم يُظهر ذلك، ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: «كونا ببطن يَأجج[٢] حتى تمرّ بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها». فخرجا وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فتجهّزت لذلك، وقدّم لها حموها كنانةُ بن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكِنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها، وهي في هَوْدج لها، وتحدّث بذلك رجال قريش، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذي طُوى[٣]، فكان أوّل من سبق إليها هَبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى الفهريّ، فروّعها بالرمح وهي في هودجها، وكانت حاملاً فطَرحت، فنثر حموها كنانته ثم قال: والله ليدنو مني رجل إلا وضعتُ فيه سهماً، فتَكْركَر[٤] الناس عنه، ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جِلّة من قريش فقال: أيها الرجل، كُفّ عنا نبلَك حتى نكلّمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصِب، خرجتَ بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجْتَ له ببنته علانية على رؤوس الناس من بين أظهُرنا أن ذلك على ذُلّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووَهْن، ولعَمْري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثُؤرة[٥]، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد رددناها فسُلّها سراً وألْحِقْها بأبيها. قال: ففعل.

فأقامت لَيالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ، فأقامت عنده بالمدينة وفرّق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قُبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام ـ وكان رجلاً مأموناً ـ بمال له وأموال رجال من قريش، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقِيَته سريّة لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزَهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله

(١) أدخلتها بها: منحتها إياها ليلة زفافها.
(٢) يأجج: موضع على ثمانية أميال من مكة.
(٣) ذو طوى: وادٍ عند مكة.
(٤) تكركر: رجع.
(٥) الثؤرة: الثأر.

أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبّر وكبر الناس معه خرجت زينب من صفَّة النساء وقالت: أيها الناس، إني قد أَجَرْت أبا العاص بن الربيع. فلمَّا سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعتُ»؟ فقالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم، إنه يجيرُ على المسلمين أدناهم»، ثم انصرف رسول الله ﷺ ودخل على ابنته وقال: «أي بُنيّة، أكرمي مثْواه، ولا يخلُص إليك فإنك لا تُحِلّين له».

قال: وبعث رسول الله ﷺ إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: «إن هذا الرجلَ منّا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردّوا عليه الذي له فإنّا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فَيْء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به». قالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إنّ الرجل ليأتي بالدَّلو، ويأتي الرجل بالشَّنَّة[١] والإداوة[٢]، حتى إنّ أحدهم ليأتي بالشِّظَاظ[٣]، حتى ردّوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش مالَه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقيَ لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيًا كريماً؛ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن يظنّوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زينبَ على النكاح[٤] الأوّل، ولم يُحدِث شيئاً.

نرجع إلى تتمة أخبار أسارى بدر:

---

(١) الشنة: السقاء البالي.

(٢) الإداوة: إناء صغير من جلد.

(٣) الشِّظَاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالقين، والجمع: أشظة.

(٤) قال في الروض الأنف: ٢: ٨٣: «وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ ردَّ زينب على أبي العاص على النكاح الأول، لم يحدث شيئاً بعد سنين. ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ ردها عليه بنكاح جديد. وهذا الحديث هو الذي عليه العمل. وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسناداً عند أهل الحديث. لأن الإسلام كان قد فرق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: معنى ردها عليه على النكاح الأول أي على مثل النكاح الأول في الصداق والحباء، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره».

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المُغيرة

قد تقدّم أنه كان ممن أُسِر يوم بدرٍ، وكان الذي أسره عبد الله بن جحش ويقال: أسره سَليط بن قَيس المازنيّ الأنصاريّ، فقدم في فدائه أخواه: خالد وهشام، فتمنّع عبد الله بن جحش حتى افتكّاه بأربعة آلاف درهم. فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك، فقال هشام لخالد: إنه ليس بابن أمّك، والله لو أبَى فيه إلا كذاوكذا لفعلتُ. ويقال: إنّ النبي ﷺ قال لعبد الله بن جحش: لا تقبل في فِدائه إلا شِكّةَ أبيه الوليد ـ وكانت درعاً فَضْفَاضة وسيفاً وبَيْضة ـ فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويْه، فأُقيمَت الشكة بمائة دينار، فطاعا بها وسلّماها إلى عبد الله، فلما افتُدِيَ أسلَم، فقيل له: هلاّ أسلمت قبل أن تُفتَدى وأنت مع المسلمين؟ قال: كرهت أن تظنوا أني جزعت من الإسار فحبسوه بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا له من مستضْعَفِي المؤمنين، ثم أفلت ولحق برسول الله ﷺ وشهد عُمرة القَضِيّة[١]. حكاه ابن عبد البر[٢].

ذكر من منّ عليه رسول الله ﷺ من أسارى بدرٍ وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق: وكان ممن منَّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء: أبو العاص بن الربيع هذا الذي تقدم خبره. والمطّلب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيد المخزوميّ، وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فتُرِك في أيديهم حتى خلَّوْا سبيله، فلحق بقومه، وصَيفيّ بن أبي رفاعة المَخزوميّ، تُرِك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه، فأخذوا عليه العهد ليبعثَنَّ إليهم بفدائه وخلّوا سبيله، فلم يَفِ لهم بشيء، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذافة بن جُمَح[٣] كان محتاجاً ذا بنات فقال:

---

(١) عُمرة القَضِية: هي عمرة القضاء، ويقال لها عمرة القصاص؛ سميت بذلك لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً عليها. (انظر الروض الأنف: ٢: ٢٥٤).

(٢) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي المالكي، أبو عمر: (٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ ـ ١٠٧١ م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاثة يقال له: حافظ المغرب. ولد بقرطبة وتوفي بشاطبة. من كتبه: «الدرر في اختصار المغازي والسير»، و«الاستيعاب» مجلدان. (الأعلام: ٨: ٢٤٠).

(٣) عمرو بن عبد الله الجمحي: عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي، (. . . ـ ٣ هـ = . . . ـ ٦٢٥ م). شاعر جاهلي، من أهل مكة، أدرك الإسلام وأصر على الشرك يوم بدر، فأتي به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد علمت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وعيال، فامنن علي، ولك أن لا أظاهر عليك أحداً. فامتنّ عليه، فنظم قصيدة يمدحه بها، منها البيت المشهور:

فإنك من حاربته لمحارب شقي، ومن سالمته لسعيد

ثم خرج وسار في بني كنانة، واشترك مع عمرو بن العاص (قبل إسلامه) في استنفار القبائل، ونظم =

يا رسول الله، لقد عرفتَ ما لي من مال، وإني لذو حاجة وذو عِيال، فامنُن عليّ، فمنّ عليه وأخذ عليه ألاّ يظاهر عليه أحداً؛ فقال أبو عَزّة في ذلك: [من الطويل]

مَن مبلِغٌ عنّي الرسولَ محمداً ... فإنك حقٌّ والمليكُ حَميدُ

وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحقّ والهدَى ... عليك من الله العظيم شهيدُ

وأنت امرؤٌ بُوِّئتَ فينا مَباءةً ... لها درجاتٌ سهلةٌ وصُعودُ[(١)]

فإنك مَنْ حاربتَه لمحارَبٌ ... شقيٌّ ومن سالَمتَه لَسعيدُ

ولكنْ إذا ذُكِّرتُ بدراً وأهلَه ... تأوّب ما بي حَسْرةٌ وقُعودُ[(٢)]

ومنهم وهب بن عُمير الجُمحي، ولإطلاقه سبب نذكره.

ذكرُ خبرِ عُمَير بن وهْب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عمير

قال ابن إسحاق في سبب إطلاق وهب بن عمير: إنّ أباه عمير بن وهب بن خلَف بن حُذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب جلس مع صَفوان بن أمية في الحِجْر بعدُ مصاب أهل بدر بيسير ـ قال: وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابَه، ويَلْقَوْن منه عَناء وهو بمكة ـ فذكر أصحاب القَلِيب[(٣)] ومُصابَهم. فقال صفوان: والله إنْ في العيش بعدهم خير، فقال عمير: صدقتَ والله، أما والله لولا دَيْن عليّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضَّيْعة[(٤)] بعدي، لركِبت إلى محمد حتى أقتلَه، فإن لي قِبلهم عِلة؛ ابني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان فقال: عليّ دَينُك، أنا أقضيه عنك، وعيالُك مع عيالي أواسيهم ما بقُوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم، قال له عمير: فاكتُم عليّ شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ[(٥)] له، ثم سُمّ، ثم انطلق حتى قدِم المدينة، فبينما

= شعراً يحرض به على قتال المسلمين. ثم أسره المسلمون. فقال: يا رسول الله منَّ علي فقال النبي ﷺ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. وأمر به عاصم بن ثابت، فضرب عنقه. (الأعلام: ٥: ٨٠).

(١) بوِّئت فينا مباءة: نزلت فينا منزلة.

(٢) تأوب: رجع.

(٣) القليب: البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر.

(٤) الضَّيعة: الهلاك.

(٥) شحذ السيف: سنّه.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، إذ نظر إلى عُمير حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف، فقال عمر: هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهب ما جاء إلا لشرّ، وهذا الذي حرّش[١] بيننا وحَزرنا[٢] للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله، هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشّحاً بسيفه، قال: فأدخلّه عليّ، فأقبل عمر حتى أخذ بحِمالة سيفه في عنقه فلبَّبه[٣] بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير، فدنا ثم قال: انعمُوا صباحاً ـ وكانت تحيَّةَ أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عمير، بالسلام تحيّة أهل الجنة؛ قال: أما والله إنْ كنتَ يا محمد بها لحديثَ عهد؛ قال: فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأَحسِنُوا فيه؛ قال: فما بالُ السيف في عنقك؟ قال: قبَحَها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال: اصدُقني، ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك؛ قال: بل قعدتَ أنت وصفوانُ بن أميّة في الحِجْر فذكرتما أصحاب القَلِيب من قريش ثم قلتَ: لولا دَين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمَّل لك صفوان بدَينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك. قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله تكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد الله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المَساق، ثم شهِدَ شَهادة الحقّ. فقال رسول الله ﷺ: «فقِّهوا أخاكم في دينه، وأقرِئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديدَ الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحبّ أن تأذن لي فأقدمَ مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يَهديهم، وإلا آذيتُهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابَك في دينهم. قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية يقول لقريش: أبشروا بوقْعة تأتيكم الآن في أيام، تُنسِيكم وقعة بدر، وكان يسأل عنه الرُّكبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع.

---

(١) حرَّش: أفسد.

(٢) الحزر: تقدير العدد تخميناً.

(٣) لببه: حزمه.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويُؤذي مَنْ خالفه أذًى شديداً، فأسلم على يديْه ناس كثير.

قال ابن إسحاق: وعُمير بن وهب أو الحارث بن هشام، قد ذُكر أن أحدهما الذي رأى إبليس حين نَكص[1] على عَقِبيه يوم بدر، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] وكان إبليس قد تشبّه لقريش بِسُراقة بن مالك بن جُعْشُم وقال: أنا جارٌ لكم من بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة، كما قدّمنا ذكرَ ذلك، قال: وكانوا يَروْنه في كل منزل في صورة سُرَاقة لا يُنكرونه. فلما التقى الجمعان يوم بدر ورأى إبليسُ الملائكة نكَص على عقبيه وقال لهم ما قال.

وقد أخذت هذه الغزوة حقَّها من البسْط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل الاختصار، فلْنذكرْ غيرها من الغزوات والسّرايا. والله المستعان.

ذكر سرية عُمير بن عديّ بن خَرَشَة الخَطْمِيّ إلى عَصماء بنت مروان من بني أميّة بن زيد[2]

قال محمد بن سعد: كانت سريّة عُمير لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على رأس تسعةَ عَشَرَ شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، قال: وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطْمي، وكانت تعيب الإسلام وتُؤذي النبيّ ﷺ وتحرّض عليه، وتقول الشعر، فجاءها عُمير بن عَدِيّ في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نَفَر من ولَدها نيام، منهم من تُرضعه في صدرها، فجَسَّها بيده - وكان ضريرَ البصر - ونَحّى الصّبيّ عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبيّ ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: قتلْتَ بنتَ مرْوان؟ قال: نعم، فهل عليّ في ذلك شيء؟ قال: لاَ ينْتَطِح فيها عنزان[3].

---

(١) نكص: رجع عما كان عليه، أحجم.

(٢) عمير بن عدي: عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة. ذكره ابن السكن في الصحابة. كان أول من أسلم من بني خطمة وهو الذي قتل عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، كانت تعيب الإسلام وأهله فقتلها عمير بن عدي ومن يومئذٍ عز الإسلام وأهله بالمدينة. ولما قتلها عمير قال النبي ﷺ: «لا ينتطح فيها عنزان»، فكان أول من قالها فسار بها المثل. وكان ذلك لخمس بقين من رمضان من السنة الثانية. (الإصابة ٣: ٣٣ رقم الترجمة ٦٠٤٣) نسبتها إلى بني أمية بن زيد الأنصاري؛ قيل لأنها حليفتهم أو لكون زوجها منهم. انظر الزرقاني: ١: ٥٤٦.

(٣) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا الفعل لا يكون له تغيير، ولا له نكير، أي لا يختلف فيه اثنان. انظر مجمع الأمثال: ٢: ١٤٨.

قال محمد بن إسحاق: فرجع عمير بن عديّ إلى قومه، وبنو خطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم[(١)] في شأن ابنة مرْوان، ولها يومئذٍ بنون خمسة رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنةَ مروان، فَكِيدُوني جَميعاً ثم لا تُنْظِرون[(٢)]. قال: فذلك اليوم أوّلُ ما عزّ الإسلامَ في دار بني خطمة، وكانَ من أسلمَ منهم يَستخفِي بإسلامه، وعمير هو أوّل من أسلم من بني خطمة. قال: وأسلم يوم قتلها رجالٌ من بني خطمة لما رأوا من عزّ الإسلام.

ذكر سريّة سالم بن عُمَير العَمْريّ إلى أبي عَفَك اليهوديّ

قال ابن سعد: كانت سريّة سالم في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وكان أبو عَفَك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرّض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير - وهو أحد البكّائين[(٣)] وقد شهد بدراً -: عليّ نَذرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه؛ فجاء وقد نام أبو عفك بالفناء في ليلة صائفة، فوضع السيف على كبده، ثم اعتمد عليه حتى خَشَّ في الفراش، فصاح عدوّ الله، فثار إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقَبروه.

ذكر غزوة بني قَيْنُقاعَ (وهي بضم النوم وقيل بكسرها)

غزاها رسول الله ﷺ في يوم السبت النصف من شوّال على رأس عشرين شهراً من مهاجَره.

قال ابن سعد: وكانوا حلفاء عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، وكانوا أشجعَ يهود، وكانوا صاغةً، فوادعوا رسول الله ﷺ، فلما كانت وقعةُ بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العَهد والمدّة، فأنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۝﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق في سبب غزوة بني قَينقاع: إن رسول الله ﷺ جَمَعهم بسوق بني قَينقاع[(٤)] ثم قال: يا معشر يهودَ، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقريش

---

(١) موجهم: اضطرابهم وتحيرهم.

(٢) تنظرون: تؤخرون.

(٣) البكاءون: سبعة نفر أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً. فسموا البكائين. راجع القرطبي: ٨: ٢٢٨.

(٤) بنو قينقاع: اسم لشعب من اليهود الذي كانوا بالمدينة أضيفت إليهم سوق كانت بها، فيقال: سوق بني قينقاع.

من النّقمة، وأَسلِموا، فإنكم قد عَرفتم أنّي نبيّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهدِ الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، لا يَغُرَّنَّك أنك لقِيتَ قوماً لا علمَ لهم بالحرب فأصبتَ منهم فُرصة، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس. فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٣﴾ [آل عمران: ١٢ـ ١٣].
حكاه ابن إسحاق بسندٍ يرفعه إلى ابن عباس.

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة: إنّ امرأة من العرب حَلّت بجَلَب[1] لها، فباعتْهُ بسوق بني قَينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كَشف وجهِها، فأبت، فعمَد الصائغ إلى طَرف ثوبها فعقَدَه إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتُها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثَب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرَخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأَغضبهم، فوقع الشر بينهم وبين بني قَينقاع.

عُدنا إلى مَساق حديث ابن سعد؛ قال: فسار رسول الله ﷺ إليهم، وحمل لواءَه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا لُبَابة بن عبد المنذر، ثم سار إليهم فحاصرهم خمسَ عشْرة ليلة إلى هِلال ذي القعدة، وكانوا أوّلَ من غدر من اليهود، وحاربوا وتَحصّنوا في حِصنهم، فحاصرهم أشدّ الحصار، حتى قَذَف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ، وأن لرسول الله ﷺ أموالَهم، وأن لهم النساءَ والذُّرِّيّة، فأمر بهم فكُتِّفوا، واستعمل على كِتافهم المنذر بن قُدامة السَّلْمي. فكلّم عبد الله بن أُبيّ فيهم رسولَ الله ﷺ وألَحّ عليه، فقال: خذهم، لعنهم الله؛ وتركهم من القتل، وأمرَ بهم أن يُجْلوا من المدينة، وولّى إخراجَهم منها عُبادة بن الصامت، فَلحِقوا بأَذْرِعات[2]، فما كان أقلَّ بقاءَهم فيها.

وقال ابن إسحاق في خبر عبد الله ابن أُبَيْ بن سلول: إنه قام إلى رسول الله ﷺ حين أمكنه الله من بني قَينقاع، فقال: يا محمد، أَحْسِن في مَواليَّ. وكانوا حلفاءَ الخزرج، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ. قال: فأعرَض عنه. قال: فأدخلَ يده في جيب دِرع النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أَرْسلني، وغضِب حتى ظهر ذلك في وجهه، ثم قال: ويحك! أرسلني، قال: لا والله

---

(١) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع.
(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء.

لا أُرسلك حتى تحسن في مواليّ، أربعمائة حاسر[١] وثلاثمائة دارع[٢]، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غَداةٍ واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

وحكي أيضاً قال: كان لبني قَينقاع من عُبادة بن الصامت من الحِلفِ مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ، فمشى عبادة إلى رسول الله ﷺ وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حِلفهم، وقال: أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ووِلايتهم. فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبيّ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] وذلك لعبادة بن الصامت.

قال محمد بن سعد: وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسِيّ: الكَتُوم، كُسِرت بأُحد، والرَّوْحاء، والبَيْضاء، وأخذ دِرْعَين: الصُّغْديّة، وأخرى فضّة؛ وأخذ ثلاثة أسياف: سيف قَلَعِيّ[٣]، وسيف يقال له: بتّار، وسيف آخر؛ وثلاثة أرماح، ووجد في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصِّياغة، فأخذ ﷺ صفيه[٤] والخمسَ، وفضَّ[٥] أربعة أخماس على أصحابه، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمدُ بن مَسْلَمة.

ذكر غزوة السَّوِيق

قال محمد بن سعد: خرج رسول الله ﷺ من المدينة لخمسٍ خلَوْن من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجره، واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرّم الدُّهن حتى يثأر من محمد وأصحابه.

قال ابن إسحاق: نذر ألا يمسّ رأسَه ماء من جنابة[٦] حتى يغزو محمداً ﷺ.

---

(١) الحاسر: الذي لا درع له.
(٢) الدارع: الذي عليه الدرع.
(٣) سيف قلعي: منسوب إلى القلعة، وهي موضع بالبادية تنسب السيوف إليه.
(٤) الصفي: ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة.
(٥) يقال: فض الشيء على القوم أي قسمه وفرّقه بينهم.
(٦) قال السّهيلي في الروض الأنف: «إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقي معهم الحج والنكاح».

قال ابن سعد: فخرج في مائتي راكب، وقيل: في أربعين راكباً، فمرّ بالعُرَيْض[١]، ـ بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال ـ فقتل رجلاً من الأنصار، وأَجِيراً له، وحرّق أبياتاً هناك وتِبْناً، ورأى أن يمينَه قد حُلّت، ثم ولّى هارباً، وبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفّفون للهرب فيلقون جُرب السويق[٢] وهي عامّة أزوادهم، فأخذها المسلمون، فسمِّيت غزوة السويق، ولم يلحقهم وانصرف. وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام.

قال محمد بن إسحاق: بلغ قَرْقَرة الكُدْر[٣] ثم انصرف راجعاً، فقال المسلمون حين رجع بهم: يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

ذكر غزوة قَرْقَرة الكُدْر ويقال قَرارة الكُدْر وهي غزوة بني سُلَيم

غزاها رسول الله ﷺ للنّصف من المحرّم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجَره، وهي ناحية معدِن بني سليم، وبينه وبين المدينة ثمانية بُرُد، واستخلف على المدينة عبد الله ابن أمّ مكتوم، وحمل لواءه عليّ بن أبي طالب، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أن بهذا الموضع جمعاً من بني سُلَيم وغطفان، فسار إليهم فلم يجد في المحالّ أحداً، ووجد رِعاء[٤] منهم غلام يقال له: يسار، فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بالنعم فانحدر به إلى المدينة، فاقتسموا غنائمهم بصِرَار، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النّعم خمسمائة بعير، فأخرج خَمسَة وقسم أربعة أخماس على المسلمين، فأَصاب كلَّ رجل منهم بعيران، وصار يسار في سهم النبيّ ﷺ، فأعتقه حين رآه يصلي. وكانت غيبة رسول الله ﷺ عن المدينة خمس عشرة ليلة.

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ وخبر سريّته

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعدِ ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ: كانت سريّة قتل كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل على رأس خمسة وعشرين شهراً من هجرة

---

(١) العُرَيض: وادي المدينة.

(٢) السويق: قمح أو شعير، يقلى ثم يطحن.

(٣) قَرْقَرة الكُدْر: قال الواقدي: «بناحية المعدن، بينها وبين المدينة ثمانية برد». وقال غيره: «ماء لبني سليم». راجع معجم البلدان، مادة: «كدر».

(٤) رعاء: جمع راع.

رسول الله ﷺ. وذلك أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبي ﷺ وأصحابَه ويحرّض عليهم ويؤذيهم، وكان لما بعث رسول الله ﷺ زيدَ بن حارثة إلى أهل السافلة وعبدَ الله بن رَواحة إلى أهل العالية بشيرين إلى مَن بالمدينة من المسلمين بخبر بدر، فقال كعب بن الأشرف ـ وكان رجلاً من طيىء، ثم أحدَ بني نَبْهان، وكانت أمّه من بني النَّضِير[١] ـ: أحَقٌّ هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبَطْن الأرض خيرٌ من ظهرها.

فلما تيقّن الخبرَ خرج حتى قدِم مكة فنزل على المطّلب بن أبي وَداعة السّهْميّ، وجعل يحرِّض على رسول الله ﷺ ويُنشد الأشعار[٢] ويبكي أصحابَ القَلِيب من قريش.

ثم رجع إلى المدينة فشبَّب[٣] بنساء المسلمين حتى آذاهم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت»؛ وقال: «من لي بابن الأشرف فقد آذاني»؟ فقال محمد بن مسلمة، أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله؛ قال: «فافعلْ إن قدرتَ على[٤] ذلك». فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُمسِك رمقَه؛ فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال له: «لِمَ تركتَ الطعامَ والشّراب»؟ فقال: يا رسول الله؛ قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أو لا؟ قال: «إنما عليك الجَهْد» قال: يا رسول الله؛ لا بدّ لنا من أن نقول، قال: «قُولوا ما بدا لكم، فأنتم في حلّ من ذلك». فاجتمع على قتله محمد بن مَسْلمة، وأبو نائِلة سِلْكان بن سلامة بن وَقْش ـ وكان أخا كعب من الرّضاعة ـ وعبّاد بن بِشْر بن وقش، والحارث بن أوس بن مُعاذ، وأبو عبْس بن جَبْر، أخو بني حارثة، فقدّموا إليه سِلْكان بن سلامة، فجاءه فتحدّث معه ساعة، وتناشدا شعراً، ثم قال أبو نائلة سِلكان: ويحك يا بن الأشرف! إني قد جِئتك لحاجة أريد ذكرَها لك، فاكتم عني؛ قال: أفعلُ، قال: قد كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوسٍ

(١) كعب بن الأشرف: قال صاحب الأغاني: ١٩: ١٠٦. طبع بولاق: «كعب بن الأشرف مختلف في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيىء، وأمه من بني النضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النضير، وكان شاعراً فارساً» الخ.

(٢) راجع هذه الأشعار في سيرة ابن هشام: ٣: ٥٥ ـ ٥٧ طبعة الحلبي، بمصر.

(٣) يروى أنه شبب بأم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب. راجع الطبري: ٣، ٤ ص ١٣٦٩.

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢: ١٢٣: «في هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبي ﷺ وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا».

واحدة، وقُطِعَت عنا السُّبُل حتى ضاع العِيال، وجُهِدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهدنا وجهد عيالنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلكان: إنّا نريد التّنحيَ منه، ومعي رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيكَ بهم، فنبتاع منك طعاماً وتمراً، ونرهنك ما يكون لك فيه ثِقة ووفاء؛ فقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أشبّ[١] أهل يثرِب وأعْطرُهم؛ فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتَ أن تفضحنا وأن يُعيّر أبناؤنا؛ فيقال: هذا رهِينة وَسْقٍ[٢]، وهذا رهِينة وسقين، ولكنّا نرهنُك سلاحنا وقد علمتَ حاجتنا إلى السلاح؛ فقال: نعم إن في الحلقة[٣] لوفاءٍ، وإنما أراد سِلْكان ألا يُنكرَ السلام إذا جاءوا بها، ثم رجع سِلكان إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله ﷺ، ففعلوا.

ومشى معهم رسول الله ﷺ إلى بَقِيع[٤] الغَرْقَد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أَعِنْهم. ورجع ﷺ إلى بيته، وتوجّهوا، وكانت ليلة مقمرة، حتى انتهوا إلى حِصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهدٍ بعرسٍ، فوثب في مِلْحفَته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة؛ قال: إنّه أبو نائلة، لو وجدني نائماً ما أيقظني؛ فقالت: والله لأعرفُ في صوته الشّر، فقال لها: لو يُدعى الفتى لطعْنة لأجاب.

وفي حديث البخاريّ[٥] من رواية سُفيان عن عمرو عن جابر بن عبد الله قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورَضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بِلَيل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدّثوا معه ساعة، ثم قالوا: هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب[٦] العجوز فنتحدّث به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم، فخرجوا يتماشَوْن، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة يده

---

(١) أشب: أفضلهم شباباً.

(٢) الوسق: حمل البعير.

(٣) يريد «بالحلقة»: السلاح كله، وقيل: هي الدرع خاصة.

(٤) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٥) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ = ٨١٠ ـ ٨٧٠ م): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ. صاحب «الجامع الصحيح» المعروف: بصحيح البخاري. ولد في بخارى، ونشأ يتيماً وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب الحديث. مات في سمرقند، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها. (الأعلام: ٦: ٣٤).

(٦) شعب العجوز: بظاهر المدينة.

في فود رأس ابن الأشرف، ثم شمّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طِيباً أعْطَرَ قَطّ من هذا! فقال: هذا عِطْر أمّ فلان، يريد امرأته، ثم مشى قليلاً وعاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفَوْد رأسه وقال: اضربوا عدوّ الله. فضربوه، فاختلفت عليه أسيافُهم فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مِغولاً[١] في سيفي حين رأيت أسيافنا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبْق حولنا حِصن إلا أوقِدت عليه نار، فوضعته في ثُنَّته[٢] ثم تحاملت عليه حتى انتهى إلى عانته[٣]. ثم حزّوا رأسه وحملوه معهم؛ وأصيب الحارث بن أوس، فجرح في رأسه أو رِجله، أصابه بعض أسياف أصحابه قال محمد بن مسلمة: فخرجنا حتى سَلَكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قُريظة ثم على بُعَاث[٤] حتى استندنا في حَرّة العُريض[٥]، وقد أبطأ علينا الحارث، ونزَفه[٦] الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا فاحتملناه وجئنا به.

قال ابن سعد: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبّروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبّر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «أفلحتِ الوجوه» قالوا: وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله.

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة: وتفلَ رسول الله ﷺ على جرح صاحِبنا فبرأ، فرجعنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعَتِنا بعدوّ الله، فليس بها يهوديّ إلا وهو خائف على نفسه.

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عبّاد بن بِشْر[٧]: [من الوافر]

---

(١) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه.
(٢) الثنة: ما بين السرة والعانة.
(٣) في الأصول: «غايته»، وهو تصحيف. انظر شرح المواهب: ٢: ١٥.
(٤) بُعاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية. وفي رواية أخرى: «بعاث».
(٥) حرة العريض: الأرض الصلبة الغليظة التي البستها حجارة سود نخرة والعريض: وادي المدينة.
(٦) نزفه الدم: خرج منه كثيراً حتى ضعف.
(٧) عباد بن بشر: عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: (٣٣ ق هـ ـ ١٢ هـ = ٥٩١ ـ ٦٣٣ م) صحابي من أبطالهم أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها. وكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى القبائل يصدّقها (يجمع الصدقات) وجعله على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتبوك. استشهد يوم اليمامة. (الأعلام: ٣: ٢٥٧).

صرختُ به فلم يَعرض لصوتي ... وأوفى طالعاً من رأس جَذْرٍ[١]
فعُذْتُ له فقالَ من المنادي ... فقلت أخوك عبّاد بن بِشْرِ
وهَذي درعُنا رهْناً فخذْها ... لشهر إن وفى أو نصفِ شهرِ
فقال معاشرٌ سَغِبوا وجاعوا ... وما عدِموا الغنى من غير فقرِ[٢]
فأقبل نحونا يهوِي سريعاً ... وقال: أما لقد جئتم لأمرِ
وفي أيْمانِنا بيضٌ حِدادٌ ... مجرّبة بها الكفارَ نفرِي[٣]
فعانقَه ابنُ مسلمة المردّى ... به الكفارُ كالليث الهِزَبرِ[٤]
وشدّ بسيفه صَلْتاً عليه ... فَقَطَّره أبو عبْس بن جَبْرِ[٥]
فكان الله سادسَنا فأُبْنا ... بأنعَم نعْمةٍ وأعزّ نصْرِ[٦]
وجاء برأسه نَفَرٌ كرامٌ ... هُمُ ناهيك من صِدْق وبِرِّ

ذكر غزوة غَطَفان إلى نجد
(وهي غزوة ذي أَمَر[٧]؛ ناحية النُّخَيل، وقصة دُعْثُور بن الحارث[٨])

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل[٩] على رأس خمسة وعشرين شهراً من مُهاجَرِه، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بذي أَمَر تجمَّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ. جمعهم رجل منهم يقال له: دُعْثُور بن الحارث من بني محارب، فندب رسول الله ﷺ الناس، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في أربعمائة وخمسين رجلاً، ومعهم أفراس،

---

(١) الجدر: الحائط.
(٢) معاشر: أناس. سغبوا: لم يعد عندهم ما يأكلونه.
(٣) البيض الحداد: السيوف القاطعة.
(٤) أرداه: قتله، الهزبر: من أسماء الأسد.
(٥) قطره: أسال دمه.
(٦) أبنا: عدنا.
(٧) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة «غزوة ذات الرقاع». وقال في سبب هذه التسمية: «إنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم؛ ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع».
(٨) في سيرة ابن هشام: «غورث بن الحارث». وفيه روايات أخرى. راجع المواهب اللدنية: ٢: ١٧.
(٩) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره.

واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فأصابوا رجلاً منهم بذي[١] القَصَّة يقال له جَبّار من بني ثعلبة، فأُدخِل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم وقال: لن يُلاقوك، لو سمِعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأسلم وضمّه إلى بلال، ولم يلاق ﷺ أحداً.

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيْهقيّ[٢]، رحمه الله: وهربت منه الأعراب فوق ذِرْوة من الجبال، ونزل رسول الله ﷺ ذا أمرَ وعسكرَ به فأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله ﷺ لحاجته، فأصابه ذلك المطر فبَلَّ ثوبه، وقد جعل رسول الله ﷺ واديَ ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجفّ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ﷺ، فقالت الأعراب لدُعثور، وكان سيّدَها وأشجعَها: قد أمكنك محمد، وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوّث[٣] بأصحابه لم يُغث حتى تقتلَه؛ فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد، من يمنعك منّي اليوم؟ قال: الله. ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه، فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني. قال رسول الله ﷺ: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه، فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك رأيي، ولكن نظرت إلى رجل أبيض[٤] طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه مَلَك، وشهدت أن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه؛ وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١] الآية. ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

ذكر غزوة بني سُلَيم ببُحْران[٥]

غزاها رسول الله ﷺ لستّ خلون من جمادي الأولى على رأس سبعة وعشرين

---

(١) ذو القَصَّة: موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة.

(٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٦ م) من أئمة الحديث، ولد في خسرو جرد ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات، ونقل جثمانه إلى بلده. (الأعلام: ١: ١١٦).

(٣) غوث: قال: واغوثاه.

(٤) أراد جبريل.

(٥) بحران: موضع بناحية الفرع. وفي الأصل: «بنجران».

شهراً من مُهاجَرِه - وبحران من ناحية الفُرع[١]، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد - وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أمّ مكتوم وأغذّ[٢] السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال.

ذكر سريّة زيد بن حارثة إلى القَرَدَة (بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله ﷺ لهلال جمادي الآخرة، على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة، وهي أوّل سريّة خرج زيد فيها أميراً يعترض لعير قريش فيها صَفْوان بن أميّة، وحُوَيْطب بن عبد العزّى، وعبد الله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليلَهم فراتُ ابن حَيّان العِجْليّ، فخرج بهم على ذاتِ عِرْق[٣]، طريق العراق.

قال ابن إسحاق: وفيها أبو سفيان بن حرب، وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق، فخرج منهم تُجّار، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضّة كثيرة، وهي أعظم تجارتهم.

قال ابن سعد: فبلغ النبيّ ﷺ ذلك، فوجّه زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعترضوا لها، فأصابوا العِير وأفلت أعيانُ القوم، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ فخمَّسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي بين أهل السريّة، وأُسِر فُرات بن حيّان، فأسلم، فتُرِك من القتل.

والقَردة: من أرض نجد بين الربذة والغَمْرة.

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت غزوة رسول الله ﷺ أحداً يوم السبت لسبع خلون من شوّال، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مُهاجَرِه ﷺ.

وقال ابن إسحاق: كانت يوم السبت للنصف من شوّال.

وذلك أن قريشاً لما أُصِيب من أُصِيب منهم يوم بدر، ورجع من نجا منهم إلى مكة، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة، فمشت

(١) الفرع: قرية من ناحية المدينة، ويقال: هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة.
(٢) أغذ: أسرع.
(٣) ذات عرق: هو منزل معروف من منازل الحاج، يحرم أهل العراق بالحج منه سمي به لأنه فيه عرقاً وهو الجبل الصغير. (اللسان: عرق).

أشراف قريش إلى أبي سُفيان، فقالوا: نحن طيِّبو أنفس أن تجَهّزوا بربْح هذه العِير جيشاً إلى محمد؛ فقال أبو سفيان: وأنا أوّل من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد مناف معي؛ فباعوها فكانت ألف بعير، والمالُ خمسين ألف دينار، فسلّم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً.

قال ابن سعد وغيره: وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦] وبَعثت قريشُ رُسلَهم إلى العَرب يَدعُونهم[١] إلى نَصرِهم فأَوْعَبُوا[٢] وأَلَبُوا[٣].

قال ابن سعد: وكتب العبّاس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ بخبر قريش، فأخبر رسولُ الله ﷺ سعدَ بن الربيع بكتاب العباس. وأرْجَفَ[٤] المنافقون واليهود بالمدينة، وخرجت قريش من مكة بِحَدِّها[٥] وجَدِّها وأحابيشها[٦]، ومن تابَعها من كنانة وأهل تهامة، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، وخرجوا معهم بالظُّعن[٧] التماسَ الحفيظة[٨]، وألا يفرّوا، وكان معهم خمسَ عشرة امرأة، فخرج أبو سفيان بن حرب ـ وهو قائد الناس ـ معهم هند بنت عتبة، وخرج عِكْرمة بن أبي جهْل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صَفوان بن أميّة ببرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثَّقفيّة، وهي أم عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص بريْطة بنت مُنبّه بن الحجّاج، وهي أم عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة ـ عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار ـ بسُلافة بنت سعد بن شُهَيد[٩] الأنصاريّة، وخرجت خُنَاس بنت مالك بن المُضرِّب[١٠] مع ابنها أبي

---

(١) في الأصول: «يدعوهم».
(٢) أوعبوا: خرجوا كلهم إلى الغزو.
(٣) ألبوا: أتوا من كل جانب.
(٤) أرجف القوم: اختلقوا أخباراً كاذبة يكون معها اضطراب في الناس.
(٥) بحدها وجدها: بغضبها وعظمتها.
(٦) أحابيش قريش: قوم من بني المصطلق والهون بن خزيمة، اجتمعوا وحالفوا قريشاً عند حبشي، وهو جبل بأسفل مكة، فسموا به.
(٧) الظُّعن: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج.
(٨) الحفيظة: الحمية والغضب.
(٩) كذا في السيرة، والطبري في «الأصول»: «سهيل». وفي رواية الطبري: «سهيد».
(١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبري. وفي الأصول: «النضر».

عزيز بن عُمير، وخرجت عَمْرة بنت عَلقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مَناة.

قال محمد بن إسحاق: ودعا جُبير بن مُطعم غلاماً له حَبشيًّا، يقال له: وحشيّ، يقذف بحرْبة له قذْف الحبشة، قَلّما يُخطىء بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمّي طُعيمة بن عدي فأنت عتيق.

فكانت هند بنت عتبة كلّما مرّت بوحشيّ أو مر بها، قالت: وَيْهاً[١] دُسْمة؛ اشْف واستشْفِ، وكان وحشيّ يكنى بأبي دسمة.

قال ابن سعد: وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحُلَيْفة، فبعث رسول الله ﷺ أَنَساً ومُؤْنِساً ابنَي فَضَالة، ليلة الخميس لخمس مضين من شوّال عيْنَين له، فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم، وأنهم قد خلّوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعُرَيض[٢] حتى تركوه ليس به خضراء، ثم بعث الحُبابَ بن المنذر بن الجموح فدخل فيهم فحزَرهم[٣]، وجاءه بعلمهم، وبات سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضير، وسعد بن عُبادة في عِدَّة ليلة الجمعة، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ، وحُرِست المدينة حتى أصبحوا، ورأى رسول الله ﷺ تلك الليلة كأنّه في دِرعٍ حَصِينة، وكأنّ سيفَه ذا الفَقار قد انقصم من عند ظُبته[٤]، وكأن بقراً تُذبَح، وكأنه مُرْدِفٌ كَبْشاً فأخبر بها أصحابه وأوّلها[٥]، فقال: أما الدّرع الحصينة فالمدينة، وأما انْقِصام سيفي فمصيبة في نفسي، وأما البقر التي تذبح فقتل في أصحابي، وأما مُردِف كبْشاً، فكبْش الكَتيبة يقتله الله إن شاء الله: فكان رأي رسول الله ﷺ ألا يخرج مِن المدينة لهذه الرؤيا، فأحبّ أن يُوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج. فأشار عبد الله بن أبيّ بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك رأي الأكابرِ من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراريّ في الآطام[٦]. فقام فِتيان أحداث لم يشهدوا بدراً، فطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوّهم ورغِبوا في الشهادة، وقالوا: اخرج بنا إلى عدوّنا لا يروْن أنّا قد جبُنّا عنهم وضعُفْنا. فغَلبوا على الأمر، فصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس، ووعظهم وأمرهم بالجدّ والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيُّؤ لعدوّهم، ففرح الناس بالشخوص،

---

(١) ويها: كلمة معناها الإغراء والتحضيض. والدسمة: السواد.
(٢) العريض: وادٍ بالمدينة.
(٣) الحزر: العد بالظن والتخمين.
(٤) ظبطه: طرفه.
(٥) أوّلها: فسرها.
(٦) الآطام: الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة.

ثم صلى بالناس العصر، وقد حَشَدوا، وحضر أهلُ العَوالي[١]، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر، فعمَّماه وأَلْبَساه[٢]، وصفّ[٣] الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فرُدّوا الأمر إليه. فخرج رسول الله ﷺ قد لبس لأْمتَه[٤]، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمِنْطَقة من أَدَم من حمائل سيفه، واعتمّ وتقلّد السيف، وألقى التُّرس في ظهره، فندموا جميعاً على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال ﷺ: لا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأْمتَه أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، فانظروا ما آمركُم به فافعلوا وامْضُوا على اسم الله، فلكم النصر ما صَبَرتم. ثم دعا بثلاثة أرماح، فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء المهاجرين إلى عليّ بن أبي طالب، ويقال: إلى مصعب بن عُمَير[٥]، ودفع لواء الأوس إلى أُسيد بن حُضَير[٦]، ودفع لواء الخزرج إلى الحُبَاب بن المنذر[٧]، ويقال: إلى سعد بن عُبادة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أمّ مَكتوم، ثم ركب فرسه وتنكَّب[٨] القَوس، وأخذ قناة بيده، والمسلمون عليهم السلاح قد أظهروا الدروع، فيهم مائة دارع، وخرج السَّعدانِ أمامه، يعدُوان، سعدُ بن معاذ، وسعد بن عُبادة، كل منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله، فمضى حتى إذا كان بالشَّيْخيْن ـ وهما أُطمان، كان يهودي ويهودية يقومان عليهما يتحدّثان، فلذلك سمّيا بالشيخينِ، وهما في طرف المدينة ـ التفت فنظر إلى كتيبة خَشْناء[٩] لها

---

(١) العوالي: قرى بظاهر المدينة.

(٢) في الأصول: «لبان» وهو تحريف.

(٣) صف: اصطف.

(٤) اللأمة: الدرع، أو السلاح كله.

(٥) مصعب بن عُمير: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي من بني عبد الدار (... ـ ٣ هـ = ... ـ ٦٢٥ م) شجاع، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة. وهرب مع من هاجر إلى الحبشة. وهاجر إلى المدينة. شهد بدراً؛ وحمل اللواء يوم أحد. (الأعلام: ٧: ٢٤٨).

(٦) أُسَيْد بن حُضير: أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأسدي، أبو يحيى: (... ـ ٢٠ هـ = ... ـ ٦٤١ م) صحابي، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام. يعد من عقلاء العرب وذي الرأي فيهم. شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحداً فجرح سبع جراحات. وشهد الخندق والمشاهد كلها. توفي في المدينة. (الأعلام: ١: ٣٣٠).

(٧) الحُباب بن المنذر: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، الخزرجي، ثم السلمي؛ صحابي، من الشجعان الشعراء، قال له: «ذو الرأي» هو صاحب المشورة يوم أحد. وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر، وقد زاد على الخمسين. (الأعلام: ٢: ١٦٣).

(٨) تنكب القوس: ألقاه على منكبه.

(٩) كتيبة خشناء: كثيرة السلاح، خشنته.

زَجَل[١]، فقال: ما هذه؟ قالوا: حلفاء ابن أبيّ من يهود. فقال ﷺ: لا تستنصِروا بأهل الشّرك على أهل الشرك. وعرض من عرض بالشيخين، فردّ من ردّ، وأجاز من أجاز.

قال محمد بن إسحاق: أجاز رسول الله ﷺ يومئذٍ سَمُرة[٢] بن جُنْدُب الفزاري، ورافع بن خَديج أحدَ بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسول الله إن رافعاً رام، فأجازه، فقيل له: إن سمرة يصرع رافعاً، فأجازه. وردّ رسول الله ﷺ أُسامةَ بن زيد[٣]، وعبد الله بن عمر بن الخطاب[٤]، وزيد بن ثابت[٥]، والبراء بن عازب[٦]، وعمرو بن حَزم[٧]، وأُسَيْد بن ظُهَيْر[٨]، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة، وردّ عَرَابة بن أوس وهو الذي يقول فيه

---

(١) الزجل: الجلبة والضوضاء.

(٢) في الأصل: «تمرة» وهو تحريف.

(٣) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة. يكنى أبا محمد ويقال أبو زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ. ولد في الإسلام، ومات النبي ﷺ وله عشرون عاماً. وكان أمره على جيش عظيم. اعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين (الإصابة في تمييز الصحابة، ترجمة رقم: ٨٩).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب: العدوي، أبو عبد الرحمٰن (١٠ ق هـ ـ ٧٣ هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٢ م)، صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها. كف بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. (الأعلام: ٤: ١٠٨).

(٥) زيد بن ثابت: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة: (١١ ق هـ ـ ٤٥ هـ = ٦١١ ـ ٦٦٥ م) صحابي من أكابرهم. كان كاتب الوحي. ولد في المدينة ونشأ بمكة. وهاجر مع النبي ﷺ، وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين. وكان ابن عباس يأتيه إلى بيته للأخذ عنه. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار. (الأعلام: ٣: ٥٦).

(٦) البراء بن عازب: البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: (.... ـ ٧١ هـ = ... ـ ٦٩٠ م) قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشر غزوة، أوّلها غزوة الخندق. عاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة. واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. (الأعلام: ٢: ٤٦).

(٧) عمرو بن حزم: عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري أبو الضحاك (.... ـ ٥٣ هـ = ... ـ ٦٧٣ م) والٍ، من الصحابة، شهد الخندق وما بعدها. واستعمله النبي ﷺ على نجران وكتب له عهداً مطولاً، فيه توجيه وتشريع. (الأعلام: ٥: ٧٦).

(٨) أسيد بن ظُهَير: أَسَيْد بن ظُهَيْر بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي ابن عم رافع بن خديج يكنى أبا ثابت له ولأبيه صحبة. قال البخاري: مدني يماني. مات في خلافة عبد الملك بن مروان. (الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ رقم الترجمة ١٨٨).

الشّمّاخ[١]: [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رفِعت لمجدٍ تَلقّاها عَرابة باليمين

قال ابن سعد: وبات رسول الله ﷺ بالشيخين، وكان نازلاً في بني النّجار، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مَسْلَمة في خمسين رجلاً، يُطيفون بالعسكر، وأدلج[٢] رسول الله ﷺ في السَّحَر، ودليله أبو خَيْثَمة، فانتهى إلى أُحُد، فحانت الصلاة، وهو يرى المشركين، فأمر بلالاً فأذّن وأقام، فصلّى بأصحابه الصبح صفوفاً.

قال ابن إسحاق: ولما كان رسول الله ﷺ بالشَّوْط[٣] بين المدينة وأحد، انخزل[٤] عنه عبد الله بن أُبيّ[٥] بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نَقتل أنفسَنا ها هنا أيها الناس! فرجع بمن اتّبعه من قومه مِن أهل النّفاق، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكّركم الله أن تخذلوا قومَكم ونَبيّكم عندما حضَر عدوّهم؛ قالوا: لو نعلم أنّكم تُقاتلون لَما أسْلمناكم، ولكن لا نرى أنّه يكون قتال. قال: فلما استَعْصَوا عليه وأبَوْا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداءَ الله، فسيُغني الله عنكم نبيّه ﷺ.

قال ابن سعد: انخزل عبد الله بن أبيّ بثلثمائة، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة ومعه فرسه وفرس لأبي بُرْدة بن نيار. وأقبل يصفّ أصحابَه ويسوّي الصّفوفَ على رجليه، وعليه دِرْعان ومِغْفَر[٦] وبَيْضَة، وجعل له مَيْمَنَةً وميْسرةً، وجعل أُحُداً وراء ظهره، واستقبل المدينة؛ وجعل عيْنَين[٧] - جبلاً - عن يساره، وجعل عليه خمسين من

---

(١) خرج الشماخ يريد المدينة فلقيه عرابة بن الأوس، فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي وكان معه بعيران. فأوقرهما له عرابة تمراً وبراً، وكساه وأكرمه، فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التي منها هذا البيت.

(٢) أدلج: سار ليلاً.

(٣) الشوط: قال في معجم البلدان: «اسم حائط، يعني بستاناً بالمدينة».

(٤) انخزل: ارتد.

(٥) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد، الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة (. . . ـ ٩ هـ = . . . ـ ٦٣٠ م) رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية. ولما تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد، انخزل ابن أبي وعاد إلى المدينة. وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك. (الأعلام: ٤ : ٦٥).

(٦) المغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح.

(٧) عينان: جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة.

الرّماة، واستعمل عليهم عبد الله بن جُبير، وقال: قوموا على مصافّكم هذه فاحموا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، فإن رأيتُمونا قد غنِمْنا، فلا تَشْركونا، وإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تنصرونا.

وأقبل المشركون، وقد صفّوا صفوفَهم، واستعملوا على الميمَنة خالد بن الوليد، وعلى الميَسرة عِكرمة بن أبي جَهْل، ولهم مُجَنِّبَتان[1] مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صَفوان بن أميّة، ويقال: عمرو بن العاص. وعلى الرّماة عبد الله بن أبي ربيعة، وكانوا مائة رام، ودفعوا اللّواء إلى طلحة بن أبي طلحة ـ واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار ـ فسأل رسول الله ﷺ: من يحمل لواء المشركين؟ فقيل: عبد الدار، فقال: نحن أحقّ بالوفاء منهم، أين مُصعَب بن عُمَير؟ قال: هأَنَذا؛ قال: خُذِ اللّواء؛ فأخذه مصعب، فتقدّم به بين يدي رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيفَ بِحَقِّه؟ فقام رجالٌ، فأمسَكه عنهم، حتى قام أبو دُجَانَة سِمَاك بن خَرَشة[2] أخو بني سَاعدة، فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال: تضرب به في العدوّ حتى ينحني؛ قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة إذا اعلم بعصابة له حمراء، علم الناس أنه سيقاتِل، فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله ﷺ، أخرج عِصابَته تلك فعَصب بها رأسَه، وجعل يتبختر بين الصّفين. فقالرسول الله ﷺ حين رآه: إنها لمِشْية يُبغِضها الله ورسوله، إلا في هذا الموطن.

قال ابن هشام[3]: إنّ الزّبير بن العوّام قال: وَجدْت[4] في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنَعنِيه وأعطاه أبا دُجانة، فقلت: والله لأنظرنّ ما يصنع. فاتّبعته، فأخرج عِصابة حمراء فعصَب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجانة عَصابة الموت. وجعل يقول: [من الرجز]

---

(١) المجنبتان: الميمنة والميسرة.

(٢) سماك بن خرشة: سماك بن خَرَشة الخزرجي البياضي الأنصاري، المعروف بأبي دجانة: (. . . ـ ١١ هـ = . . . ـ ٦٣٢ م) صحابي، شهد بدراً وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة. واستشهد باليمامة. وكان يقال له: «ذو المشهرة» وهي درع يلبسها في الحرب. و«ذو السيفين» لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ. (الأعلام: ٣: ١٣٨).

(٣) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (. . . ـ ٢١٣ هـ = . . . ـ ٨٢٨ م). مؤرخ كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه: «السيرة النبوية ـ ط» المعروف بسيرة ابن هشام. (الأعلام: ٤: ١٦٦).

(٤) وجدتُ: حزنتُ.

أنا الذي عاهَدَني خَلِيلي ونحنُ بالسَّفْح لدَى النَّخيلِ
ألاَّ أقومَ الدهرَ في الكَيُّولِ أضربْ بسيْفِ اللّهِ والرّسولِ(١)

قال الزّبير: فجعل لا يَلْقَى أحداً إلا قَتله. وكان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفَّف(٢) عليه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دُجانة، فاتَّقاه بَدَرَقته(٣)، وضربه أبو دُجانة فقتله، ثم رأيته قد حمل السيف على مفْرِق رأس هند بنت عُتبة، ثم عدله عنها، قال الزّبير، فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال أبو دُجانة: رأيت إنساناً يحمش الناس حَمْشاً(٤)، فصمَدتُ له، فلما حملت عليه السيف وَلْوَل، فإذا امرأة. وأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

قالوا: وكان أول من أنشب الحرب يوم أُحُد أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة بن زيد، وكان قد خرج إلى مكة مُباعِداً لرسول الله ﷺ، ومعه خمسون غلاماً من الأوس، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبْدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعَم الله بك عيناً يا فاسق ـ وكان في الجاهلية يُسمَّى الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، كما قدمنا من خبره ـ قال: فلما سمع ردّهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ. ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضَخهم(٥) بالحجارة فراضخوه، حتّى ولّى هو وأصحابه هاربين.

قال: وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدّار، إنكم قد وَلَيتم لِواءَ يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يُؤتَى الناسُ من قِبَل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإمّا أن تَكفونا لواءنا، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فَنَكْفِيكموه؛ فهمُّوا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نُسْلِم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نَصْنع! وذلك أراد أبو سفيان.

قال: ولما التقى الناس، ودنا بعضُهم من بعض، قامت هِند بنت عُتبة في النّسوة

(١) الكيُّول: آخر الصفوف في الحرب، وهي رواية اللسان وإحدى روايتي ابن هشام. وفي الأصول: «الكبول»: جمع كبل: وهو القيد الضخم. وقد ذكر هذين البيتين صاحب لسان العرب.
(٢) ذفَّف: أجهز.
(٣) الدرقة: الترس المصنوع من الجلد.
(٤) يحمش الناس: يسوقهم بغضب، أي يحرضهم على القتال ويغضبهم.
(٥) راضخهم: راماهم.

اللاتي معها، وأخذْن الدّفوف يضْرِبن بها خلف الرجال ويحرّضْنهم، فقالت هند فيما تقول: [من مجزوء الرجز]

وَيْـهـاً بـنـي عـبْـد الـدّار   ويـهـاً حُـمـاةَ الأدْبـار

* ضـرْبـاً بـكـلِّ بَـتّـار[1] *

وقالت أيضاً:

نـحـن بـنـاتُ طـارق[2]   نـمْـشي عـلـى الـنّـمارق[3]

إن تُـقـبـلـوا نُـعـانـق   أو تُـدْبِـروا نُـفـارق

* فـراق غَـيـر وامـقْ[4] *

قال: وكان شِعار المسلمين يوم أحد. أَمِت، أَمِت. ودنا القوم بعضُهم من بعض، والرّماة يرشُقون خيل المشركين بالنّبل، فَتُوَلّي هوارب، فبرز طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين، وقال: مَن يُبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فالتقيا بين الصفّين، فبدَره عليّ بضربة على رأسه حتى فلَق هامته، فوقع وهو كَبْش الكتيبة، فسُرّ رسول الله ﷺ بذلك وكبّر، وكبّر المسلمون، وشدّوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نغضَت[5] صفوفهم، ثم حمل لواءَ المشركين عثمان بن أبي طلحة، وجعل يرتجز وهو أمام النّسوة:

إنّ عـلـى أهـلِ الـلـواءِ حـقّـا   أن يَـخْـضِـبوا الـصّـعْـدة أو تَـنْـدَقّا[6]

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب، فضربه بالسيف على كاهِله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مُؤْتَزَرِه، وبدا سَحْره[7]، ثم رجع حمزة وهو يقول: أنا ابن ساقِي

---

(١) البتار: القاطع.

(٢) «قولها: بنات طارق. تريد النجم؛ أي نحن، شريفات رفيعات كالنجم، وقيل: الشعر لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية، قالته في حرب الفرس لإياد، فتمثلت به هند هذه». وقال لسان العرب: «... إن هنداً بنت عتبة هي هند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادي. وذكر الأبيات برواية أخرى، وهي تخالف رواية المؤلف وروايتي الطبري وابن إسحاق. راجع لسان العرب مادة (طرق)».

(٣) النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرحل.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) النغض: التحريك والاضطراب.

(٦) الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة.

(٧) السحر: الرئة.

الحجيج. فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته، فأدلعَ[1] لسانه ادلاع الكلب، فقتله، ثم حمله مُسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقتله، ثم حمله كِلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله الزّبير بن العوّام. ثم حمله الجُلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عُبيد الله. ثم حمله أَرطاة بن شُرَحْبِيل، فقتله عليّ بن أبي طالب. ثم حمله شُرَيح بن قاسط[2]، فقُتِل، ثم حمله صُؤاب غلامهم، وهو حبشِيّ، فقاتل يومئذٍ حتى قُطِعَت يده، فاعتنق اللواء حتى قُتِل عليه، وهو يقول: اللهمّ هل أعذرْت، واختُلف في قاتله، فقيل: قتله سعد بن أبي وقاص، وقيل: علي بن أبي طالب، وقيل: قتله قُزْمان على الأصح.

قال: فلما قُتل أصحابُ اللواء صار مُلقى، حتى أخذته عَمْرة بنت عَلْقمة الحارِثيّة فدفعته لقريش، فلاثُوا[3] به. ثم انكشف المشركون وانهزموا لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويْل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم[4] عن العسْكر، ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم.

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزّبير بن العوّام، أنه قال: والله لقد رأيْتُني أنظر إلى خدم هندٍ وصواحبِها مشمّراتٍ هوارب، ما دون أخذِهنّ قليلٌ ولا كثير.

قال ابن سعد: وتكلّم الرّماة الذين على الجبل واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جُبير[5] في نفرٍ يسير دون العشرة، وقال: لا أُجاوِز أمرَ رسول الله ﷺ، ووعظ أصحابَه وذكّرهم أمر رسول الله ﷺ، فقالوا: لم يُرِد رسولُ الله هذا، قد انهزم المشركون فما مُقامنا هاهنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر يَنتَهبون معهم، وتركوا الجبل. فنظر خالد بن الوليد إلى خُلوّ الجبل وقِلة أهله، فكرّ بالخيل، وتبعه عِكْرمة بن أبي جَهل، فحملوا على المسلمين، واستدارت رَحاهم، وحالت الريح فصارت دَبُورا، وكان قبل ذلك صَباً[6]، ونادى إبليس ـ لعنه الله ـ: إن محمداً قد قُتِل. واختلط

---

(١) ادلع: أخرج.
(٢) كذا في الأصول. وفي سيرة ابن هشام: «القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار».
(٣) لاثوا به: اجتمعوا حوله.
(٤) أجهضوهم: أزالوهم.
(٥) عبد الله بن جبير: عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري (... ـ ٣هـ = ... ـ ٦٢٥ م) صحابي، شهد العقبة وبدراً، وكان أمير الرماة يوم أحد، فاستشهد فيها. (الأعلام: ٤ : ٧٦).
(٦) الدبور والصبا: الصبا: ريح تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وهي تقابل الدَّبور: (اللسان: صبا).

المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شِعَار، ويضرب بعضُهم بعضاً، ما يشعرُون به من العَجلة والدَّهَش، وقُتل مُصعب بن عُمير، فأخذ اللواءَ ملَك في صورة مُصعب، وحضرت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل، ونادى المشركون بشعارهم: يا لَلْعُزَّى يا لَهُبَل[1]. فقُتل من أكرمه الله بالشهادة من المسلمين حتى خلَص العدوّ إلى رسول الله ﷺ، وثبت ﷺ معه عِصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وسبعة من الأنصار، ورمَى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقّت سِيَتها[2]، فأخذها قتَادة بن النعمان، فكانت عنده، ثم ذبّ بالحجارة، وكُسِرت يومئذٍ رَباعِيته[3] ﷺ، وكُلِمت شَفَته، وشُجّ في وجهه، وجُرح في وجْنته، وكسِرت البيضة على رأسه، فسال الدم على وجهه، فجعل يمسحه ويقول: كيف يُفلح قوم خَضَبوا وجه نَبِيّهم، وهو يدعُوهم إلى ربّهم؟ فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبي سعيد الخُدري: أن عتبة بن أبي وقّاص رمى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ، فكسر ربَاعِيته اليمنى السّفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شِهاب الزُّهريّ شجّه في جبهته، وأن ابن قمِئة جَرح وجنته، فدخل حلْقتان من حلَق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حُفْرة من الحُفَر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده، ورفعه طلحة بن عُبيد الله حتى استوى قائماً، ومَصَّ مالك بن سِنان أبو أبي سعيد الخدريّ، الدّم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدَرَده، فقال ﷺ: «من مسّ دمُه دمي لم تَمسّه النار».

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو: لما غَشِي القومُ رسول الله ﷺ قال: من رجل يشتري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السَّكَن في خمسة من الأنصار، وبعضهم يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكن. فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً يُقتَلون دونه، حتى كان آخرَهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجِراحة. ثم قامت فئة المسلمين فأجهَضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: أدنوه مني، فأدْنَوْه منه، فوسَّده قدَمه، فمات وخدُّهُ على قدم رسول الله ﷺ.

قال: وقاتلت أمُّ عُمارةَ نَسِيبة بنت كعب المازنيّة يومئذٍ، فحدّثت وقد سئلت عن خبرها، فقالت: خرجت أوّل النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت

---

(١) العزى وهبل: صنمان لقريش.
(٢) السية: طرف القوس.
(٣) الرباعية: السن التي بين الثنية والناب.

إلى رسول الله ﷺ، والدولة والريّح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزْت إلى رسول الله ﷺ فقلت: أباشر القتال وأذبّ[١] عنه بالسيف، حتى خلَصت الجراحة إليّ، وكان على عاتقها جرح أجوف له غَوْر[٢]، فقيل لها: من أصابك بهذا؟ فقالت: ابن قمِئة، أَقْمَأَه[٣] الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عُمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات[٤]، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرعان.

قال ابن إسحاق: وترّس[٥] دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقع النَّبل في ظهره وهو منحنٍ عليه، حتى كثُر فيه النّبل. ورمى سعد بن أبي وقّاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل ويقول: اِرم فداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما له من نَصل، فيقول: ارمِ به، قال: وأُصيبت يومئذٍ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسنَ عينيه وأحدّهما. قال: وانتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عُبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، قد ألقَوْا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا: قُتِل رسول الله ﷺ؛ قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قُوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل. قال أنس بن مالك: لقد وجدنا به سبعين ضربة، وأصيب عبد الرحمٰن بن عوف في فمه فهُتِمَ[٦]، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، فأصابه بعضها في رجله فعرَج.

قال ابن إسحاق: وكان أوّلَ من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقولِ الناس: قتل رسول الله ﷺ، كعبُ بن مالك، قال كعب: عرفت عينيه تُزهران[٧] تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ؛ فأشار إليّ: أن أنصِت، قال: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحوَ الشعب، معه أبو بكر، وعمر، وعليّ، وطلحة بن عبيد الله[٨]، والزُّبير بن العوّام،

---

(١) أذب: أدافع. (٢) غور: عمق وفجوة.
(٣) أقمأه: أذله.
(٤) في الأصول: «ولقد عنى ذلك ضربته ضربات». وفيها تقديم وتأخير وصوابه عن الطبقات.
(٥) ترس: جعل نفسه ترساً. (٦) هُتم: سقطت ثناياه.
(٧) تزهران: تضيئان، المغفر: الخوذة.
(٨) طلحة: أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخير. مات يوم الجمل سنة ٣٦.

والحارث بن الصِّمة، ورهطٌ من المسلمين، فلما أسند[١] رسول الله ﷺ في الشِّعب أدركه أبيّ بن خلف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجال منّا؟ قال رسول الله ﷺ: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحرْبة من الحارث بن الصمة، قال: فلما أخذها انتفض منا انتفاضة تَطَايرنا عنه تطاير الشّعراء[٢] عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه بها طعنة في عنقه، تَدَأْدَأ[٣] منها عن فرسه مراراً؛ وكان أبيّ بن خلف قبل ذلك يلقى رسول الله ﷺ فيقول: إنّ عندي العَوْد ـ فرساً ـ أعلفه كل يوم فَرْقاً[٤] من ذُرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه، خدشاً غير كبير، فاحتقن الدّم فيه، فقال: قتلني والله محمد؛ قالوا: ذهب والله فؤادك! والله إنْ بك بأس؛ قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك والله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدوّ الله بسَرِف[٥] وهم قافلون إلى مكة، وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت[٦]: [من الوافر]

لقد وَرِث الضّلالةَ عن أبيه ... أُبَيٌّ يوم بارزه الرسولُ
أتيْتَ إليه تحمِل رِمَّ عظْم ... وتُوعِدُه وأنت به جَهول[٧]
وقد قتلت بنو النّجّار منكم ... أميَّة إذ يُغَوِّث: يا عَقيل[٨]
وتَبَّ ابنا ربيعة إذا أطاعا ... أبا جهل، لأمّهما الهبول[٩]
وأفْلت حارث لما شغلنا ... بأسر القوم، أسْرته قَليل

وقال حسان أيضاً فيه: [من الوافر]

ألا مَن مُبلغٌ عنّي أُبيّاً ... فقد أُلقيتَ في سُحق السّعير[١٠]

---

(١) أسند: صعد.
(٢) الشعراء: ذباب له لذع.
(٣) تدأدأ: تدحرج.
(٤) الفرق: مكيال بالمدينة يسع ستة عشر رطلاً.
(٥) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل سبعة، وقيل غير ذلك؛ تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث.
(٦) حسان بن ثابت: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي (... ـ ٥٤ هـ = ... ـ ٦٧٤ م) شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. (الأعلام: ٢: ١٧٥).
(٧) الرم: البالي.
(٨) يغوّث: يقول: واغوثاه.
(٩) تبَّ: هلك، والهبول: الفقد.
(١٠) السحق: البعد والعمق.

تـمـنّـي بـالـضّـلالـة مـن بـعـيـدٍ ... وتُـقـسـم أن قَـدرْت مـع الـنّـذورِ
تَـمـنّـيـك الأمـانـي مـن بـعـيـد ... وقـولُ الـكُـفْـرِ يـرجـع فـي غُـرور
فـقـد لاقـيْـتَ طـعْـنـةَ ذي حِـفـاظ ... كـريـم البـيـت لـيـس بـذي فُـجـور[١]
لـه فـضـلٌ عـلـى الأحـيـاء طُـرًّا ... إذا نـابـتْ مُـلِـمّـات الأمـورِ[٢]

قال: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى فَم الشِّعب خرج عليّ بن أبي طالب حتى مَلأ دَرَقَته[٣] من الماء، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له رِيحاً، فعَافه وغسل عن وجهه الدّم.

قال: وبينما رسول الله ﷺ بالشّعب، معه أولئك النّفر من أصحابه، إذ علَت عالية من قُريش الجبلَ، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد[٤]، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنه لا ينبغي لهم أن يعلُونا! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل. ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوَها، وقد كان بدَّن[٥] وظاهَر بين دِرعين، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها.

قال ابن هشام: وصلى رسول الله ﷺ الظهر يوم أُحُد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قُعوداً.

قال ابن إسحاق: ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أَنْعَمتْ[٦] فعَال، إن الحرب سِجال، يوم بيوم بدر. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجِبه، فقيل: الله أعلى وأجلّ، لا سَواء[٧]، قتلانا في الجنّة،

---

(١) الحفاظ: الذب عن المحارم. (٢) نابت ملمات الأمور: حلت الدواهي والمصائب.
(٣) الدرقة: الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب.
(٤) خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي (. . . ـ ٢١ هـ = . . . ـ ٦٤٢ م) سيف الله، الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية. أسلم قبل فتح مكة. سنة ٧ هـ. ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام. مات بحمص، وقيل: بالمدينة. انظر (الأعلام: ٢: ٣٠٠).
(٥) بدَّن: ضعف. ظاهر: طابق.
(٦) أنعمت فعال: كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين، فكتب على أحدهما «نعم» وعلى الآخر «لا» ثم يتقدم إلى الصنم ويجيد سهامه، فإن خرج سهم «نعم» أقدم، وإن خرج سهم «لا»، امتنع، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى «هبل» فخرج له سهم الأنعام، فذلك قوله لعمر رضي الله عنه: أنعمت فعال، أي أجابت بنعم، فتجاف عنها، ولا تذكرها بسوء، يعني آلهتهم. هذا ما ذكره صاحب اللسان. انظر المواهب اللدنية: ٢: ٥٧.
(٧) لا سواء: لا تكافؤ بيننا.

وقتلاكم في النار؛ فقال له أبو سفيان: هَلُمّ إليّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: إيته فانظر ما شأنه؛ فأتاه، فقال له أبو سفيان: أنشُدك الله يا عمر، أقَتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهمّ لا، وإنه ليَسمع كلامك الآن، قال: أنتَ أصدق عندي من ابن قَمِئة وأبرّ ـ لقول ابن قمئة لهم: إني قتلت محمداً ـ قال: واسم ابن قمئة عبد الله.

وروى البخاريّ عن البَراء قال: وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة[١]؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عُمر ـ رضوان الله عليه ـ نفسه، فقال: كذبتَ يا عدوّ الله، أبقى الله لك ما يُخزيك. قال أبو سفيان: اعْلُ هُبَل[٢]، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، فقالوا: ما نقول: قال: قولوا: الله أعلى وأجلّ؛ قال أبو سفيان: لنا العزّى[٣] ولا عُزّى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم؛ قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سِجال، وتجدون مُثْلة[٤] لم آمر بها ولم تَسؤني.

قال ابن سعد: ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل له: نعم هو بيننا وبينك موعد. ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرُج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جَنَبوا[٥] الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرَنّ إليهم فيها، ثم لأُناجِزَنَّهم[٦]. قال علي: فخرجت في آثارهم فرأيتهم قد جَنَبوا الخيل وامتطوا الإبل، وتوجهوا إلى مكّة.

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وما فعلته هند بنت عتبة، وما قالته من الشعر، وما أجيبت به

كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، قد قتَل من ذكرنا من المشركين آنفاً،

---

(١) يعني أبا بكر.
(٢) هُبَل: اسم صنم كان في الكعبة.
(٣) العزى: اسم صنم كان لقريش.
(٤) يقال: «مثلت» بالقتيل، إذا جدعت أنفه وأذنه أو شيئاً من أطرافه.
(٥) جنبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.
(٦) أناجزنّهم: المناجزة في القتال: المبارزة والمقاتلة، وهو أن يتبارز الفارسان حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه أو يقتل أحدهما.

ومرّ به سِباع بن عبد العزّى الغُبشانيّ، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا بن مقطّعة البُضُور[١] ـ وكانت أمّه أم أنمار مولاةَ شريق بن عمر بن وهب الثقفيّ، وكانت ختّانةً بمكة ـ فلما التقيا ضربه حمزة فقتله. فقال وحشيّ غلام جبير بن مطعم[٢]: والله إني لأنظر إلى حمزة يهُدّ الناس بسيفه هدًّا ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيّأ أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني، إذ تقدمني إليه سِباع، فلما رآه حمزة قال له ما قال، فضربه حمزة فقتله، فهززْت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته[٣]، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب ليَنُوء[٤] نحوي فتركته فغُلب وإيّاها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، فلم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأُعتق.

قال ابن إسحاق: ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يَجْدَعْن[٥] الآذان والآنُف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم قلائد وخَدَماً[٦]، وأعطت قلائدها وخدمها وقُرْطها وحشِيًّا، وبقَرت عن كبِد حمزة فلاكتْها فلم تسطع أن تُسيغها، فلفَظَتْها، ثم علَت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها، ثم قالت: [من الرجز]

نحن جَزيناكم بيوم بدرِ ... والحرْب بعد الحرب ذاتُ سُعر[٧]

ما كان عن عُتبة لي من صبْرِ ... ولا أخي وعمِّه وبكْري

شَفيتُ نفسي وقَضيتُ وَتْري[٨] ... شفيتَ وحْشي غَليل صدري

فشُكْر وحْشِيٍّ عليّ عُمْرِي ... حتى تَرِمَّ أَعظُمي في قبري[٩]

فأجابتها هند بنت أُثاثة بن عَبّاد بن المُطلب فقالت: [من الرجز]

---

(١) البضور: لغة في البظر.

(٢) جبير بن مطعم: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبو عدي، (... ـ ٥٩ هـ = ... ـ ٦٧٩ م) صحابي كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة. وعده الجاحظ من كبار النسابين. له ستون حديثاً. (الأعلام: ٢: ١١٢).

(٣) الثنة: أسفل البطن.

(٤) ينوء: ينهض بجهد ومشقة.

(٥) يجدعن: يقطعن.

(٦) الخدم: الخلاخيل.

(٧) سعر: تأجج واشتعال.

(٨) الوتر: الثأر.

(٩) ترم: تبلى.

خَـزِيـتِ فـي بـدرٍ وبـعـد بَـدْرِ ... يـا بـنـتَ وقّـاع عـظـيـم الـكُـفْـر[١]

صـبَّـحـك الله غَـداة الـفـجْـر ... بـالـهـاشـمـيّـين الـطِّـوال الـزُّهـر

بـكـل قـطَّـاع حُـسَـامٍ يَـفْـرِي ... حـمـزةُ لَـيْـثـي وعـلـيّ صَـقْـرِي[٢]

إذ رام شَـيْـبٌ وأبـوك غَـدْرِي ... فـخضَّبـا مـنـه ضـواحي الـنَّـحْـر[٣]

* ونَـذْرك الـسُّـوءَ فـشـرُّ نَـذْر *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجيبت بمثله، وتركنا ذلك اختصاراً.

قال ابن إسحاق: ومرّ الحُلَيس بن زَبّان أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذٍ سيد الأحابيش بأبي سفيان، وهو يضرب في شدْق حمزة بزُجّ الرمح، ويقول: ذُقْ عُقَق[٤]. فقال الحُليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يَصنع بابن عمه ما تَرون لحماً[٥]؛ قال: ويحَك! اكتُمْها عنّي، فإنها كانت زلة. قال: ولما فرغ الناس لقتلاهم خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد بُقِر بطنه عن كبده، وجُدع أنفه وأذناه. فقال حين رآه: لولا أن تحزن صَفيّة ويكون سنّة من بعدي لتركتك حتى تكون في بطون السِّباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثِّلن بثلاثين رجلاً منهم، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنُمثِّلن بهم مُثْلة لم يُمثِّلها أحدٌ من العرب، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٦ ـ ١٢٨] قال: فعفا رسول الله ﷺ وصبر. ونهى عن المَثْل[٦].

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لن أُصابَ بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إليّ من هذا! ثم قال: جاءني جبريل عليه السلام فأخبر

---

(١) الوقاع: الذي يغتاب الناس.

(٢) يفري: يقطع.

(٣) شيب: تريد.. شيبة: ضواحي النحر: ما ظهر من الصدر.

(٤) عُقق: أي يا عاق.

(٥) لحماً: أي ميتاً.

(٦) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله ﷺ بالعرنيين، قلنا: في ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً. وثانيهما، أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. راجع الروض الأنف: ٢: ١٤٢.

أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السمٰوات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي[١] ببُرْد، ثم صلى عليه وكبّر سبْع تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى يُوضعون إلى حمزة، فصلّى عليهم وعليه معهم، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاة[٢]. قال: وأقبلت صفيّة بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزّبير بن العوام: اِلقِها فارجعها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أمّاه: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثّل بأخي، وذلك في الله عزّ وجلّ، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك! لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصلّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن. قال: واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال: ادفنوهم حيث صُرِعوا.

ذكر تسمية من استُشهد من المسلمين يوم أُحد

قال ابن إسحاق: استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، كان منهم من المهاجرين من بني هاشم: حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وقد تقدم خبر مقتله، ومن بني أمية: عبد الله بن جحش، حليف لهم من بني أسد بن خُزَيمة[٣] قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شَريق. ومن بني عبد الدار بن قُصيّ: مصعب بن عُمَير، وقتله عبد الله بن قمئة الليثيّ، ومن بني مخزوم بن يَقَظة: شَمّاس بن عثمان قتله أبي بن خلف.

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة.

وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: وعبد الله، وعبد الرحمٰن، ابنا الهُبيب، من بني سعد بن ليث، ووهب بن قابوس المُزنيّ، وابن أخيه الحارث بن عُقبة بن قابوس، وزاد الثعلبي سعداً مولى عتبة، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد، بل عدّ المهاجرين خمسة.

---

(١) سُجّي: غطي.

(٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما: ضعف إسناد هذا الحديث. وثانيهما: أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية. راجع: الروض الأنف: ٢: ١٤٢.

(٣) في الأصول: «خزيم» تحريف.

واستشهد من الأنصار، من بني عبد الأشهل اثنا عشر رجلاً، وهم عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان أخو سعد، والحارث بن أنس بن رافع[١]، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن، وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش، وأخوه عمرو بن ثابت، وأبوهما ثابت، ورِفاعة بن وَقْش، واليَمان أبو حُذَيفة بن اليمان، واسمه حُسَيل بن جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه[٢]، فتصدّق ابنه حُذَيفة بدِيَته على المسلمين، وصيفيّ بن قَيْظيّ وخُباب بن قيظيّ، وعَبّاد بن سَهْل، والحارث بن أوس بن مُعاذ.

ومن أهل راتِج[٣] ثلاثة نفر، وهم: إياس بن أوس بن عَتِيك، وعُبيد بن التَّيهان، ويقال: عتيك بن التيّهان، وحبيب بن زيد بن تَيْم. ومن بني ظَفَر: يزيد بن حاطب بن أميّة بن رافع، ومن بني عمرو بن عوف، رجلان، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن قيْس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفيّ بن النعمان، وهو غَسِيل الملائكة، وكان قد ألتقى هو وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم لتغسله الملائكة، فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبته فقالت: خرج وهو جُنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسّلته الملائكة. وقال شدّاد بن الأسود حين قتل حنظلة: [من الرجز]

لأَحـمـيـنّ صـاحـبـي ونـفـسـي بـطَـعْـنـة مـثـل شُـعـاع الـشـمـس

ومن بني عبيد بن زيد[٤]: أُنَيس بن قتادة. ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف رجلان، وهما: أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جُبير بن النّعمان، وهو أمير الرّماة. ومن بني السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك: خَيْثَمة أبو سعد بن خيثمة. ومن حلفائهم من بني العَجْلان: عبد الله بن سَلمة. ومن بني معاوية بن مالك رجلان، وهما سُبَيع بن حاطب بن الحارث، ويقال: سُوَيبِق[٥] بن الحارث. ومالك بن نُمَيلة، حليف لهم من مُزَينة. ومن بني النّجار ثم من بني سواد بن مالك خمسة نفر، وهم: عمرو بن قيس بن زيد بن سواد، وابنه قيس بن عمرو، وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مَخْلد، ومالك بن إياس. ومن بني مبذول رجلان، وهما: أبو هُبيرة بن الحارث بن علقمة، وعمرو بن مُطرف بن علقمة. ومن بني عمرو بن مالك بن النجار رجلان،

(١) في الأصل: «الربيع».
(٢) يديه: يدفع ديته.
(٣) راتج: أطم من آطام المدينة (أي حصن).
(٤) في الأصول: «عبد زيد».
(٥) في الأصل: «سويق» وهو تحريف.

وهما: أوْس بن ثابت بن المنذر، وهو أخو حسان وإياس بن عديّ. ومن بني عديّ بن النّجار رجل واحد، وهو: أنس بن النّضر بن ضَمْضَم بن زيد بن حرام بن جُندب بن عامر بن عديّ بن النجّار، وقد تقدّم خبره. ومن بني مازن بن النّجار رجلان، وهما: قَيْس بن مُخلَّد، وكَيْسان عبد لهم. ومن بني دينار بن النّجار رجلان، وهما: سُلَيم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. ومن بني الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر، وهم: خارجة بن زيد بن أبي زُهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير - حكى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: مَن رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رَمق[1]، قال الأنصارِيّ: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خير ما جزى نَبِيًّا عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيّكم وفيكم عين تَطرِف[2]. قال الأنصاريّ: ثم لم أبرح حتى مات، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته خبره، وأوْس بن الأرقم بن زيد. ومن بني الأبْجر، وهم بنو خُدْرة، ثلاثة نفر، وهم: مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد [بن][3] الأبجر، وهو أبو أبي سعيد الخُدريّ، وسعيد بن سُوَيْد بن قيْس بن عامر بن عبّاد بن الأبجر، وعُتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية. ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان، وهما: ثعْلبة بن سعد بن مالك بن خالد، وثقيف بن فروة بن البديّ. ومن بني طَرِيف، رهْط سعد بن عُبادة رجلان، وهما: عبد الله بن عمرو بن وَهب، وضمْرة حليف لهم من جُهينة. ومن بني عوف بن الخزرج خمسة نفر، وهم: نوفل بن عبد الله، وعبّاس بن عُبادة بن نَضلة، ونعمان بن مالك بن ثعلبة، والمُجذَّر بن زياد، حليف لهم من بَلِيّ، وعُبادة بن الحَسْحاس. ومن بني الحبْلى: رفاعة بن عمرو. ومن بني سَلمة ثم من بني حرام أربعة نفر، وهم: عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام، وخلّاد بن عمرو بن الجموح، وأبو أيْمن مولى عمرو بن الجموح. ومن بني سَواد بن غَنم ثلاثة نفر، وهم: سُليم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهل[4] بن قَيس بن أبي كعب بن القين.

---

(١) الرمق: بقية الروح.
(٢) تطرف: تطبق أحد جفنيها على الآخر.
(٣) الزيادة من ابن هشام، وفي أسد الغابة والاستيعاب: «عبيد بن الأبجر».
(٤) في الأصول: «سهيل».

ومن بني زُرَيق بن عامر رجلان، وهما: ذَكوان[١] بن عبد قَيس، وعُبيد بن المعلَّى بن لَوْذان. ومن بني خَطْمة من الأوس: الحارث بن عَديّ بن خَرَشة بن أمية، ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إِياس.

ذكرُ تسميةِ من قُتل من المشركين يوم أُحد

قُتل من المشركين يوم أحد اثنان وعشرون رجلاً: من بني عبد الدار بن قصيّ أحد عشر رجلاً ـ وهم أصحاب اللواء ـ طلحة بن أبي طلحة، قتله علي بن أبي طالب، وأبو سعيد بن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقّاص، ويقال: علي. وعثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة، قتله عاصم بن ثابت بسهم، والجِلاَس بن طلحة، قتله عاصم أيضاً كما تقدّم، وكِلاَب بن طلحة والحارث بن طلحة، قتلهما قُزمان حليف لبني ظَفَر، وأَرْطاة بن عبد بن شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله حمزة، ويقال: قتله علي، وأبو زيد[٢] بن عمير بن هاشم، قتله قزمان، وصؤاب غلام لهم حبشيّ، قتله قزمان، والقاسط بن شُريح بن هاشم، قتله قزمان. ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصيّ: عبد الله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد: قتله علي بن أبي طالب. ومن بني زُهْرة بن كِلاب رجلان، وهما: أبو الحكم بن الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف لهم، قتله علي بن أبي طالب، وسِبَاع بن عبد العُزّى ـ واسم عبد العزى عمرو بن نضلة بن غُبْشان ـ حليف لهم من خزاعة، قتله حمزة كما تقدم. ومن بني مخزوم أربعة نفر، وهم: هشام بن أبي أمية بن المغيرة، قتله قزمان، والوليد بن العاص بن المغيرة، قتله قزمان أيضاً، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب، وخالد بن الأعلم حليف لهم، قتله قزمان. ومن بني جُمَح رجلان، وهما: عمرو بن عبد الله بن عُمير بن وهب بن حذافة بن جمح، وهو أبو عزّة، قتله رسول الله ﷺ صبراً ـ وكان قد أسر يوم بدر، فمن عليه رسول الله ﷺ وأطلقه كما ذكرنا، فقال: لا أكثر عليك جمعاً؛ فلم يف، وخرج يوم أحد مع المشركين فأُسر، ولم يؤسر يومئذٍ غيره، فقال: مُنَّ عليّ يا محمد؛ فقال رسول الله ﷺ: إن المؤمن لا يُلدَغ من جحر مرتين، لا ترجع إلى مكة تمسح عارِضَيْك، تقول: سحرت[٣] محمداً مرتين، ثم أمر عاصم بن ثابت ابن الأقلح فضرب عنقه ـ وأُبيّ بن خلف بن حذافة بن جُمح، قتله

(١) في الأصول: «عامر بن ذكوان».
(٢) كذا في الأصول. وفي ابن هشام: «أبو يزيد».
(٣) في الطبقات: «سخرت بمحمد».

رسول الله ﷺ بيده كما تقدم، ومن بني عامر بن لؤي رجلان، وهما: عبيدة[١] بن جابر وشَيْبة بن مالك بن المُضرّب، قتلهما قُزمان، ويقال: قتل[٢] عبيدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

قال محمد بن سعد في طبقاته: ثم انصرف رسول الله ﷺ يومئذٍ من أُحد، فصلى المغرب بالمدينة، وشَمِت عبد الله بن أبيّ بن سَلول والمنافقون بما نيل من رسول الله ﷺ في نفسه وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لن ينالوا منّا مثلَ هذا اليوم حتى نستلم الرُّكْن. قال: وبكت الأنصار على قتلاهم، فسمع رسول الله ﷺ البكاء فبكى، وقال: لكنّ حمزةَ لا بواكي له، فلما رجع سعد بن مُعاذ وأُسيد بن حُضَير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتَحزَّمْن، ثم يذهبن فيبكين على عمِّ رسول الله ﷺ، فلما سع رسول الله ﷺ بكاءهنَّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين، فقال: ارجعْن يرحمكنّ الله، فقد آسيتُنّ بأنفسكن ونهى رسول الله ﷺ يومئذٍ عن النوْح.

ورُوي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخواها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبّين، قالت: أَرُونيه حتى أنظر إليه؛ قال: فأشِير لها إليه ﷺ؛ حتى إذا رأته قالت: كل مُصيبة بعدك جَلَل؛ رضي الله عنها.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت فاطمة ـ رضي الله عنه ـ تغسلُ جُرحه؛ وعليّ يسكب الماء عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدّم إلا كثرة، عَمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها، وألصقت ذلك على الجُرح فاستمسك الدّم، ولم يبت رسول الله ﷺ بالمدينة إلا تلك الليلة، ثم أصبح فخرج في طلب العدوّ إلى حمراء الأسد، على ما نذكره إن شاء الله.

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن.

ذكر ما أُنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة أحد، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق، رحمه الله: وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران، أول ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

---

(١) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «عبيد».

(٢) في الأصول: «قتل عبيدة بن جابر بن عبد الله بن مسعود» وما أثبت رواية ابن هشام.

تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾[١] [آل عمران: ١٢١].

قال أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ـ رحمه الله ـ في تفسير المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن: إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وذكر نحو ما قدمناه من خروج رسول الله ﷺ ليلة السبت للنصف من شوّال، وأنه ﷺ جعل يَصفُّ أصحابَه للقتال كما يقوَّمُ القِدْح، إذا رأى صدراً خارجاً قال: تأخر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢] تفشلا، أي تَجبُنا وتَضعُفا وتتخلّفا عن رسول الله ﷺ، وهما بنو سلمة بن الخزرج، وبنو حارثة بن الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن عبد الله بن أبيّ ابن سلول[٢] لما انخزل بثلث الناس كما قدمنا وقال هو ومن وافقه من أصحابه: ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾؛ همَّ بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف معه، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا، ومضوا مع رسول الله ﷺ، فذكّرهم الله تعالى عظيم نعمته، فقال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾ أي ناصرهما وحافظهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ثم ذكّرهم الله مِنّته عليهم إذ نصرهم ببدر، فقال: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ قوله: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾، «ليَقطَعَ طَرَفاً» أي يهلك طائفة «أو يَكْبِتَهُمْ» أي يهزمهم «فينقلبوا خائبين» أي لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران: ١٢٨].

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال عبد الله بن مسعود: أراد رسول الله ﷺ أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان بن عفان منهم، فنَهاه الله تعالى عن ذلك، وتابَ عليهم، وأنزل هذه الآية. وقال عِكرمة[٣]،

---

(١) تبوىء المؤمنين: تتخذ لهم مقاعد ومنازل.

(٢) في الأصل: «ابن سلام»، وهو خطأ، إذ أن الذي انخزل بثلث الناس هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وأما عبد الله بن سلام فهو بريء من ذلك. راجع تاريخه في الاستيعاب: ١: ٣٩٥.

(٣) عكرمة: عكرمة بن عبد الله البربري، المدني، أبو عبد الله (٢٥ ـ ١٠٥ هـ = ٦٤٥ ـ ٧٢٣ م) مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. خرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي «الصفرية» وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

وقَتادة[1]، ومِقْسَم: أدمى رجلٌ من هُذيل يقال له: عبد الله بن قمئة وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فكان حتفه أنْ سَلط الله عليه تَيْساً فنطحه حتى قتله، وشَجَّ عُتبة بن أبي وقاص رأسَه وكسر رَبَاعيته ﷺ، فدعا عليه وقال: اللهم لا يَحل عليه الحَوْل حتى يموت كافراً قال: فما حال الحول حتى مات كافراً فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية. وقال الربيع والكلبيّ: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ يوم أحد، وقد شُجَّ في وجهه وأُصيبت رَباعيتُه، فهمّ رسول الله ﷺ أن يَلعَن المشركين ويدعوَ عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، لعلمه فيهم أن كثيراً منهم سيُؤْمِنون.

قولهُ تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ قِيل: أمثال. وقيل: أُمَم. والسُّنَّة الأمّة، قال الشاعر: [من الشاعر]

ما عايَن الناسُ من فضلٍ كفضْلِهمُ ولا رأَوْا مثلَهم في سالِف السُّنَنِ

وقيل: أهل سُنَن؛ وقيل: أهل شرائع؛ قال: معنى الآية: قد مضت وسَلَفت منّي فيمن قبلكم من الأمم الماضية المكذبة الكافرة سُنَنٌ بإمهالي واستدراجي إيّاهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلت ـ لإدَالة[2] أنبيائي ـ وأهلكْتهم. ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] أي منهم، فأنا أُمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ الكتابُ أجلي الذي أجلت في نُصرة النبيّ وأوليائه وهَلاك أعدائه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] قال: هذه الآية تعزية من الله تعالى لنبيّه ﷺ وللمؤمنين على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد، وحثٌّ منه إيّاهم على قتال عدوّهم، ونهْيٌ عن العَجْز والفشل، فقال تعالى: «ولا تَهِنُوا» أي لا تضعفوا ولا تجبنوا من جهاد أعدائكم بما نالكم يوم أحد من القتل والقَرْح. «وَلاَ تَحْزَنُوا» على ظهور أعدائكم ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة «وأَنْتُمُ الأَعْلَونَ» أي لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر «إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي جرح يوم أُحد فقد مَسَّ القومَ جرح مثله يوم بدر. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] يعني إنما كانت هذه المداولة ليرى الله الذين آمنوا ـ يعني منكم ـ ممن نافَق، فيميز بعضَهم من بعض.

---

(١) قتادة: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب، السدوسي البصري (٦١ ـ ١١٨ هـ = ٦٨٠ ـ ٧٣٦ م) مفسر، حافظ، ضرير أكمه. (الأعلام: ٥: ١٨٨).

(٢) الإدالة: الغلبة والنصرة، أي غلبة أنبيائي ونصرتهم.

وقيل: المعنى: «ولِيعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بأفعالهم موجودة كما عَلِمها منهم قبل أن كلّفهم، «وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ» يُكرِمُ أقواماً بالشهادة، وذلك أن المسلمين قالوا: أرِنا يوماً كيوم بدرٍ نقاتل فيه المشركين ونلتمس الشهادة. فلقُوا المشركين يوم أُحُد، فاتخذ اللَّهُ منهم شهداء.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٤١] يعني يطهّر الذين آمنوا من ذنوبهم «ويَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» يفنيهم ويهلكهم وينقصهم. ثم عزّاهم الله تعالى فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وذلك أنه لما قَتل عبدُ الله بن قمئةَ مصعبَ بن عُمير، وصرخ صارخ ـ يقال: هو إبليس، لعنه الله ـ ألا إن محمداً قد قُتل. وانهزم الناس، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبَيّ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم. وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأوّل، فقال أنس بن النضر: يا قوم، إن كان قد قُتِل محمد فإن ربّ محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتَل عليه، ومُوتوا على ما مات عليه؛ ثم قال: اللّهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المنافقين ـ ثم قاتل حتى قُتل. ثم إنّ رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فانحدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم ﷺ على الفرار، فقالوا: يا نبيّ الله، فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قُتلت فرُعِبت قلوبنا فولّينا مدبرين. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ﴾ أي على فراشه ﴿أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ أي رجعتم إلى دينكم الأوّل الكفر ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدّ عن دينه ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾ بارتداده، وإنما يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦] قيل: الربِّيُّون الألوف والرُّبَة(١) الواحدة عشرة آلاف. وقيل: الربِّيون العلماء والفقهاء. وقيل: الأتباع. وقيل:

---

(١) الرُّبة: كذا في لسان العرب. وفي الأصل: «الربية». ولم نعثر في المراجع التي بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى. وفي القرطبي: ٤: ٢٤٠. عن أبان بن ثعلب: «الربى عشرة آلاف» وعليه فربيون جمع ربي.

الرّبانيون الوُلاة، والربِّيون الرعِيّة. وقيل: الرِّبِّيون الذين يعبدون الرَّب تعالى. قال: ومعنى الآية، فما ضَعفُوا عن الجهاد ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لما نالهم من الجراح وقتل الأصحاب، وما عجزوا بقتل نبيهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ قال قتادة والربيع: يعني ما ارتدوا عن بصيرتِهم[1] ودينهم، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّهم حتى لحقوا بالله تعالى. قال السُّدّي: وما ذَلُّوا. وقال عطاء: وما تضرّعوا. وقال مقاتل: وما استسلموا وما خضعوا لعدوّهم، ولكنهم صبروا على ما أمر ربّهم، وطاعة نبيّهم، وجهاد عدوّهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ قال: معنى الآية ﴿قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل نبيهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ يعني خطايانا ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ لئلا تزول ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال عليّ رضي الله عنه: يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانِكم، وادخلوا في دِينكم. ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي ترجعوا إلى أوّلِ أمركم الشرك ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] أي فتصيروا مغبونين ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي ناصركم وحافظكم على دِينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ قال السدِّي: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحدٍ متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا، وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشّريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما همّوا به، فأنزل الله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ يعني الخوف ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ﴾ أي حجة وبياناً وعذراً وبرهاناً، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم، فقال: ﴿ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١] أي مقام الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ قال محمد بن كعب القرظِيّ[2]: لما

---

(١) وفي تفسير الطبري عن قتادة والربيع: «نصرتهم».

(٢) محمد بن كعب: محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي، مقرىء، في تحديد وفاته خلاف. انظر طبقات القراءة: ٢: ٢٣٣.

رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وقد أصابهم ما أصابهم بأحدٍ قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ أي الذي وعد بالنصر والظفر، وهو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ الآية. وقول رسول الله ﷺ للرّماة: «لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم» وقوله [تعالى][1]: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً شديداً، وذلك عند هزيمتهم كما تقدّم. قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ «فَشِلتُم»: أي جبنتم وضعفتم «وتَنَازَعْتُم» أي اختلفتم. وهو ما وقع بين الرّماة، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدّم، فكانت الهزيمة بسبب ذلك، قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ وهو الظفر والغنيمة، قوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جُبير أمير الرماة حتى قتلوا. قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي ردّكم عنهم بالهزيمة ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ أي فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ يعني ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾. ثم رجع إلى الخطاب، فقال: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ قال يقال: أصعَدَت إذا مضيت حِيال وجهك، وصعِدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، والإصعاد: السير في مستوى الأرض وبطون الأودية والشّعاب، والصعود: الارتفاع على الجبال وغيرها. وقال المبرد: أصعَد إذا أبعد في الذهاب. قال الشاعر: [من الطويل]

ألا أيّهذا السائِلي أين أصعَدت[2] فإن لها في أهل يثرِبَ مَوعِدا

وقال الفرّاء: الإصعاد الابتداء في كل سفرٍ، والانحدار الرجوع منه. وقوله: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ يعني لا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً وفراراً، قال الكلبي: ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ يعني محمداً ﷺ. ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ يعني في آخركم ومن ورائكم: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، فأنا رسول الله، من يكرّ فله الجنة. ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ أي فجازاكم؛ جعل الإثابة بمعنى العقاب، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ معنى الآية: أي جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ قال الحسن: يعني بغمّ المشركين يوم بدر. وقال

(١) زيادة للإيضاح.
(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس. وفي ديوانه: «أين يممت».

غيره: غماً على غمّ. وقيل: غماً متصلاً بغم، فالغم الأوّل ما فاتهم من الغنيمة والظفر، والغم الثاني ما نالهم من القتل والهزيمة. وقيل: الغم الأوّل ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني ما سمعوا أن محمداً ﷺ قد قتل، فأنساهم الغمّ الأوّل، وقيل: غير هذه الأقوال. والله أعلم. قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي من الفتح والغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة؛ هذا أنساكم ذلك الغمّ، وهَمَّكم ما أنتم فيه عما كان قد أصابكم قبل. وقال: المفضّل: «لا» صلة، معناه: لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم في خلافكم إياه، وتركك المركز ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

رُوي عن عبد الله بن الزبير[١] عن أبيه، رضي الله عنهما، قال: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ حين اشتدّ الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم، والله إنّي لأسمع قول مُعَتِّب بن قُشير والنُّعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحُلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا، فأنزل الله عز وجلّ الآية. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. أَمنهم يومئذٍ بنعاسٍ يغشاهم بعد خوف، وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام. وعن أنس[٢] عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أُحد ما أرى أحداً من القوم إلا وهو يَميد تحت حَجَفته[٣] من النعاس. قال أبو طلحة: وكنت ممن ألقى الله تعالى عليه النعاس يومئذٍ، فكان السيف يسقط من يدي فآخذه، ثم يسقط السوط من يدي فآخذه من النوم. ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ يعني المنافقين معتب بن قُشير وأصحابه ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ

---

(١) عبد الله بن الزبير: (١ ـ ٥٧٣هـ = ٦٢٢ ـ ٦٩٢ م) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ. فجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة. انتهت بمقتل ابن الزبير بمكة. (الأعلام: ٤: ٨٧).

(٢) أنس بن مالك: (١٠ ـ ٩٣ هـ = ٦١٢ ـ ٧١٢ م) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم رسول الله ﷺ إلى أن قبض. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (الأعلام: ٢: ٢٤).

(٣) الحَجَفَة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب.

أَنفُسُهُمْ﴾ أي حملتهم على الهمّ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي لا يَنصر محمداً، وقيل: ظنوا أن محمداً ﷺ قد قتل. ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ أي كظن أهل الجاهلية والشرك ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا﴾ أي ما لنا، لفظة استفهام ومعناه جَحْد ﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ يعني التّصرف ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ وذلك أن المنافقين قال بعضُهم لبعض: لو كانت لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة، ولم يُقتل رؤساؤنا، فذلك قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ أي لخرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي مصارعهم ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾ أي ليختبر الله ﴿مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي يخرج ويظهر ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بما في القلوب من خير أو شر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ أي انهزموا منكم يا معشر المؤمنين ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي حملهم على الزّلل. وقال الكلبي: زين لهم أعمالهم ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي بشؤم ذنوبهم. قال المفسرون: بتركهم المركز. وقال الحسن: بما كسبوا قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم من الهزيمة. ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في النفاق، وقيل: في النسب. ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ساروا وسافروا فيها للتجارة أو غيرها فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ غُزاة فقتلوا ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ يعني قولهم وظنّهم ﴿حَسْرَةً﴾ وحزناً ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ والحسرة: الاغتمامُ على فائت كان يُقْدَر بلوغُه.

قال الشاعر: [من الطويل]

فوا حسرتي لم أقض مِنك لُبَانتِي ... ولم نتمتّع بالجوار وبالقُرب

ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله سبحانه، لا يتقدّمان لسفر ولا يتأخران لحضر فقال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي في العاقبة ﴿وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧] أي من الغنائم ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: ١٥٨] أي في العاقبة.

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أي سهلت لهم أخلاقك، وكثرة احتمالك فلم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي جافياً سَيّئ الخلق قليل الاحتمال. ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ قال الكلبي: فظّا في القول، غليظ القلب في

الفعل ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ أي لتفرّقوا عنك، وأصل الفضّ الكسر، ومنه قولهم: لا يَفْضُض الله فَاكَ. قال أهل الإشارة في هذه الآية: منه العطاء ومنه الثناء[1] ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ أي عَمَّا أتوا يوم أحد ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ حتى أشفعك فيهم ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ أي استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم، وهو مأخوذ من قول العرب: شُرْت الدابّة وشَوْرتُها إذا استخرجْت جريَها، وعلمت خبرَها، قال: ومعنى الآية وشَاوِرهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد، ويدل عليه قراءة ابن عباس «وشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ». قال الكلبي[2]: يعني فأظهرهم في لِقاء العدوّ، ومُكايدَة الحرب عند الغزوة. رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «وشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ» قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال مقاتل وقتادة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يُشاوروا في الأمر شقّ عليهم، فأمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يشاورهم في الأمر، فإذا ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغانهم، وأطيب لأنفسهم، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم. قال: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي لا على مشاورتهم. وقرأ جعفر الصادق وجابر بن زيد: «فَإِذَا عزمْتُ» بضم التاء، أي عزمتُ لك ووفقتك وأرشدتك فتوكّل على الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي يعنكم ويمنعكم من عدوّكم ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ مثل يوم بدر ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ أي يترككم ولا ينصركم. والخذلان القعود عن النصر، والإسلام[3] للهلكة والمكروه، قال: وقرأ عبيد بن عمير «وإن يُخْذِلكم» بضم الياء وكسر الذال، أي يجعلكم مخذولين، ويحملكم على الخذلان والتخاذل، كما فعلتم بأحدٍ ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ أي بعد خِذلانه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾ أي بأُحُد ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ ببدرٍ؛ وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحدٍ سبعين رجلاً، وقتل المسلمون منهم يوم بدرٍ سبعين، وأسروا سبعين ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ أي من أين لنا هذا القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله ﷺ فينا، والوحي ينزل عليه، وهم مشركون؟ وقد تقدّم في قصة أسارى بدرٍ خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم، ويقتل منهم مثلهم في العام القابل، واختيارُهم الفداء، وذلك قوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ أي بأخذكم الفداء واختياركم

---

(١) المعنى: أن الله تعالى هو الذي أعطى رسوله الرحمة، وهو الذي مدحه بها.

(٢) الكلبي: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي النسابة الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ على خلاف، انظر: وفيات الأعيان: ٣: ٢٥٨، والأعلام: ٨: ٨٧.

(٣) الإسلام: من أسلمه إذا ألقاه في الهلكة.

القتل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ أي بأحدٍ من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي بقضائه وقدره وعلمه ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ أي ليميز، وقيل: ليرى. وقيل: لتعلموا أنتم أن الله قد علم نفاقهم، وأنتم لم تكونوا تعلمون ذلك. ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لأجل دين الله وطاعته ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ أي عن أهلكم وبلدكم وحريمكم، وقيل: أي كثّروا سَواد المسلمين ورابطوا إن لم تقاتلوا، ليكون ذلك دفعاً وقمعاً للعدوّ ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ وهو قول عبد الله بن أبيّ وأصحابه الذين انصرفوا معه، كما تقدّم من خبرهم عند اتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة لهم ومناشدته لهم في الرجوع. قال الله تعالى: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر، فبين الله تعالى نفاقهم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦- ١٦٧].

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ قيل: في النسب لا في الدين، وهم شهداء أحد ﴿وَقَعَدُواْ﴾ يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ وانصرفوا عن محمد، وقعدوا في بيوتهم ﴿مَا قُتِلُواْۗ﴾ قال تعالى: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾ أي فادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أن الحذر يغني عن القدر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧١]. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: لما أُصيب إخوانُكم يوم أحدٍ جعل الله أرواحهم في أجوافِ طيور خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتسرح من الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مَقيلهم[1] ومطعمِهم ومشربِهم، ورأوا ما أعدّ الله لهم من الكرامة، قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم، وما صنع الله عز وجل بنا، كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكُلوا عنه. فقال عز وجل: أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم. ففرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيات، إلى قوله ﴿أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقال قتادة والربيع: ذُكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: يا ليتنا

---

(١) مقيلهم: إقامتهم.

نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحدٍ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن مسروق[١] قال: سألنا عبد الله بن مسعود[٢] عن هذه الآية فقال: جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خُضْر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطّلع الله عز وجل إليهم اطّلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؛ ثم اطلع إليهم الثانية، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؛ ثم اطلع إليهم الثالثة، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نُحب أن تعيدنا أحياء، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك، فنقتل مرة أخرى فيك، قال: لا؛ قالوا: فتقرىء نبيّنا منا السلام، وتخبره بأن قد رضينا، ورُضي عنا؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري[٣] قال: قُتل أبي يوم أحدٍ، وترك عليّ بناتٍ، فقال لي رسول الله ﷺ: ألا أبشرك يا جابر؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ قال: إن أباك حيث أصيب بأحدٍ أحياه الله تعالى وكلّمه كِفاحاً[٤]؛ فقال: يا عبد الله سلني ما شئت؛ فقال: أسألك أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً؛ فقال: يا عبد الله، إني قضيت ألا أُعيد إلى الدنيا خليقة قبضتها؛ قال: يا رب، فمن يبلغ قومي ما أنا فيه من الكرامة؟ قال الله تعالى: أنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد روي أن هذه الآية نزلت في أصحاب بئر معُونة؛ وقيل: في شهداء بدرٍ. والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد، والله أعلم.

---

(١) مسروق: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة (. . . ـ ٦٣ هـ = . . . ـ ٦٨٣ م) تابعي، ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. (الأعلام: ٧: ٢١٥).

(٢) عبد الله بن مسعود: (. . . ـ ٣٢هـ = . . . ـ ٦٥٣ م) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمٰن، صحابي من أكابرهم. وهو من أهل مكة. وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادم رسول الله ﷺ الأمين وصاحب سره. قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(٣) جابر بن عبد الله الأنصاري: (١٦ ق هـ ٧٨ هـ = ٦٠٧ ـ ٦٩٧ م) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. غزا تسع عشرة غزوة وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. (الأعلام: ٢: ١٠٤).

(٤) كفاحاً: مواجهة، ليس بينهما حجاب ولا رسول.

ذكر غزوة حمراء الأَسَد(١)

غزاها رسول الله ﷺ عند منصَرفه من أحد، قال ابن سعد: لثمان خلون من شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مُهاجَرِه. وقال ابن إسحاق: كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوّال. وهذا الخلاف مرتب على ما تقدّم في غزوة أُحد.

قال ابن سعد وغيره: لما انصرف رسول الله ﷺ من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على بابه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح يوم الأَحد أمر بلالاً(٢) أن ينادي أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوّكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. فقال جابر بن عبد الله: إن أبي خلفني يوم أحد على أخوات لي، فلم أشهد الحرب، فأذن لي أسير معك؛ فأذِن له، فلم يخرج معه أحد ممن لم يشهد أُحداً غيره. ودعا رسول الله ﷺ بلوائه، وهو معقود لم يحلّ، فدفعه إلى عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، ويقال: إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. وخرج رسول الله ﷺ، وهو مجروح، وحشد(٣) أهلُ العوالي حيث أتاهم الصّريح، فركب رسول الله ﷺ فرسه وخرج الناس معه، فبعث ثلاثة نفر من أَسلمَ طَليعةً في آثار القوم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد ـ وهي من المدينة على عشرة أميال ـ وهم يأتمرون بالرجوع، وصفوان بن أميّة ينهاهم عن ذلك، فبصرُوا بالرجلين، فقطعوا عليهما فقتلوهما، ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد، فدفن الرجلين في قبرٍ واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليلة خمسمائة نارٍ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجهٍ، فكَبت الله تعالى عدوّهم، وانصرف رسول الله ﷺ، إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليالٍ، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وقال محمد بن إسحاق، ورفع الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: إن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحُداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ

(١) كذا ضبط في الأصل، والقاموس، والطبري، وطبقات ابن سعد وفي معجم البلدان: «حمراء الأُسْد» بضم الهمزة، وسكون السين.

(٢) بلال الحبشي: (... ـ ٢٠ هـ = ... ـ ٦٤١ م) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، مؤذن الرسول ﷺ وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين إلى الإسلام. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك. توفي في دمشق. (الأعلام: ٢: ٧٣).

(٣) حشد أهل العوالي: أجابوا مسرعين.

لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ، قلت لأخي، وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ ما لنا دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً من أخي، فكان إذا غُلب حملته عُقْبة[(١)] ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال: وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] هم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح إلى قوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ذكر سريّة أبي سَلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله ﷺ إلى قطَن ـ وهو جبل بناحية فَيْد به ماء لبني أسد بن خُزيمة ـ في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مُهاجَرِه.

وذلك أنه بلغه ﷺ أن طُليحة وسلَمة ابني خُوَيلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فبعث أبا سلمة وعقَد له لِواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إبِلاً وشاء[(٢)]، ولم يلقوا كيداً، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة.

ذكر سريّة عبد الله بن أُنَيس[(٣)] إلى سُفيان بن خالد الهذَلي

بعثه رسول الله ﷺ، فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة.

وذلك أنه بلغ النبيّ ﷺ، أن سُفيان بن خالد بن نُبَيْح الهذَليّ ثم اللِّحياني ـ هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته.

وقال ابن إسحاق: خالد بن سُفيان بن نُبَيْح قد جمعَ الجموعَ لرسول الله ﷺ، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحدَه فقتله وجاء برأسه. وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم. قاله ابن سعد.

---

(١) عُقْبة: نوبة.

(٢) شاء: جمع شاة. الكيد: الحرب.

(٣) عبد الله بن أنيس: (. . . ـ ٥٤هـ = . . . ـ ٦٧٤ م) عبد الله بن أنيس، أبو يحيى، من بني وبرة، من قضاعة، ويعرف بالجهني. صحابي من أهل المدينة. صلى إلى القبلتين، وشهد العقبة، رحل إلى مصر، وإفريقية، وتوفي بالشام. (الأعلام: ٤: ٧٣).

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن ابن سفيان الهذليّ جمع الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرُنَة[1] فأتِه فاقتله. فقلت: يا رسول الله انْعَته لي حتى أعرفه؛ قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة. قال: فخرجت متوشحاً بسيفي، حتى دفعت إليه، وهو في ظُعن يرتاد لهن منزلاً، وذلك وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما قال رسول الله ﷺ، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أُومىء برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجل، أنا في ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُنكَبّات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ، قال: أفلح الوجه، قلت: قد قتلته؛ قال: صدقت. ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصاً، فقال: أمسك هذه العصا عندك. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي؛ فقالوا: أفلا ترجع إليه فتسأله لِمَ ذلك؟ قال: فرجعت إليه فقلت: يا رسول الله، لِمَ أعطيتني هذه العصا؟ قال: آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخصّرون[2] يومئذٍ، قال: فقَرَنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضُمَّت في كفنه، ثم دُفنا جميعاً.

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أُنيس في ذلك: [من الطويل]

تـركْـتُ ابـن ثـور كـالـحُـوار وحـوْلَـه ... نـوائـحُ تَـفْـرِي كـلَّ جَـيْـبٍ مُـقـدّد[3]

تـنَـاوَلْـتَـه والـظُّـعْـنُ خـلـفِـي وخـلـفَـه ... بـأبـيـض من مـاء الـحـديـد مُـهـنَّـدِ[4]

عَـجُـومٍ لِـهـامِ الـدَّارعـيـنَ كـأنَّـه ... شِـهـاب غـضَـى من مُـلْـهَـب مُـتَـوقِّـدِ[5]

أقـولُ لـه والـسـيـفُ يـعـجُـمُ رأسـه ... أنـا ابـنُ أُنَـيْـس فـارسـاً غـيـرَ قُـعْـدُدِ[6]

---

(١) عُرنة: قال في المواهب اللدنية: موضع بقرب عرفة أو قرية بوادي عرفة.
(٢) المتخصرون: المتوكئون على المخاصر، وهي العصيّ، واحدتها مخصرة.
(٣) الحوار: ولد الناقة. تفري: تقطع.
(٤) أبيض: سيف. مهند: مطبوع من حديد الهند.
(٥) عجوم: عضوض. الهام: الرؤوس. الشهاب: القطعة من النار. الغضى: شجر خشبه من أجود الوقود.
(٦) القعدد: الجبان اللئيم، القاعد عن المكارم.

أنا ابنُ الذي لم يُنْزل الدهر قِدْرَه رحِيبُ فِناءِ الدَّار غيرُ مُزَنَّدِ[1]
فقلت له خُذْها بضربة ماجدٍ حنيف على دِين النبيّ محمدِ[2]
وكنتُ إذا همّ النبيّ بكافرٍ سبقتُ إليه باللسانِ وباليدِ[3]

ذكر سَرِيّةِ المُنْذر بن عمرو السَّاعِدِيّ[4] إلى بئر مَعُونة

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مُهاجَرِه.

وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براءٍ ملاعب الأسنة[5] الكِلابي وفد على رسول الله ﷺ، فأهدى[6] له فلم يقبل منه، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم، ولم يَبْعُد، وقال: لو بعثتَ معي نفراً من أصحابك إلى قومي لرجوتُ أن يجيبوا دعوتك. قال: أخاف عليهم أهل نجد؛ قال: أنا لهم جار. فبعث معه رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من الأنصار شَبَبَة[7] يسمون القُرّاء[8]، وأمّر عليهم المنذر بن عمرو، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة ـ وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيم. كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سُليم أقرب ـ فلما نزلوها سرحوا ظهرهم، وقدّموا حرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ، إلى عامر بن الطُّفَيل[9]، فوثب على حرام فقتله؛ واستصرخ

---

(١) المزنّد: الضيق، البخيل.

(٢) الحنيف: الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام.

(٣) همَّ بكافر: قرر معاقبته.

(٤) المنذر بن عمرو: (... ـ ٤هـ = ... ـ ٦٢٥ م) المنذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري، الخزرجي، الساعدي، أحد نقباء النبي ﷺ الاثني عشر، شهد العقبة وبدراً، واستشهد يوم «بئر معونة». (الأعلام: ٧: ٢٩٤).

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، وسمي ملاعب الأسنة لأن أخاه طفيلاً الذي كان يقال له: فارس قرزل، أسلمه وفرَّ في يوم سوبان، وهو يوم كان بين قيس وتميم، فقال شاعر:

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمي ملاعب الرماح، وملاعب الأسنة.

(٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي ﷺ فرسين وراحلتين فقال ﷺ لا أقبل هدية مشرك.

(٧) شَبَبَة: شبان.

(٨) سموا القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم، وفي شرح المواهب: أنهم كانوا يصلون بعض الليل، ويدرسون بعضه، ويحتطبون، ويبيعون بعضه يشترون به طعاماً لأهل الصفة والفقراء، وبعضه يأتون به الحجر الشريفة.

(٩) عامر بن الطُّفَيل: (٧٠ ق هـ ـ ١١ هـ = ٥٥٤ ـ ٦٣٢ م) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري. فارس قومه، وأحد فتاك العرب، وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد. أدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة، بعد فتح مكة، يريد =

عليهم بني عامر فأبَوا، وقالوا: لا نُخفِر[١] جوار أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيم، عُصَيَّة ورِعلاً وذَكْوَان، فنفروا معه. واستبطأ المسلمون حراماً، فأقبلوا في أثره، فلقيهم القوم فأحاطوا بهم، وكاثروهم[٢] فاقتتلوا، فقُتل أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم سليم بن مِلحان والحَكَم بن كَيْسان.

قال ابن إسحاق: فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه، وبه رمق بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق. قال: وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضَّمْري، ورجل من الأنصار ـ قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحة بن الجُلَاح ـ فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذا الطير لشأناً؛ فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، والخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر؛ قال الأنصاري: ما كانت لأرغب بنفسي عن موطن قتِل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قُتِل، وأُخذ عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمّه.

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة[٣] من صدر قناة[٤] أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه، وكان معهما عَقْد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤرة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال محمد بن سعد: وقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ، فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة، فقال ﷺ: «أَبْت من بينهم»! ثم أخبره بقتل العامريين، فقال: «بئس ما صنعت، قد كان لهما مني أمان وجوار، لأَدِيَنَّهما»! وبعث بدِيَتهما إلى قومهما، وقنت رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الصبح يدعو على رِعلٍ وذَكْوان وعُصَيّة وبني لِحيان.

= الغدر به، فلم يجرؤ. كان أعور، أصيبت عينه في إحدى وقائعه، عقيماً لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر. انظر (الأعلام: ٣: ٢٥٢).

(١) لا نخفر: لا ننقض.

(٢) كاثروهم: كانوا أكثر منهم.

(٣) هي قرقرة القدر، قال الواقدي: موضع بناحية المعدن، قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد. وقال غيره: ماء لبني سليم (راجع معجم البلدان في كدر).

(٤) قناة: وادٍ يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر.

وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قرأنا بهم قرآناً زماناً، ثم إن ذلك رفع أو نسي: «بلِّغوا عنا قومنا أنا لقِينا ربنا فرضي عنها وأرضانا»، وقال أنس ابن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وَجَد[١] على أحد ما وَجَد على أصحاب بئر معونة.

قال ابن سعد: وجاء رسول الله ﷺ، في تلك الليلة التي وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصابُ خُبَيب بن عديّ ومن معه، فدعا رسولُ الله ﷺ على قتلتهم بعد الركعة من الصبح، فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسِنِي يوسف، اللهم عليك ببني لِحيان وعَضَل والقارَة وزِغب ورِعل وذَكْوان وعُصَيَّة، فإنهم عصوا الله ورسوله».

ذكر سَريّة مَرثَد بن أبي مرثد الغَنَويّ إلى الرّجيع

كانت في صفر على رأس سنة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ.

وذلك أنه قدم على رسول الله ﷺ، رَهط من عَضَل والقارة، وهم إلى الهُون بن خُزَيمة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقِّهونا، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام. فبعث ﷺ معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغنوي، وخُبَيب بن عديّ؛ وزيد بن الدَّثِنة، وخالد بن البُكَيْر الليثي، وعبد الله بن طارق، ومعتِّب بن عبيد أخو عبد الله[٢] لأمّه. وأمّر عليهم عاصماً، وقيل: مَرْثداً، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ـ وهو ماء لهُذيل بناحية الحجاز ـ غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يَرُع القوم، وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشُوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا، فقالوا: إنا ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، ومعتّب بن عبيد؛ فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً. وقاتلوا حتى قُتلوا، رضي الله عنهم. وأما زيد بن الدَّثِنة وخُبيب بن عدي، وعبد الله بن طارق، فرغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمرّ[٣] الظَّهْران انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران[٤]، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم،

(١) وجد: حزن.

(٢) هو عبد الله بن طارق كما في الطبقات.

(٣) مرُّ الظهران: الظهران، وادٍ قرب مكة، وعنده قرية يقال له: مر، تضاف إلى هذا الوادي، فيقال: مر الظهران. (معجم البلدان).

(٤) القران: الحبل الذي يشد به الأسيران.

فرموه بالحجارة حتى قتلوه؛ بقُبر هناك. وأما خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثنة فقدموا بهما مكة فأباعوهما[١] من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة فابتاع خُبيباً حُجر بن أبي إهاب التميمي، حليف بني نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه. وابتاع زيد بن الدَّثنة صفوانُ بن أميّة، ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وبعثه مع مولى له يقال له: نسطاس؛ إلى التّنعيم[٢]، فأخرجوه من الحرم ليقتله، واجتمع لذلك رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أَنْشُدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً؛ ثم قتله نِسطاس. وأما خُبيب بن عدي فرُوي عن ماويَة[٣] مولاة حُجر بن أبي إهاب. وكانت قد أسلمت، قالت: كان خُبيب قد حبِس في بيتي، فقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل، قالت: وقال لي حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهّر بها للقتل؛ فأعطيت غلاماً من الحيّ المُوسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن قد ولّى الغلام بها إليه؛ فقالت: ما صنعتُ! أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدرتي حتى بعثتك بهذه الحديدة! ثم خلّى سبيله. ويقال: إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: ثم خرجوا بخُبيب، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع ركعتين، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، فكان خُبيب أول من سّن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبته، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا؛ ثم قال: اللهم أحصِهم[٤] عدداً، واقتلهم بدداً[٥]، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه، رحمه الله ورضي عنه.

---

(١) أباعوهما: عرضوهما للبيع.

(٢) التنعيم: موضع بمكة.

(٣) كذا في الأصول: وفي روايات كثيرة: «مارية».

(٤) احصهم عدداً: أهلكهم واستأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد.

(٥) بدداً: في الأصول: «مددا» وهو تحريف. والمعنى أقتلهم واحداً بعد واحد، من التبديد.

قال ابن هشام: أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.

وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب[(١)]: [من الطويل]

لقد جمّع الأحزابُ حولي وألّبوا ... قبائلَهم واستجمعوا كل مجمع[(٢)]

وقد قرّبوا أبناءَهم ونساءَهم ... وقُرِّبتُ من جِذع طويل مُمنّع

وكلّهمُ يُبدي العداوَة جاهداً ... عليّ لأني في وِثاق بمضيع[(٣)]

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي ... وما جمّع الأحزاب لي عند مَصْرعي

فذا العرش صبّرني على ما أصابني ... فقد بضّعوا الحمى وقد ضَلَّ مَطمَعِي[(٤)]

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ ... يبارك على أَوْصال شِلْوٍ مُمزَّع[(٥)]

وقد عرّضوا بالكفر والموتُ دونه ... وقد ذَرفت عيناي من غير مَدْمَع[(٦)]

وما بي حِذارُ الموتِ، إني لميّتٌ ... ولكن حذاري حرُّ نارٍ تلفع[(٧)]

فلست بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً ... ولا جَزَعاً إنّي إلى الله مرجِعي

ولست أبالي حين أُقتَلُ مسلماً ... على أي حال كان في الله مضجعي

وفي رواية ابن شهاب[(٨)]:

* على أي جنب كان في الله مصرعي *

قالوا: وصُلب بالتّنعيم، وكان الذي تولى صلبه عقبة بن الحارث، وأبو هبيرة العدويّ[(٩)].

---

(١) قال ابن هشام: «بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له».

(٢) ألبوا: جمعوا وحضوا.

(٣) ويروى البيت:

وكلهم مبدي العداوة جاهد ... عليَّ لأني في وثاقٍ مضيع

(٤) بضعوا: قطعوا. (٥) أوصال: أعضاء. شلو: جسد.

(٦) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام، وفي المواهب اللدنية كما يأتي:

وقد خيروني الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع

(٧) كذا في الأصول، وعليه فهي تلفع بحذف إحدى التاءين أي تشتمل، يقال: تلفع بالثوب إذا اشتمل به، وفي ابن هشام والمواهب: «جحم نار ملفع» والجحم: الملتهب، ومنه الجحيم.

(٨) ابن شهاب: (٣٣٥ ـ ٤٢٨ هـ = ٩٤٦ ـ ١٠٣٧ م) الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبري، أبو علي، نساخ، من العلماء العارفين بالعلم والأدب، من أهل عكبرا مولداً ووفاة. (الأعلام: ٢: ١٩٣).

(٩) راجع شعر حسان بن ثابت في بكاء خبيب في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦، طبع الحلبي.

ذكرُ غزوةِ بني النَّضِير

غزاهم رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل، سنة أربع، على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مُهاجَرِه.

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد، ومحمد بن إسحاق، وعبد الملك بن هشام، دخل حديث بعضهم في بعض، أن رسول الله ﷺ، خرج إلى بني النضير يستعينهم في ديّة الكِلابِيّين أو العامِريّين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمْري، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك بما أحببت. وكان رسول الله ﷺ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم، وهو في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعليّ، رضوان الله عليهم، فخلا بعض بني النضير إلى بعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمَن رجل يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحاش بن كَعْب، أحدُهم، فقال: أنا لذلك؛ فقال سلاّم بن مِشْكَم: لا تفعلوا، والله ليُخبَرنّ بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. وجاء رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فنهض مسرعاً كأنه يريد الحاجة فتوجه إلى المدينة، فلما أبطأ على أصحابه قاموا في طلبه، فلقُوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ﷺ، فقال: رأيته قد دخل المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوه، فقالوا: يا رسول الله، قمت ولم نشعر. قال: همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقمت. ثم بعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مَسْلمة: «أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً أي من الأيام فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه». فمكثوا أيّاماً يتجهّزون، وأرسلوا إلى ظهْر لهم بذي الجَدْرِ[١] وتَكارَوا[٢] إبلاً من ناس من أشْجَع، فأرسل إليهم عبد الله بن أُبيّ: أن أقيموا في حصونكم، ولا تخرجوا من دِياركم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم، وتمدّكم قُريظة وحلفاؤكم من غطفَان. ووافقه على ذلك ودِيعة بن مالك بن أبي قوقل[٣]، وسُوَيْد ودَاعِس، وقالوا لهم: إن قوتلتم نصرناكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فطمع حُييّ بن أخطب فيما قال ابن أُبيّ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. فكبّر رسول الله ﷺ، فكبّر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، واستخلف على المدينة

(١) ذو جدر: مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء.

(٢) تكاروا: استأجروا.

(٣) كذا في الأصل، وفي المواهب، والروض الأنف. وفي الطبري: «ووديعة ومالك بن أبي قوقل».

ابن أمّ مكتوم، وسار في أصحابه، وعلي بن أبي طالب يحمل لواءه، فصلى العصر بفناء بني النضير، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم، وقاموا عليها معهم النبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة فلم تُعنهم، وخذلهم عبد الله بن أبيّ ومن وافقه فلم ينصروهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ ست ليال، ثم أمر بقطع النّخيل وتحريقها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها! وكان الله عز وجل أمر رسوله ﷺ بذلك، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وقالوا: نخرج من بلادك. فقال: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها، ولكن دِماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلْقة[1]. فنزلوا على ذلك.

وكانت مدّة حصرهم خمسة عشر يوماً، وولي إخراجهم محمد بن مسلمة، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على سبعمائة بعير، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف[2] بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خَيْبر، ومنهم من سار إلى الشام، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحُقَيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، وحُيَيّ بن أخطب، فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش. وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً، وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلْقة، فوجد من الحلْقة خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلثمائة سيف وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير صفِيًّا[3] لرسول الله ﷺ، خالصة له حُبساً[4] لنوائبه، لم يخمّسها ولم يُسهم منها لأحد، إلا أنه أعطى ناساً من أصحابه، ووسّع في الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله ﷺ من المهاجرين أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أعطاه بئر حجر، وعمر بن الخطاب، بئرِ جرم، وعبد الرحمٰن بن عوف سوالة، وصُهيب بن سنان[5]، الصراطة، والزبير بن العوّام وأبو سلمة بن عبد الأسد البُويلة[6]، وسهل بن حُنيف وأبو دُجانة مالاً، يقال له: مال ابن خَرَشة، حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

---

(١) الحلقة: الدروع، وقيل السلاح كله، وهو المراد هنا.

(٢) النجاف: العتبة.

(٣) صفيا: مختارة.

(٤) حبساً: وقفاً.

(٥) صُهيب بن سنان: (٣٢ ق هـ ٣٨ هـ= ٥٩٢ ـ ٦٥٩ م) صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر بن قاسط صحابي من أرمى العرب سهماً. وهو أحد السابقين إلى الإسلام كان أبوه من أشراف الجاهليين. أسلم ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلاً، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. انظر (الأعلام: ٣: ٢١٠).

(٦) البويلة: مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قُباء إلى جهة الغرب. ويقال لها أيضاً: «البويرة»، شرح المواهب اللدنية: ٢: ٩٩.

قال: ولما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، قال: امضوا فإن هذا أوّل الحشر وإنا على الأثر.

وأنزل الله عز وجل في بني النضير سورة «الحشر» بكمالها.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر: ٢].

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري[(١)]، رحمه الله: «أهْل الكتابِ» بنو النضير «مِنْ دِيَارِهم» التي كانت بيثرب «لأوّلِ الحَشْر» قال الزّهري: كانوا من سِبط[(٢)] لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال: وكانوا أوّل حشر في الدنيا حشر[(٣)] إلى الشام. وقال الكلبي: إنما قال: «لأوّلِ الحَشْرِ» لأنهم أوّل من حُشِر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز. وقال مُرّة الهمْدانيّ: كان هذا أوّل الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيْبر، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه. وقال قتادة: كان هذا أوّل الحشر، والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيل[(٤)] معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلّف. «ما ظَنَنْتم» أيها المؤمنون «أن يَخْرُجوا» من المدينة «وظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهم مِنَ اللَّهِ». حيث درّبوها وحصنوها «فأَتَاهُمُ اللَّهُ» أي أمر الله وعذابه «من حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ» قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف[(٥)]. «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» قال ابن إسحاق: وذلك لهدمهم

(١) أحمد بن محمد الثعلبي: (... ـ ٤٢٧ هـ = ... ـ ١٠٣٥ م) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. (الأعلام: ١: ٢١٢).

(٢) السبط: ولد الولد. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب.

(٣) كذا في الأصول، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي: «وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام».

(٤) تقيل: من القائلة، وهي الظهيرة (اللسان: قيل).

(٥) كعب بن الأشرف: (... ـ ٣ هـ = ... ـ ٦٢٤ م) كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير. فدان باليهودية كان يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياه إلى اليوم... أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه. خرج إلى مكة، بعد وقعة بدر، فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم، وعاد إلى المدينة. وأمر النبي ﷺ بقتله. (الأعلام: ٥: ٢٢٥).

بيوتهم عن نُجُف أبوابهم. وقال ابن زيد: كانوا يقتلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب، حتى الأوتاد، يخربونها لئلا يسكنها المسلمون حسداً منهم وبغضاً. وقال ابن عباس: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي بعدها، فيتحصّنون فيها ويكسرون ما يليهم منها، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، وتخربها اليهود من باطنها، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ الآية. «الْجَلَاء» عن الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل وبالسَّبْي كما فعل ببني قريظة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾[1] [الحشر: ٣، ٤].

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الحشر: ٥] قال ابن إسحاق: اللينة: ما خالف العجوة من النخل. وقال ابن هشام: ما لم تكن بَرْنِيّة[2]، ولا عجوة. وقال عِكرمة وزيد بن رومان وقتادة: النخل كله لينة ما خلا العجوة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، اللينة: النخلة والشجرة. وقال سفيان: هي كرام النخل. وقيل: هي النخلة القريبة من الأرض. وقال مقاتل: هو ضرب من النخل، يقال لثمرها: اللون، وهو شديد الصفرة، يرى نواه من خارج، يغيب فيه الضّرس، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف[3]، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوا ذلك يقطع شق عليهم. وقال: وجمع اللينة لِين. وقيل: لِيان[4].

قال الثعلبي: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخيل، وعَقْر الشجر؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أُنزل عليك الفسادَ في الأرض؟ فشق ذلك على النبي ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلف المسلمون في ذلك، فقال بعضهم: لا

---

(١) شاقوا الله: عادوه وخالفوا أمره.
(٢) البرنية: واحدة البرني، وهو ضرب من التمر، أصفر، مدور، وهو أجود التمر.
(٣) الوصيف: العبد، الخادم.
(٤) في الأصل: «اليان». وفي لسان العرب. جمع اللينة، لين ولون وليان.

تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطع من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى.

وفي قطع نخيل بني النضير يقول حسان بن ثابت: [من الوافر]

وهــان عــلــى سَــراة بــنــي لُــؤيّ حَــريــقٌ بــالــبُــوَيْــرةِ مــســتــطــيــرُ

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحشر: ٦] «أَفَاءَ اللَّـهُ» أي رَدَّ على رسوله ورجع إليه، ومنه فَيْء الظّلّ مِنهُمْ أي من بني النضير من الأموال «فَمَا أَوْجَفْتُمْ» أوضَعتُم[١] «عَلَيْه مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَاب» وهي الإبل، يقول: لم تقطعوا إليها شُقَّة، ولم تنالوا فيها مشقة، ولم تكلفوا مَؤُنَة[٢]، ولم تلقوا حرباً. وإنما كانت بالمدينة فمشوا إليها مشيئاً، ولم يركبوا خيلاً ولا إبلاً إلا النبي ﷺ، فإنه ركب حملاً فافتتحها صلحاً، وأجلاهم عنها وخزن أموالهم فسأل المسلمون النبي ﷺ القسمَة، فأنزل الله عز وجلّ الآية، فجعل أموال بني النضير خاصة لرسول الله ﷺ، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دُجانة سِمَاك بن خرشَة، وسهل بن حُنيف، والحارث بن الصِّمَّة. قال: ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان، أحدهما سفيان بن عمير بن وهب، والثاني سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إن أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصاً، فكان رسول الله ﷺ، ينفق على أهله منه نفقة سنته، وما بقي جعله في الكُراع[٣] والسلاح عُدّة في سبيل الله.

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر: ٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: القرى هي قُرَيظة والنَّضير، وهما بالمدينة، وفدَك، وهي في المدينة على ثلاثة أميال، وخَيْبر، وقُرَى عُرَينة، ويَنْبع جعلها الله تعالى لرسوله ﷺ، يحكم فيها ما

---

(١) أوضعتم: أسرعتم.
(٢) المؤنة: القوت.
(٣) الكراع: جماعة الخيل.

أراد، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية. قال: «والقربى» قرابة رسول الله ﷺ، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب. وقوله: «كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» أي بين الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعها لنفسه، وهو المِرْباع، ثم يصطفي منها أيضاً بعد المِرْباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم: [من الوافر]

لك المِرْباعُ منها والصَّفايا وحكمُك والنَّشِيطَةُ والفُضول[1]

فجعل الله تعالى هذا[2] لرسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ أي ما أعطاكم من الفيء والغنيمة ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ من الغُلول وغيره «فانتهوا».

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ يعني كي لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨] أي في إيمانهم. قال قَتادة: هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حبّا لله ورسوله، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة، حتى ذُكر لنا أن الرجل كان يعْصِب الحجر على بطنه ليقيم به صُلبه[3] من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفِيرة[4] في الشتاء ما له دثار غيرها.

وعن سعيد بن جُبَير[5]، وسعيد بن عبد الرحمٰن بن أَبْزَى، قالا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة، يحج عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهماً في الزكاة.

---

(١) النشيطة: ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه. الفضول: ما فضل من الغنائم حين تقسم.

(٢) زيادة عن القرطبي، يتطلبها المعنى.

(٣) صلبه: جذعه.

(٤) الحفيرة: الحفرة الواسعة.

(٥) سعد بن جبير: (٤٥ ـ ٩٥ هـ = ٦٦٥ ـ ٧١٤ م) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ولما خرج عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمٰن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط. (الأعلام: ٣: ٩٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩] قال: قوله: «تَبَوَّءُوا» توطنوا «الدَّارَ» اتخذوا المدينة دار الإيمان والهجرة، وهم الأنصار، أسلموا في ديارهم وابتَنوا المساجد قبل قدوم النبيّ ﷺ، فأحسن الله الثناء عليهم. وقوله: «مِنْ قَبْلِهِمْ» أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا «يُحبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» أي حزازة وغيظاً وحسداً «مِمَّا أُوتُوا» أي مما أعطى المهاجرين من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ، قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا الثلاثة الذين ذكرناهم، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها». فأنزل الله عز وجل «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ». والشحّ في كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠] قال ابن أبي ليلى[١]: الناس على ثلاث منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوّءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تكون خارجاً من هذه المنازل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، وهو يعلم أنهم سيفتنون. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرُها أوّلها».

قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ

(١) ابن أبي ليلى: (٧٤ ـ ١٤٨ هـ = ٦٩٣ ـ ٧٦٥ م) محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى يسار (وقيل: داود) ابن بلال الأنصاري الكوفي. قاضٍ فقيه من أصحاب الرأي. مات بالكوفة. (الأعلام: ٦: ١٨٩).

ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر: ١١ـ ١٣] نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبيّ ومن وافقه في إرسالهم لبني النضير وقعودهم عنهم، كما تقدم آنفاً، وقوله: «لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» يقول: يرهبونكم أشدّ من رهبتهم الله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ».

قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ[1] بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾[2] [الحشر: ١٤] أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال، ولا يقاتلونهم إلا في قرى محصنة، أو من وراء جدار «بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» يعني بعضهم فظّ على بعض، وبعضهم عدوّ لبعض، وعداوتهم بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله. «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وقُلُوبُهُمْ شَتَّى» قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهاداتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ».

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [الحشر: ١٥] يعني مثل هؤلاء اليهود «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» وهم مشركو مكة «ذاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» يوم بدرٍ. قال مجاهد[3] وقال ابن عباس: يعني بني قَينُقاع؛ وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير، ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود في تخاذلهم فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦] وهي قصّة بَرْصِيصَا العابد مع الشيطان.

ذكرُ قصة بَرْصِيصَا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بسند يرفعه إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ الآية. قال:

---

(١) في الأصل: «جدار». وهي قراءة ابن عباس: ومجاهد، وابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو.

(٢) مجاهد: (٢١ ـ ١٠٤ هـ = ٦٤٢ ـ ٧٢٢ م) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر، من أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. ويقال: إنه مات وهو ساجد. (الأعلام: ٥: ٢٧٨).

كان راهب في الفَتْرة يقال له برصيصا، وقد تعبد في صومعة له سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فلم يستطع له بشيء فجمع ذات يوم مَردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء، وهو الذي تصدّى لرسول الله ﷺ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه بالوحي، فجاء جبريل حتى دخل بينهما، فدفعه بيده دفعة هينة، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند، فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك. فانطلق فتزيّن بزينة الرهبان، وحلق وسط رأسه، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا، فناداه فلم يجبه برصيصا، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في عشرة أيام، ولا يفطر إلا في عشرة أيام، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته، فرأى الأبيض قائماً منتصباً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لَهَى عنه فلم يجبه. فقال له: إنك ناديتني وكنت مشغولاً عنك فحاجتك؟ قال: حاجتي أني أحببت أن أكون معك فأتأدب بك، وأقتبس من علمك، ونجتمع على العبادة، فتدعو لي وأدعو لك؛ قال: إني لفي شغل عنك، فإن كنت مؤمناً فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، فأقبل الأبيض يصلي، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً بعدها، فلما انفتل رآه قائماً يصلي، فلما رأى برصيصا شدّة اجتهاده، وكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله عز وجل كلّمه، وقال له: حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك، فأذن له، فارتفع في صومعته، فأقام الأبيض معه حولاً يتعبد، لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً، ولا ينفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مدّ إلى الثمانين؛ فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت[١] إليه نفسه، وأعجبه شأنه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق، فإن لي صاحباً غيرك، ظننت أنك أشدّ اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت. قال: فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقته للذي رأى من شدّة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعواتٍ أعلمكها تدعو بهن، فهن خير لك مما أنت فيه، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي والمجنون؛ قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه. ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلكت الرجل. قال: فانطلق الأبيض

---

(١) تقاصرت نفسه: تضاءلت.

فتعرض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجه؟ فقالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنّيته، ولكني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى؛ فقالوا له: دلّنا. قال: انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده اسم الله الذي إذا دعى به أجاب. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان. وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافَون. قال: فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملكاً فمات فاستخلف أخاه، وكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطبب، فقال لهم: أعالجها؟ قالوا: نعم. فعالجها فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردّونها[(١)] صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا؛ قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا ويجيبنا إلى هذا؟ هو أعظم شأناً من ذلك. قال: انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، ولتكن هذه الصومعة التي تبنون لزيقة صومعته، فإن قبلها وإلا تضعونها[(٢)] في صومعتها، ثم قولوا له: هي أمانة عندك، فاحتسب فيها. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها، وقالوا له: يا برصيصا، هذه أختنا قد عرض لها عدوّ من أعداء الله، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها. ثم انصرفوا، فلما انفتلَ برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال، فأسْقِط[(٣)] في يده، ودخل عليه أمر عظيم، قال: فجاءها الشيطان فخنقها؛ فلما رأى برصيصا ذلك انفتل عن صلاته، فدعا بتلك الدعوات، فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته، ثم جاءها الشيطان فخنقها، وكان يكشف عن نفسها ويتعرّض [بها][(٤)] لبرصيصا، وجاءه الشيطان، فقال: ويحك! واقعها فلن تجد مثلها، فستتوب بعد، فتدرك ما تريد من الأمر الذي تريد، فلم يزل به حتى واقعها، فافترشها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك! قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك فقل: جاء شيطانها فذهب بها ولم أقوَ عليه. قال: ففعل. فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاءه

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «تردونها صحيحة، وقد ذهب عنها شيطانها»، بتأخير الواو.

(٢) كذا في الأصل. ورفع الجزاء هنا جائز على ضعف.

(٣) أسقط في يده: تحير.

(٤) الزيادة من تفسير القرطبي (١٨ ـ ٣٨).

الشيطان وهو يدفنها ليلاً فأخذ بطرف إزارها، فبقي طرف إزارها خارجاً في التراب، ثم رجع برصيصا إلى صومعته وأقبل على صلاته، فجاء إخوتها يتعاهدون أختهم، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصا، ما فعلت بأختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها ولم أُطقه. قال: فصدّقوه وانصرفوا. فلما أمسوا وهم مكروبون[1]، جاء الشيطان إلى كبيرهم في المنام، فقال له: ويحك! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا. فقال الأخ: هذا حُلم وهو من عمل الشيطان، برصيصا خير من ذلك. قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر، فلم يخبر به أحداً، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم لإخوته: والله لقد رأيت كذا وكذا. فقال الأوسط: وأنا والله لقد رأيت مثله. وقال الأكبر: وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا، فانطلقوا بنا إلى برصيصا؛ فأتوه، فقالوا: يا برصيصا، ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شيطانها! فكأنكم اتهمتموني. فقالوا: لا والله لا نتهمك. فاستحيوا منه وانصرفوا عنه، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم! إنها لمدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب. قال: فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم، قال: فمشوا في مواليهم، ومواليهم معهم الفؤس والمساحي[2]، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به إلى الملك، فأقرّ على نفسه؛ وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة، اعترف. فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض عياناً، وذلك أن إبليس لعنه الله، قال للأبيض: وما يغني عنك ما صنعت؟ إن قُتل فهو كفارة لما كان منه. فقال الأبيض: أنا أكفيكه. فأتاه فقال: يا برصيصا، أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستُجيبَ لك، ويحك! أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، وأنك أعبد بني إسرائيل! أَمَا استحيت! أما راقبت الله في دينك! فلم يزل يعيره ويوبخه، ثم قال له في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس! فإن متّ على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك. قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه، وآخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك. قال: وما هي؟ قال: تسجد لي. قال: أفعل. فسجد له، فقال: يا برصيصا، هذا الذي أردت منك، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين.

---

(١) الكرب: الغم.

(٢) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

يقول الله تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعني الشيطان وذلك الإنسان. ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله تعالى أمر نبيّه ﷺ، أن يحل بني النضير من المدينة، فدسّ المنافقون إليهم فقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم كنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. قال: فأطاعوهم؛ فدرّبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبيّ ﷺ، فناصبوه[1] الحرب، يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر: ١٨] قوله: «اتَّقُوا اللَّهَ» أي في أداء فرائضه واجتناب معاصيه «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» يعني يوم القيامة.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر: ١٩] «نَسوا اللَّهَ» أي نسوا حق الله وتركوا أوامره «فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ» يعني حظ أنفسهم أن يقدموا لها خبراً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [الحشر: ١٩ـ ٢٠].

فقد أتينا ـ أكرمك الله ـ على تفسير ما أنزل من القرآن في شأن بني النضير مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار، ولم نتعرض إلى ما سوى ذلك من التفسير.

ذكر غزوة بدر الموعِد

غزاها رسول الله ﷺ، لهلال ذي القعدة، على رأس خمسة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ. حكاه محمد بن سعد.

وقال محمد بن إسحاق: كانت في شعبان. وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع، فتكون على رأس اثنين وأربعين شهراً من الهجرة، والأشبه ما قاله ابن سعد، لأن الميعاد كان على رأس الحول من غزوة أحد، وغزوة أحد كانت في شوّال على ما اتفقا عليه، ولم يختلفا في الشهر وإنما في أيام ذكرناها هناك.

قال محمد بن سعد: لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم نُعَيم بن

(١) ناصبوه الحرب: أظهروها له.

مسعود الأشجعيّ[١] مكة، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدرَ، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جدب[٢]، وإنما يصلحنا عام خصب غَيْداق[٣]، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترىء علينا، فنجعل لك عشرين فريضة[٤] يضمنها إليك سُهَيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخذل أصحابَ محمد. قال: نعم. فحملوه على بعير، فأسرع السير حتى قدم المدينة، فأخبرهم بجمع أبي سفيان لهم وما معه من العدّة والسلاح، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد.

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة[٥]، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة والخيل عشرة أفراس، وحمل لواءه عليّ بن أبي طالب، وخرج المسلمون ببضائع وتجارات لهم، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثم يتفرّق الناس إلى بلادهم.

فانتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة؛ وقامت السوق صبيحة الهلال فأقاموا بها ثمانية أيام، وباعوا ما خرجوا به من التجارات، فربحوا للدرهم درهماً، وانصرفوا، وقد سمع الناس بمسيرهم، وخرج أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً حتى انتهوا إلى مَجَنَّة ـ وهي[٦] مرّ الظهران ـ ومنهم من يقول: بلغوا عُسْفان[٧]. ثم قال: ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام

---

(١) نُعَيم بن مسعود: (... نحو ـ ٣٠ هـ = ... نحو ـ ٦٥٠ م) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله ﷺ سراً أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم وكتم إسلامه وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان، وقريش. سكن المدينة. مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل يوم «الجمل» قبل قدوم علي إلى البصرة. (الأعلام: ٨: ٤١).

(٢) عام جدب: عام قحط.

(٣) غيداق: مخصب.

(٤) الفريضة: البعير المأخوذ في الزكاة، سمي فريضة، لأنه فرض واجب على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة.

(٥) عبد الله بن رواحة: (... ـ ٨ هـ = ... ـ ٦٢٩ م) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي يعد من الأمراء والشعراء الراجزين كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر. وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة. فاستشهد فيها. (الأعلام: ٤: ٨٦).

(٦) كذا في الأصل. وفي المواهب اللدنية: «مجنة: ناحية الظهران» وفي معجم البلدان: «وقال الأصمعي: وكانت مجنة بمر الظهران».

(٧) عُسْفان: موضع على مرحلتين من مكة.

خصب غَيْدَاق، نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن، وعامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا. فسمى أهل مكة هذا الجيش جيش السّويق، يقولون: خرجوا يشربون السويق. قال: وقدم معبد بن أبي معبد الخُزاعي مكة بخبر مسير رسول الله ﷺ ـ وأصحابه، فقال صفوان بن أميّة لأبي سفيان: قد نهيتك يومئذٍ أن تعِد القوم وقد اجترءوا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم.

وقال عبد الله بن رواحة: [من الطويل]

وعدنا أبا سفيان وعدا فلم نجد ... لمِيعاده صِدقاً وما كان وافيا[1]

فأُقسِم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأُبتَ ذميماً وافتقدْتَ المَوَاليا[2]

تركنا به أوصال عُتبة وابنَه ... وعمْراً أبا جهْلٍ تركناه ثاوِيا[3]

عَصيتم رسولَ الله أُفٍّ لدِينكم ... وأمركم السَّيّيء الذي كان غاويا[4]

فإني وإن عنفتموني لقائلُ ... فِدًى لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم نَعْدِله فينا بغيره ... شِهاباً لنا في ظُلْمة الليل هاديا

وانصرف رسول الله ﷺ والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة.

وأنزل الله عز وجل في شأن هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ـ ١٧٤].

قال السُّدِّي[5]: لما تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه للمسير إلى بدر لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا: نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم فعصيتمونا، وقد أتوكم في دياركم، فقاتلوكم، وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم لا يرجع منكم أحد. فقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فالناس في هذه الآية أولئك المنافقون. وقال أبو معشر: دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم أصحاب رسول الله ﷺ عن أبي سفيان، فقالوا: قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة

---

(١) وعداً: في سيرة ابن هشام: «بدراً».

(٢) الموالي: جمع مولى، وهو القريب والجار والحليف.

(٣) ثاوياً: مقيماً أي مقتولاً.

(٤) السَّيىء: المنكر.

(٥) السُّدِّي: (. . . ـ ١٢٨ هـ = . . . ـ ٧٤٥ م) إسماعيل بن عبد الرحمٰن السدي: تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة. . وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. (الأعلام: ١: ٣١٧).

فاخشوهم؛ فقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه: ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ فخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يعني تصديقاً ويقيناً وجرأة وقوّة. وقوله: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ فانصرفوا ورجعوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي بعافية لم يلقوا بها عدواً، وبرأت جراحتهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ أي ربح وتجارة، وهو ما أصابوا من السوق فربحوا ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ﴾ لم يصبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً؟ فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضي عنهم. ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] يعني ذلك الذي قال لكم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم؛ من فعل الشيطان ألقى في أفواههم لترهبوهم وتجبنوا عنهم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي يخوفكم بأوليائه، يعني يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السديّ: يعظم أولياءه في صدوركم لتخافوهم. وقرأ عبد الله بن مسعود «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَه» قال: وكان أبيّ بن كعب[١] يقرأ: «يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِه» «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ» في ترك أمري «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين بوعدي فإني متكفل لكم بالنصر والظفر.

ذكر غزوة ذات الرِّقاع[٢]، وخبر صلاة الخوف وقصة غورث بن الحارث المحاربي، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع، فقيل: جبل فيه بقع حمر وبيض وسود. وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم. وقيل: ذات الرقاع، شجرة بذلك الموضع. وفي صحيح البخاري أنهم نقبت[٣] أقدامهم، فلفّوا عليها الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع. والله أعلم.

قال محمد بن سعد: كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ. وقال ابن إسحاق: كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة بني النضير في

---

(١) أبي بن كعب: (. . . ـ ٢١ هـ = . . . ـ ٦٤٢ م) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود. ولما أسلم كان من كتاب الوحي وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. اشترك في جمع القرآن. مات بالمدينة انظر (الأعلام: ١: ٨٢).

(٢) غزوة ذات الرقاع: هي غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٣) نقبت أقدامهم: رقت جلودها من المشي.

جمادي الأولى، فتكون على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة، واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان. ولم يقل ابن سعد غير عثمان رضي الله عنه.

وذلك أن قادماً قدم المدينة بجَلب[١]، فأخبر أصحاب رسول الله ﷺ، أن أنماراً وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائة. ويقال: سبعمائة من أصحابه؛ فمضى حتى أتى محالّهم بذات الرقاع ـ وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد وبياض ـ فلم يجد في محالّهم أحداً إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، وحضرت الصلاة، فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف.

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: صلى رسول الله ﷺ بطائفة ركعتين، ثم سلم وطائفة مقبلون على العدوّ، فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين، ثم سلم. وروى عنه أيضاً من طريق آخر، قال: صفنا رسول الله ﷺ صفين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ، وسجد الصفّ الأوّل، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخّر الصف الأوّل وتقدّم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين، وركع النبي ﷺ بهم جميعاً، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين، هكذا روي عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع.

وروى ابن هشام أيضاً بسنده إلى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، في صلاة الخوف، ولم يذكر ذات الرقاع، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيرجع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدوّ، ويتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة.

ذكر خبر غَوْرَث بن الحارث المحاربيّ لما أراد أن يفتك برسول الله ﷺ فحماه الله منه وأمكن نبيه ﷺ من عدوّه وعفوه عنه

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل

(١) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع.

لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله قال: أفتك به، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها، فأتاه فاخترط[(١)] سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فأُرعدت يد غورث، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فعفا رسول الله ﷺ عنه، فرجع إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس.
ومن رواية الخطابيّ[(٢)]: أن غورث بن الحارث المحاربيّ أراد أن يفتك برسول الله ﷺ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه، منتضياً[(٣)] سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفنيه بما شئت». فانكبّ غورث من وجهه من زُلْخة[(٤)] زُلِّخها بين كتفيه، وندر[(٥)] سيفه من يده، وقيل: فيه نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ [المائدة: ١١] الآية. وقيل: نزلت في غير هذه القصة.

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جَمَله، واستغفار النبي ﷺ لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي عن وهْب بن كيْسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى ذات الرقاع من نَخْل[(٦)] على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ، جعلت الرّفاق تمضي، وجعلت أتخلّف حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: «ما لك يا جابر»؟ قلت: يا رسول الله، أبطأ عليّ جملي هذا؟ قال: «أنخه» فأنخْته، وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اَقطع لي عصا من شجرة؛ قال: ففعلت. فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه[(٧)] بها نخساتٍ، ثم قال: اركب. فركبت، فخرج - والذي بعثه بالحق - يُواهق[(٨)] ناقته مواهقة.

قال: وتحدّثت مع رسول الله ﷺ فقال: «أتبيعني جملك هذا يا جابر»؟ قلت: يا

---

(١) اخترط السيف: استله من غمده.
(٢) الخطابي: (٣١٩ - ٣٨٨ هـ = ٩٣١ - ٩٩٨ م) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). . توفي في بست. انظر (الأعلام: ٢: ٢٧٣).
(٣) منتضياً: مستلاً.
(٤) الزلخة: وجع الظهر.
(٥) ندر: سقط.
(٦) نخل: موضع بنجد.
(٧) نخسه: وخزه بالعود.
(٨) يواهق: يباريها في السير ويماشيها.

رسول الله، بل أهبه لك؛ قال: «لا، ولكن بِعْنِيه»؛ قال: قلت: فسُمْنيه؛ قال: «قد أخذته بدرهم»؛ قلت: لا، إذا تغبنّي يا رسول الله! قال: «فبدرهمين»؛ قلت: لا. فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية؛ قلت: فقد رضيت؟ قال: «نعم»؛ قلت: هو لك؛ قال: «أخذته» ثم قال: «يا جابر، هل تزوجت بعد»؟ قلت: نعم يا رسول الله؛ قال: «أثيباً[١] أم بكراً»؟ قلت: بل ثيّباً؛ قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك»؟ قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد، وترك بناتٍ له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن؛ قال: «أصبت إن شاء الله، أما إنّا لو جئنا صراراً[٢] أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسَمِعتْ[٣] بنا، فنَفَضتْ نمارقها[٤]». قلت: يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قدِمت فاعمل عملاً كَيِّساً[٥]» فلما جئنا صِراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومَنا ذاك، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلْنا؛ قال: فحدّثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك فسمعٌ وطاعة. قال: فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب مسجد رسول الله ﷺ، ثم جلستُ في المسجد قريباً منه، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل، فقال: «ما هذا»؟ قالوا: هذا جمل جاء به جابر؛ قال: «فأين جابر»؟ فدُعيتُ له، فقال: «يا بن أخي خذ برأس جملك فهو لك» ودعا بلالاً فقال له: «اذهب بجابر فأعطه أوقيّة». قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال ينْمى عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا؛ يعني يوم الحرّة[٦].

وقال محمد بن سعد: إن رسول الله ﷺ سأل جابراً عن دَين أبيه فأخبره، فاستغفر له رسول الله ﷺ في تلك الليلة خمساً وعشرين مرة. قال: وبعث رسول الله ﷺ جعال[٧] بن سُراقة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين، وقدم صِراراً يوم الأحد لخمس بقين من المحرّم ـ وصِرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بئر جاهلية على طريق العراق ـ وغاب رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة.

---

(١) الثيب: التي أصبحت بلا رجل، لأي سبب كان.
(٢) صرار: بئر على ثلاثة أميال من المدينة، كما سيأتي للمؤلف.
(٣) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٤) النمارق: الوسائد.
(٥) عملاً كيساً: عملاً صالحاً.
(٦) يوم الحرة: يشير إلى وقعة الحر التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري. راجع الروض الأنف: ٢: ١٨٤.
(٧) في الأصول: «جوال» وهو تحريف.

ذكر غزوة دُومة الجَنْدل

وهي بضم الدال؛ سميت بدُومى[١] بن إسماعيل لأنه كان نزلها، وهي غير دَومة التي بفتح الدال.

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل على رأس تسعة وأربعين شهراً من مُهاجَرِه، وذلك أنه بلغه ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً، وأنهم يظلمون من مرّ بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة ـ وهي طَرَف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة ـ فندب رسول الله ﷺ الناس، واستخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأوّل في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويَكمَنُ النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، يقال له: مذكور؛ فلما دنا منهم إذا هم مغرِّبون، وإذا آثار النّعم[٢] والشاء، فهجم على ماشيتهم ورِعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب. وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل، فتفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد بها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السريا وفرّقها، فرجعت ولم تصب منهم أحداً وأخذ منهم رجل واحد، فسأله رسول الله ﷺ عنهم، فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهم؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يَلْق كيداً.

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنة بن حِصْن أن يرعى بتغلَمين[٣] وما والاه إلى المراض، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق الرّبذَة.

ذكر غزوة بني المُصْطَلِق[٤]، وهي غزوة المُريسيع

غزاها رسول الله ﷺ في شعبان سنة خمس من الهجرة. حكاه محمد بن سعد.

وقال ابن إسحاق: كانت في شعبان سنة ست؛ وجعلها بعد غزوة ذي قَرَد.

---

(١) كذا في الأصول، والمواهب اللدنية، وفي معجم البلدان: «سميت بدوم بن إسماعيل، وقال الزجاجي: «دومان بن إسماعيل. وقيل: كان لإسماعيل ولد اسمه دما، ولعله مغير منه. وقال ابن الكلبي: دوماء بن إسماعيل».

(٢) النعم: الإبل.

(٣) كذا في الطبري، وطبقات ابن سعد، ومعجم البلدان، والقاموس. وفي الأصل: «بثعلبين». وهو تحريف. و«تغلمين» من المراض على ميلين.

(٤) المصطلق: لقب جذيمة بن سعد بن عمرو، لقب بذلك لحسن صوته وكان أول من غنى من خزاعة.

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيّد بني المُصْطَلق، سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، ودعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتهيئوا للمسير، فبعث رسول الله ﷺ بُرَيدة بن الحُصَيب الأسلمي للوقوف على حقيقة الخبر، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله ﷺ بالخبر، فندب ﷺ الناس فأسرعوا في الخروج، وقادوا الخيول، وهي ثلاثون فرساً، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأنصار، وخرج معه خلق كثير من المنافقين، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها، واستخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة. وقال ابن هشام: استعمل عليها أبا ذرّ الغفاريّ[١]. قال: ويقال: نُميلة بن عبد الله الليثي. قال ابن سعد: وكان معه ﷺ فرسان: لِزاز، والظَّرِب، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، فبلغ الحارثَ بن أبي ضرار ومن معه مسيرُ رسول الله ﷺ، فتفرّق عنه من كان معه من العرب، وخافوا خوفاً شديداً، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المُرَيْسيع ـ وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين الفُرْع نحو من يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرُد ـ فنزل به وضرب قُبّته، ومعه ﷺ من نسائه أمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ عائشة، وأم سلمة، وتهيئوا للقتال، وصفّ رسول الله ﷺ أصحابَه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة، فترامَوا بالنَّبْل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملةَ رجلٍ واحد، فما أفلت من القوم إنسان، قتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، وسُبِيت النساء والذّراري، وغنمت النعم والشاء، ولم يَستشهد من المسلمين إلاّ رجل واحد، وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتِّفوا، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب، وأمر بجمع الغنائم فجمعت، واستعمل عليها شُقْران مولاه، وقسم السبي والنعم والشاء، فعُدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت الرِّثَّة[٢] فيمن يريد[٣]، قال: وكانت الإبل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة، والسبي مائي أهل بيت، وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فكاتباها على تسع أواق من ذهب، فسألت رسول الله ﷺ في

---

(١) أبو ذر الغفاري: (. . . ـ ٣٢هـ = . . . ـ ٦٥٢ م) جُندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار. . . أبو ذر، صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام يقال أسلم بعد أربعة وكان خامساً. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام. فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على الأغنياء في أموالهم. أمره عثمان بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. انظر (الأعلام: ٢: ١٤٠).

(٢) الرِّثة: رديء المتاع، وإسقاط البيت من الخلقان.

(٣) في الطبقات: «فيمن يزيد».

كتابتها فأدّى عنها، وتزوّجها على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه ﷺ.

قال ابن سعد: وكان من السبي من منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء، ومنهم من أُفدي، فافتديت[1] المرأة والذرّية بست فرائض، وقدموا المدينة ببعض السبي، فقدم عليهم أهلوهم فافتدوهم، فلم تبق امرأة من بني المصطلق إلاّ رجعتْ إلى قومها. وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: يا منصور أمت أمِت؛ وغاب رسول الله ﷺ في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً، وقدم المدينة لهلال رمضان.

وفي هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق بما تكلم به من قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا﴾. ووقع حديث الإفك، وقد قدّمنا ذكر ذلك كلّه في حوادث السنين بعد الهجرة، في حوادث السنة الخامسة.

ذكر غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذي القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله ﷺ. حكاه ابن سعد. وقال ابن إسحاق: كانت في شوّال.

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام، رحمهم الله تعالى، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير وساروا إلى خيبر، خرج نفر من أشرافهم ووجوههم، منهم سلام بن أبي الحُقَيق، وحُييّ بن أخْطب، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمّار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فقدموا مكّة على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله؛ فقالت قريش لهم: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ[2] وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٥] قالوا: فلما

(١) كذا في ابن سعد، وفي الأصول: «فافتدت».

(٢) الجبت والطاغوت: كل معبود من دون الله.

قالت اليهود: ذلك لقريش سرّهم ونشِطوا لما دعَوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فأجتمعوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غَطفان وسُلَيماً، ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأعلموهم أن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم واجتمعوا معهم، فتجهزت قريش وجمعوا أحابيشَهم ومن تبعهم من العرب، وكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب، ووافتهم بنو سليم بمَرّ الظَّهْران، وهم سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور السُّلَمي الذي كان مع معاوية بصفّين، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي، وخرجت غطفان وفزارة، معهما ألف بعير، يقودهم عُيَينة[1] بن حِصْن بن حذيفة بن بدر، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة المريّ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مِسْعَر بن رُخيلة بن نُويرة بن طَريف، وخرج معهم غيرهم.

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب، فلما بلغ رسول الله ﷺ فُصولُهم[2] من مكة ندب الناس[3]، وأخبرهم خبر عدوّهم، وشاورَهم في أمرهم، فأشار عليه سَلْمان الفارسيّ بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح سَلْع[4]، وجعل سلْعاً خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذٍ ثلاثة آلاف، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، فعملوا وجدّوا في العمل ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في ذلك العمل رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يورّون[5] بالضعف من العمل، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير إذن رسول الله ﷺ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة، ذكرها لرسول الله ﷺ واستأذنه، فيأذن له، فإذا قضى حاجَته رجع إلى عمله في الخندق، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين قوله تعالى: ﴿إنَّمَا

(١) عيينة هذا هو الذي قال فيه ﷺ: «الأحمق المطاع» لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة. وقال فيه أيضاً: «إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره». وسمي عيينة لشعر كان بعينيه، واسمه حذيفة. راجع المواهب اللدنية ٢: ١٢٥.

(٢) فصولهم: خروجهم.

(٣) في الأصول: «نذر» وهو تحريف.

(٤) سلع: جبل بسوق المدينة.

(٥) يورون: يخفون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف.

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور: ٦٢] ثم قال تعالى في المنافقين: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا[1] ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] ثم قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤].

قال: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه. وروى محمد بن سعد بسند يرفعه إلى سهل بن سعد قال: جاءنا رسول الله ﷺ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا، فقال ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجِرة[2]». وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب. وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: [من الرجز]

لاَ هُـمَّ[3] لـولا أنـت مـا اهـتـدَيْـنـا ... ولا تــصــدَّقْــنــا ولا صــلَّــيــنــا
فــأَنْــزِلَــنْ ســكــيــنــةً عــلــيــنــا ... وثَــبِّــتِ الأقــدامَ إِنْ لاقَــيْــنــا
إنَّ الأُولَـى لـقـد[4] بـغَـوا عـلـيـنـا ... إذا أرادوا فــتــنــةً أَبَــيْــنــا

أَبينا يرفع بها صوته ﷺ.

وكان لرسول الله ﷺ في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته، ومنها ما يتعيّن ذكره ها هنا، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال:

اشتدت على الناس في بعض الخندق كُدْية[5]، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح ذلك الماء على

---

(١) اللواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب.

(٢) وهذا القول من كلام عبد الله بن رواحة، تمثل به عليه الصلاة والسلام. راجع الروايات المختلفة في صيغته، وفي كونه شعراً أو غير شعر في المواهب اللدنية: ٢: ١٢٧.

(٣) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف. وفي الأصول: «اللهم» والشعر لعبد الله بن رواحة. ارتجز به النبي ﷺ.

(٤) وفي الأصول: «قد» وما أثبتناه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف. وفي هذه الأبيات روايات كثيرة تجدها في المواهب اللدنية: ٢: ١٢٨.

(٥) الكدية: الحجر الصلد، الضخم، والشيء الصلب من الحجارة والطين والأرض الغليظة.

تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثِيب، لا تردّ فأساً ولا مِسحاة.

قالوا: وفرغوا من حفر الخندق في ستّة أيام، وكانوا يعملون فيه نهاراً وينصرفون ليلاً، ورفع رسول الله ﷺ النساء والصبيان في الآطام، وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان مضين من ذي القعدة، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة. وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها، واْجتمع إليها بعد فراغ الخندق، فصار الخندق بين رسول الله ﷺ وبينهم، وظهور المسلمين إلى سَلْع وخرج حُييّ بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظيّ، صاحب عقد بني قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دون حُييّ باب حصنه، وأبى أن يفتح له، فناداه حييّ: ويْحك يا كعب! افتح لي. قال: ويحك! إنك اْمرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً فعاوده مراراً، وهو يأبى عليه حتى قال له حُييّ: والله إن أغلقت دوني إلا عن جَشِيشتك[1] أن آكل معك. فأحفظه[2] ذلك، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئتك بعزّ الدهر وببحرٍ طام[3]، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه[4] غطفان على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمى على جانب أُحُد، وقد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتني والله بذلّ الدهر، وبجهَام[5] قد هَرَاق ماءَه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُييّ! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل به حُيي حتى سَمح له، أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد[6] عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين وصحّ ذلك عنده كبّر وقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قال: ونَجَم النفاق وفَشِل الناس، وعظم البلاء، واْشْتَدّ الخوف، وخِيفَ على الذراريّ

---

(١) الجشيشة: واحدة الجشيش، وهو أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً، ثم تنصب به القدر، ويلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ، ويقال لها: دشيشة.

(٢) احفظه: أغاظه، أغضبه.

(٣) طام: مرتفع، يريد كثرة الرجال.

(٤) التصويب من المواهب، وفي الأصول: «من رومة» وهو تحريف.

(٥) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٦) كذا في الطبري وابن هشام. وفي الأصل: «راشد».

والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب: ١٠] قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلثمائة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قُريظة، وكان عباد بن بشر[1] على حرس قبة رسول الله ﷺ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة، ورسول الله ﷺ والمسلمون وِجاهَ العدوّ لا يزولون يعتقبون خندقهم ويحرسونه، والمشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو ضرار بن الخطّاب الفهريّ[2] يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلَهم، ويجتمعون مرّة ويتفرّقون أخرى، ويناوشون أصحابَ رسول الله ﷺ، ويقدّمون رماتهم فيرمون، فرمى حِبَّانُ بن العَرِقة سعدَ بنَ معاذ بسهم فأصاب أَكْحَلَه[3]، فقال: خذها وأنا ابن العَرِقة. ويقال: رماه أبو أسامة الجُشَمي.

قال ابن هشام: ولما اشتدّ على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عُيينة بن حِصن بن حُذَيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عُبادة فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمر تحبّه فتصنعه، أم شيء أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم[4] من كلّ جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم

---

(١) عباد بن بشر: (٣٣ ق هـ ـ ١٢ هـ = ٥٩١ ـ ٦٣٣ م) عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: صحابي من أبطالهم. أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها. استعمله الرسول ﷺ على حرسه بتبوك، واستشهد يوم اليمامة (راجع الأعلام: ٣: ٢٥٧).

(٢) ضرار بن الخطاب: (. . . ـ ١٣ هـ = . . . ـ ٦٣٤ م) ضرار بن الخطاب بن مرداش القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي من القادة من سكان الشراة، فوق الطائف، قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة، ولم يكن في قريش أشعر منه. استشهد في وقعة أجنادين. (الأعلام: ٣: ٢١٥).

(٣) الأكحل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده.

(٤) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

لا يطعمون أن يأكلوا منها تمرة إلا قراء[١] أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعْطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب؛ ثم قال: لِيَجْهدوا علينا.

قال ابن سعد: ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدو يوماً، فغَدوْا جميعاً ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مَضِيقاً من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي ﷺ وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقيل لهم: إن معه رجلاً فارسياً، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فمِن هناك إذاً، فصاروا إلى مكان ضيّق أغفله المسلمون، فعَبَر منه عكرمةُ بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطّاب، وهُبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد وُدّ[٢] فجعل عمرو بن عبد ودّ يدعو إلى البراز، ويقول: [من الوافر]

ولقد بحِحْتُ من النداء لجمعهم هل من مُبارِزْ

وكان ابن تسعين سنة، فبرز إليه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين[٣] إلاّ أخذتها منه؛ قال له: أجل. قال له: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النِّزال، قال: يا بن أخي، فوالله ما أحبّ أن أقتلك، فقال له عليّ: ولكني والله أحبّ أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهَه، ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتَجاوَلا، فقتله عليّ رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عِكْرمة بن أبي جهل يومئذٍ رمحه وهو منهزم عن عمرو. فقال حسّان بن ثابت: [من المتقارب]

فرّ وألقى لنا رمحَه لعلك عكرمَ لم تَفعلِ[٤]
وولّيتَ تعدو كعَدْوِ الظَّليـ ـم ما إن تَجورُ عن المَعْدِلِ[٥]

---

(١) القراء: ما يقدم للضيف من الطعام.

(٢) عمرو بن عبد ود: (... ـ ٥ هـ = ... ـ ٦٢٧ م) عمرو بن عبد ود العامري. من بني لؤي، من قريش: فارس قريش وشجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم. قتله علي بن أبي طالب. (الأعلام: ٥: ٨١).

(٣) الخلة: المأثرة.

(٤) يبدو أن الكلمة الأولى من صدر البيت سقط منها حرف، ولا يستقيم الوزن إلا به كقولك: «فغرّ»، مثلاً.

(٥) الظلِم: ذكر النعام.

ولـم تـلـق ظـهـرَك مـسـتـأنـسـاً   كـأنّ قَـفـاك قَـفـا فُـرْعُـلِ[١]

قال ابن سعد: وحمل الزبير بن العوّام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقّه باثنتين، ثم اتّعدوا أن يغدوا من الغد، فباتوا يعبّئون أصحابهم، وفرّقوا كتائبهم، ونحّوا إلى رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم يومهم ذاك إلى هُويّ[٢] من الليل، ما يقدرون أن يزولوا من موضعهم، ولم يصلّ رسول الله ﷺ ولا أصحابه ظهراً ولا عصراً ولا مغرباً، ولا عشاء، حتى كشفهم الله تعالى، فرجعوا متفرّقين إلى منازلهم وعسكرهم، وانصرف المسلمون إلى قبّة رسول الله ﷺ، وأقام أُسيد بن حُضير على الخندق في مائتين من المسلمين، وكرّ خالد بن الوليد في خيل المشركين يطلبون غِرّة[٣] من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وَحْشِيّ، فزرقَ[٤] الطفيلَ بن النعمان بمِزراقه فقتله، وانكشفوا، وصار رسول الله ﷺ إلى قبّته فأمر بلالاً فأذّن وأقام للظهر فصلّى، ثم بعد ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً». ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يَدعون الطلائع[٥] بالليل طمعاً في الغرّة، قال: وحُصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة. وقال ابن إسحاق: أقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر.

ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيْف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة[٦] بن الأشجع بن رَيْث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرْني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل[٧] عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة». فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودّي إياكم، وخاصّةَ ما بيني وبينكم؛ قالوا: صدقت، لست عندنا بمتّهم؛ فقال: إن

---

(١) الفرعل: صغار الضباع.
(٢) هُوي من الليل: ساعة منه، أو نحو ثلثه أو ربعه.
(٣) غرة: فرصة.
(٤) زرق: طعن، المزراق: الرمح القصير.
(٥) الطلائع: المراقبة.
(٦) كذا في الأصول وفي أسد الغابة، والإصابة. وفي ابن هشام «خلاوة». وجاءت الروايتان في الطبري.
(٧) فخذّل عنا: أي أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً.

قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تجلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزة[١] أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم[٢] رهْناً من أشرافهم، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه؛ قالوا: لقد أشرت علينا بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم ودّي لكم وفراقي محمّداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت منه عليّ حقاً أن أبلّغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني؛ قالوا: نفعل، فما هو؟ قال: تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين: قريش وغطفان، رجالاً من أشرافهم، ونعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلي وعشيرتي، وأحبّ الناس إليّ، ولا أراكم تتّهموني[٣]، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتموا عني؛ قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذّرهم ما حذّرهم. فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمَة بن أبي جهل[٤]، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مُقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ فيما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضرستكم[٥] الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا[٦] إلى بلادكم

---

(١) النهزة: انتهاز الشيء، وهو اختلاسه.

(٢) الرهن: جمع رهينة.

(٣) حذفت نون الرفع هنا. وهو جائز على قلة.

(٤) عكرمة بن أبي جهل: (... ـ ١٣هـ = ... ـ ٦٣٤ م) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه، فشهد الوقائع. واستشهد في اليرموك أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٥) ضرستكم: أي نالت منكم.

(٦) تنشمروا: تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغَطَفان: والله إن الذي حدّثكم نُعيم بن مسعود لحَقّ، فأرسَلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا؛ فقالت بنو قُرَيْظَة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذَكر لكم نُعيم بنُ مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشَمَروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل. فأرسلوا إلى قريش وغَطَفان: إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهناً. فأَبَوْا عليهم، وقال أبو سفيان: ألا أراني أستعين بإخوة القِرَدة والخنازير! فوقع الاختلاف والخُذْلان بينهم، وبعث الله عزّ وجلّ ريحاً في ليلة شاتية شديدة البَرْد، فكفأَتْ[١] القدور وطرحت الأبنية.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما وقع بينهم من الاختلاف أَرسل حُذيفة بن اليمان[٢] إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال حذيفة: دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحدِثَنَّ شيئاً. فذهبتُ فدخلتُ فيهم، والريحُ وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقِرّ لهم قِدْراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسُه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، ولقد هلك الكُراع[٣] والخُفّ، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقِينَا من شدة الرِّيح ما ترون، فارتحِلوا فإنّي مرتحِل. ثم قام إلى جَمَله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوَثَب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ ألاّ أحدث شيئاً حتى آتيه، ثم لو شئت، لقتلته بسهم. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر. وسمعتْ غَطَفان ما فعلتْ قريش، فانشَمَروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله ﷺ فانصرف راجعاً إلى المدينة هو والمسلمون ووضعوا السلاح. وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حَمَ لا ينصرون).

ولما انصرف رسول الله ﷺ وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه: لن تغزوَكم

---

(١) كفأت: قلبت.

(٢) حذيفة بن اليمان: (... ـ ٣٦ هـ = ... ـ ٦٥٦ م) حذيفة بن حِسل بن جابر العبسي أبو عبد الله، واليمان لقب حِسل: صحابي، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين. توفي في المدائن. (الأعلام: ٢: ١٧١).

(٣) الكُراع: الخيل.

قريش بعد عامكم هذا، ولكنّكم تغزوهم[١]. فكان كذلك.

قال ابن سعد: وكانت مدّة الحصار خمس عشرة ليلة، وانصرف رسول الله ﷺ لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس. وقد ذكرنا ما قاله غيرُه في ذلك.

ذكر تسمية من استُشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتِل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني الأشهل، قتله خالد بن الوليد؛ وعبد الله بن سهل[٢] الأشهليّ، وثعلبة بن غَنَمة بن عديّ، قتله هبيرة بن أبي وهب؛ وكعب بن زيد من بني دينار، قتله ضرار بن الخطّاب، وسعد[٣] بن معاذ مات من جراحة بعد بني قريظة، والطُّفَيل بن النعمان بن جُشم.

وقتل من المشركين أربعة نفر وهم: عثمان بن أميّة بن مُنبّه بن عُبيد بن السبّاق من بني عبد الدار بن قصيّ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعمرو بن عبد وُدّ، ويقال: وابنه حِسْل بن عمرو، قتلهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر ما أُنزِل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك

أنزل الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ في أمر الخندق والأحزاب قولَه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩] قال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله: قوله: «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» يعني الأحزاب: قريش وغَطَفان ويهود قُرَيْظة والنّضير. «فأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً» قال: وهي الصَّبا[٤]. قال عكرمة: قالت

---

(١) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل، وهو جائز على قلة. وقال الدماميني: إنه شاذ. وقال في الهمع: لا يقاس عليه في الاختيار.

(٢) كذا في أسد الغابة، والاستيعاب، والطبقات وفي كلا الأصلين: «سهيل».

(٣) رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم فقطع أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ، فانتفخت يده ونزفه الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني في بني قريظة. فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة، حتى نزل بنو قريظة على حكمه، وكان حكمه فيهم أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم. فقال رسول الله ﷺ: أصبت حكم الله فيهم. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات رحمه الله.

(٤) الصَّبا: الصبا هي الريح الشرقية، ويقال لها: القبول، لأنها تقابل الشمال، والشمال: الريح العقيم التي لا خير فيها.

الجَنوب للشَّمال ليلةَ الأحزاب: انطلقي بنُصرة رسول الله ﷺ فقالت الشَّمال: إن الحرّة[١] لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصَّبا، قال رسول الله ﷺ: «نُصرتُ بالصَّبا وأُهلِكتْ عاد بالدَّبور». قوله: «وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» هي الملائكة، ولم تقاتل يومئذٍ، قال المفسرون: بعث الله تعالى عليهم باللّيل ريحاً باردة، وبعث الملائكة، فقلعت الأوتاد، وقطّعت أطناب الفَساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضُها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كلّ حيّ يقول: يا بني فلان، هلمّ إليّ؛ فإذا اجتمعوا عنده قال: النَّجاء النَّجاء، أُتيتم. لِما بعث الله عليهم من الرعب، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب: ١٠] قال: قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني من فوق الوادي من قبل المشرق، عليهم مالك بن عوف النَّصريّ، وعيينة بن حصن الفَزاري في ألف من غَطَفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وحُييّ بن أخطب في يهود بني قُرَيظة. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعوار السّلمي من قبل الخندق. وقال ابن إسحاق: والذين جاءوا من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي مالت وشخصت ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفزع. ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ قال: أما المنافقون فظنوا أن محمداً ﷺ وأصحابه سيُغلبون ويُستأصلون، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حقّ، وأنه سيظهر دينه على الدين كلّه ولو كره المشركون.

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١١] قال: أي اختُبروا ومُحّصوا، ليُعرَف المؤمن من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: حُرّكوا وخُوّفوا ﴿زِلْزَالًا﴾ تحريكاً ﴿شَدِيدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب: ١٢] قال: يعني معتّب بن قشير وأصحابه ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شَكٌّ وضَعفُ اعتقاد، وقد قدّمنا في أخبار المنافقين ما تكلم به معتّب بن

---

(١) وفي المواهب: ٢: ١٤٦: «إن الحرائر لا تهب بالليل» وفي القرطبي: ١٤: ١٤٤: «إن محوة لا تسري بالليل» ومحوة من أسماء الشمال؛ لأنها تمحو السحاب وتذهب به.

قشير في هذه الغزوة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٣]. ﴿قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من المنافقين، وهم أوْس بن قيظيّ وأصحابه؛ قال مقاتل: هم بنو سالم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود لعبد الله بن أُبيّ وأصحابه من المنافقين: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه! فارجعوا إلى المدينة. ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة، وهم بنو حارثة بن الحارث ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي خالية ضائعة، وهي مما يلي العدوّ، وإنا لنخشى عليها العدوّ والسُرّاق، قال: وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العُطارديّ «عوِرة» بكسر الواو، يعني قصيرة الجدران فيها خلل وفُرجة. وأخبر تعالى أنها ليست بعورة، إن يريدون إلا الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا[1] وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الأحزاب: ١٤] قال: يقول: لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿أَقْطَارِهَا﴾ جوانبها ونواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَءَاتَوْهَا﴾ أي لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟﴾ وما احتسبوا عن الفتنة ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال: هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن والفرّاء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى هَلَكُوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [الأحزاب: ١٥] قال: ﴿عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي من قبل غزوة الخندق ﴿لَا يُوَلُّونَ﴾ عدوّهم ﴿ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ قال يزيد بن رومان[2]: هم بنو حارثة همّوا يوم أُحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألاّ يعودوا لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم.

وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدرٍ من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئَن أشهَدَنا الله قتالاً لنقاتلنّ. فساق الله تعالى ذلك إليهم في ناحية المدينة.

---

(١) «لأتوها» من غير مد قراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف (لجاؤها).

(٢) يزيد بن رومان: (. . . ـ ١٣٠هـ = . . . ـ ٧٤٧ م) يزيد بن رومان الأسدي، أبو روح، مولى آل الزبير بن العوام: عالم بالمغازي، ثقة. من أهل المدينة. ووفاته بها. (الأعلام: ٨: ١٨٢).

وقال مقاتل[١] والكلبي: هم السبعون رجلاً الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العَقَبة وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؛ فقال النبي ﷺ: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم». قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة». قالوا: قد فعلنا. فذلك عهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ﴾ أي عنه.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب: ١٦] قال: أي الذي كتب عليكم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى آجالكم، والدنيا كلّها قليل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي نصرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٧].

قوله تعالى: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ١٨] قال: ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين منكم للناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ودَعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ الحرب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دفعاً وتعذيراً. قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة[٢] رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك. وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبْقوا منكم أحداً، وإنا لنُشفِق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا، هَلُمَّ إلَيْنَا. فأقبل عبد الله بن أبيّ وأصحابه على المؤمنين يعوّقونهم ويخوّفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا: ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يرْفِدُنا[٣] بخير، وما عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا ها هنا، انطلقوا إلى أخواننا وأصحابنا. يعني اليهود، فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً.

وقال ابن زيد: لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد

---

(١) مقاتل: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، أبو الحسن (. . . ـ ١٥٠ هـ = . . . ـ ٧٦٧ م) من أعلام المفسرين. أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث. (الأعلام: ٧: ٢٨١).

(٢) أكلة راس: أي هم قليل يشبعهم رأس واحد. (القاموس: أكل).

(٣) يرفدنا: يعيننا.

أخاه، بين يديه شِواء ورغيف ونبيذ، فقال: أنت ها هنا في الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف! فقال: هلم إلى هذا، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً؛ فقال: كذبت والذي يُحلف به ـ وكان أخاه من أبيه وأمه ـ أما والله لأخبرن النبيّ ﷺ أمرك. فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩] قال: ﴿أَشِحَّةً﴾ عليكم بالخير والنفقة في سبيل الله، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في رؤوسهم من الخوف والجبن، أي كدَوَران أعين الذي يُغْشى عليه من الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾ أي عضوكم ورموكم بألسنة حداد ذَربة[1]، وأصل السلق: الضرب قال قتادة: يعني بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا، فإنا قد شهدنا معكم القتال، ولستم بأحق بالغنيمة منا؛ وأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوا مقاسمة، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق. ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ يعني الغنيمة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ يعني هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن قتالهم، وقد انصرفوا جُبْناً منهم وفرَقاً ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ أي يرجعوا إليهم كرّة ثانية ﴿يَوَدُّوا۟﴾ من الخوف والجبن ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ﴾ عائدون إلى البادية ﴿فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي معهم ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ يسألون بعضهم بعضاً عن أخباركم، وما آل إليه أمركم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] أي رياء من غير حِسبة، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً.

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢١ـ ٢٢] قال: قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي سنة صالحة أن تنصروه وتؤازروه، ولا تتخلّفوا عنه، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو؛ إذ كُسرت رَباعيته وجُرح، وقتِل عمه حمزة، وأوذِي بضروب الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضاً كذلك، واستنّوا بسنته، ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي

---

(١) ذربة: جميلة الكلام.

في الرخاء والبلاء، ثم ذكر المؤمنين بوعود الله تعالى فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ الآية، قال: ووعْد الله إيّاهم قولُه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ قال: قوله: ﴿صَدَقُوا۟﴾ أي وفوا به. ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعني فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد. والنحب: النذر، والنحب أيضاً: الموت، قال ذو الرمة[1]: [من الطويل]

عَشيّةَ فرَّ الحارثيُّون بعد ما ... قَضى نَحْبَه في ملتقى القومِ هَوْبَرُ[2]

أي مات، قال مقاتل: قضى نحبه، أي أجله، فقتل على الوفاء، يعني حمزة وأصحابه الذين استُشهدوا بأُحد، رضوان الله عليهم. وقيل: قضى نحبه، أي بذل جهده في الوفاء بعهده، من قول العرب: نَحَب فلان في سيره يومه وليلته؛ إذا مدّ فلم ينزل قال جرير[3]: [من الطويل]

بِطخْفَةَ جالَدْنا الملوكَ وخَيْلُنا ... عشيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْن على نَحْبِ[4]

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قال ابن إسحاق: ينتظر ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ أي ما شكّوا وما تردّدوا في دينهم، وما استبدلوا به غيرَه.

ثم قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾ يعني قريشاً

---

(١) ذو الرُّمة: (٧٧ ـ ١١٧ هـ = ٦٩٦ ـ ٧٣٥) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة. شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. كان شديد القصر، دميماً يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. توفي بأصبهان، وقيل بالبادية. (الأعلام: ٥: ١٢٤).

(٢) قال ابن هشام: «هوبر من بني الحارث بن كعب، أراد: يزيد بن هوبر».

(٣) جرير: (٢٨ ـ ١١٠ هـ = ٦٤٠ ـ ٧٢٨ م) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء. وكان يكنى بأبي حرزة. (الأعلام: ٢: ١١٩).

(٤) طخفة: بكسر الطاء، وفتحها: جبل أحمر طويل حذاءه آبار ومنهل، قال صاحب اللسان: «ويقال: جرين على نذر».

وغطفان ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ أي بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٤ـ ٢٥]، وبيده الفضل والمنّة.

ذكر غزوة بني قُرَيْظة

غزاها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة خمس من مهاجره. وقال ابن إسحاق: في شوّال منها.

قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن سعد، دخل حديث بعضهما في بعض، قالا: لما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ ـ عليه السلام ـ النّبي ﷺ معتجراً[1] بعمامة من إستَبْرق، على بغلة عليها رِحالة[2] عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعتُ إلا من طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذّن في الناس: إن رسول الله ﷺ يأمركم ألاّ تصلّوا العصرَ إلاّ في بني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم، ودعا رسول الله ﷺ عليًّا، فأعطاه لواءه، وقدّمه إلى بني قريظة، فسار عليّ حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: أظنّك سمعتَ منهم لي أذى؛ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نِقْمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جَهولاً. ثم نزل ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أَنَّا؛ ويقال: بئر أُنّي[3]؛ وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلّوا العصر لقول رسول الله ﷺ «ولا يصلّينّ أحد العصر إلا ببني قريظة». فشغلهم ما لم يكن منه بدٌّ في حربهم وأبوا أن يصلّوا لقول رسول الله ﷺ حتى يأتوا بني قريظة، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، وتخوّف ناس من فوت الصلاة فصلّوا، فما عنّف رسول الله ﷺ أحداً من الفريقين، ولا عابهم الله تعالى في كتابه.

---

(١) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها الرجل على رأسه، ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

(٢) الرحالة: سرج من جلود، لا خشب فيها تتخذ للركض الشديد.

(٣) هكذا ضبط في سيرة ابن هشام، وفي شرح المواهب اللدنية أقوال في ضبطه. انظر: ٢: ١٥٤.

قال: وسار رسول الله ﷺ إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً، فحاصرهم خمسة عشر يوماً. قاله ابن سعد.

قال ابن إسحاق: خمساً وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكان حُييّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيّها شئتم؛ قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبيّ مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نُخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقَلاً حتى يحكم الله بيننا وبينه، فإن نَهْلِك نهلِك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وأن نَظْهَرْ فلعمري لنجدنّ النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة؛ قالوا: تفسد علينا سَبْتَنا، وتحدث فيه ما لم يُحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المسخ؛ قال: ما بات منكم رجل منذ ولدته أمّه ليلة واحدة من الدهر حازماً. ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لُبابة[١] بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهَش[٢] إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زلّت[٣] قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عَمَده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ. قال: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو كان جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢]. قالت أم سلمة رضي الله

---

(١) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم.

(٢) جهش: فزع وأسرع.

(٣) كذا في الأصول. وفي ابن هشام والمواهب اللدنية والطبري: «ما زالت».

عنها: سمعت رسول الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك، فقلت: ممّ تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله؟ قال: تِيب على أبي لبابة. قالت: فقلت: أفلا أبشّره يا رسول الله؟ قال: بلى، إن شئت. فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضرَب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مرّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطاً في الجِذْع ستَّ ليال، تأتيه امرأته في كلّ وقت صلاة، فتحلّه للصلاة، ثم تعود فتربطه.

هذا ما كان من أمر أبي لبابة؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سَعْية، وأُسيد بن سعْية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من هَدَل، قال ابن إسحاق: ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله ﷺ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سُعدَى القرظيّ فمرّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة[1]، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سُعدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني عثرات الكرام؛ ثم خلّى سبيله، فخرج على وجهه، فلم يُدْرَ أين توجّه من الأرض إلى آخر الدهر، فذكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: ذاك رجل نجّاه الله بوفائه؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق. والله أعلم.

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ وسؤال الأوس فيهم؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم

قال: ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. يعنون بني قينقاع لما أطلقهم ﷺ لعبد الله بن أبيّ بن سلول، فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك سعد بن معاذ. وكان سعد في مسجد رسول الله ﷺ، في خَيْمة لامرأة من أسْلم

---

(١) محمد بن مسلمة: (٣٥ ق هـ ـ ٤٣ هـ = ٥٨٩ ـ ٦٦٣ م) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمٰن: صحابي، من الأمراء، من أهل المدينة، شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك. اعتزل الفتنة في أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين. مات بالمدينة. (الأعلام: ٧: ٩٧).

يقال لها: رُفَيدة، كانت تداوي الجرحى محتسبة، فأتاه قومه فحملوه على حمار، ووطئوا له بوسادة من أدَم[١]، ثم أتوا به رسول الله ﷺ، وهم يقولون له: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاّك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أنّى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنَعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، لكلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيّدكم». فأمّا المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، والأنصار يقولون: قد عمَّ بها رسول الله ﷺ؛ فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أنّ الحكم فيهم لَمَا حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسْبَى الذراريّ[٢] والنساء. فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة[٣] أرْقِعة. أي من فوق سبع سماوات، ويقال: إن اليهود سألوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ. والله تعالى أعلم.

قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة وأمر بهم فأُدْخِلوا المدينة، فحبسهم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فحفر بها خنادق، وجلس هو وأصحابه وبعث إليهم فأُخرجوا إليه أَرْسالاً[٤]، فضُربت أعناقهم، وفيهم حُيَيّ بن أخطب[٥]، وكعب بن أسد[٦]، واختلف في عددهم فقيل: كانوا ستمائة أو سبعمائة. وقيل: بين

(١) الأدم: الجلد.
(٢) الذراري: الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم.
(٣) قال ابن دريد: أرقعة: (جمع رقيع) بتذكير العدد على معنى السقف، إذا السماء مؤنث سماعي فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد، وسميت السماء رقيعاً لأن بعضها كان يرفع بعضاً وبعضهم يجعل الرقيع السماء الدنيا لا غير، وكأنها رفعت بالنجوم.
(٤) أرسالاً: أفواجاً وفرقاً.
(٥) حُيي بن أخطب: (... ـ ٥ هـ = ... ـ ٦٢٦ م) حيي بن أخطب النضري، جاهلي من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه. (الأعلام: ٢: ٢٩٢).
(٦) كعب بن أسد: كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة: شاعر جاهلي له مناقضات مع «قيس بن الخطيم» في يوم بعاث. (الأعلام: ٥: ٢٢٥).

الثمانمائة والتسعمائة؛ قال: وقالوا: لكعب بن أسد، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يُصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذُهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! قال: وأُتِي بِحُيَيّ بن أخطب، وعليه حلّة له فُقّاحية[1] قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يُسلبَها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يَخْذِل الله يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَر ومَلحَمة كُتبت على بني إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه، فقال جَبَل بن جَوّال الثعلبيّ[2]: [من الطويل]

لعمرك ما لام ابن أخطبَ نفسَه ولكنه من يَخذُلِ الله يُخذَلِ
لجَاهَد حتى أبلغ النفس عُذرَها وقَلْقل يبغي العزّ كلّ مُقَلْقَلِ[3]

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: لم يُقْتَل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحدّث معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله؛ قلت لها: ويلك! ما لك؟ قالت: أُقْتل؛ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته؛ قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: والله ما أنسى عجباً منها، طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل. قال الواقديّ: واسم تلك المرأة: بُنَانة امرأة الحكم القرظيّ، وكانت قتلت خلّاد بن سُويد، طرحت عليه رَحًى، فضرب رسول الله ﷺ عنقَها بخلاد بن سويد. قال: وكان عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام رضي الله عنهما يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزّبَير بن باطا القرظيّ، وكان يكنى أبا عبد الرحمٰن ـ وكان قد منّ على ثابت بن قيس بن شمّاس في الجاهليّة يوم بُعَاث أخذه فجزّ ناصيته ثم خلّى سبيله ـ فجاءه ثابت يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثلي مثلك؛ قال: إني قد آن أن أجزيَك

---

(١) فقاحية: بلون الورد حين هم أن يتفتح. وفي الأصل: «تفاحية»، وهو تحريف.
(٢) جبل بن جوَّال الثعلبي: جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن صارم بن إياس بن عبد غنم. الذبياني ثم الثعلبي. كان يهودياً مع بني قريظة، فأسلم ورثا حيي بن أخطب بأبيات منها: لعمرك. . . وبالنسبة لصحة هذه الأبيات راجع ترجمة جبل في: الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٢٢، رقم الترجمة: ١٠٧١.
(٣) قلقل كل مقلقل: تحرك كثيراً.

بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزِي الكريم؛ ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، فقد كانت للزبير عندي يد، وله عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسول الله ﷺ: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك؛ قال: شيخ كبير لا أهل ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أهله وولده؛ قال: هم لك. فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك، فهم لك؛ قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ماله، فقال: هو لك؛ فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأنّ وجهه مرآة صينية يتراءى فيه عذارى الحيّ كعب بن أسد؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل سيِّد الحاضر والبادي حُييّ بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مُقدّمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا كررنا عَزَّال بن سموءل؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة؛ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قَبْلة[1] دلْو ناضح حتى ألقى الأحبّة. فقدّمه ثابت فضرب عنقه. فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: «ألقى الأحبة» قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً.

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس[2]: [من الطويل]

وفَـتْ ذِمّـتـي أنّـي كـريـمٌ وأنـنـي	صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبرِ
وكـان زَبِـيـرٌ أعـظـمَ الـنـاس مِـنّـةً	عـلـيّ فـلـمّـا شُـدّ كُـوعـاه بـالأسـر
أتـيـت رسـولَ الله كـيـمـا أفـكّـه	وكان رسول الله ﷺ بحراً لنا يجري

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أَنْبَت[3] منهم؛ فسألته سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سَليط بن قيس ـ وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، وكانت قد صلّت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء على رفاعة بن سموءل القرظيّ، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفها، فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمّي، هب لي رفاعة بن

---

(١) قبلة دلو: أي بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض، ثم يصرفها وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة. وذكر أبو عبيد الحديث فقال: «قال الزبير: يا ثابت، الحقني بهم، فلست صابراً عنهم إفراغة دلو».

(٢) ثابت بن قيس: (. . . ـ ١٢ هـ = . . . ـ ٦٣٣ م) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ وشهد أحداً، وما بعدها من المشاهد. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر. (الأعلام: ٢: ٩٨).

(٣) أنبت: ظهر شعر لحيته.

سموءَل، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل. فوهبه لها، فاستَحْيَتْهُ[١].

قال: ثم أمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجُمعت، فاصطفى لنفسه رَيْحانة بنت عمرو بن خُنَافة إحدى نساء عمرو بن قريظة، ثم أخرج الخمس من المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكان السُّهْمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى مَحْمِيَةَ[٢] بن جَزْء الزُّبَيْدي، فكان رسول الله ﷺ يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرِّثّة، وهي السَّقَط من متاع البيت.

وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاريّ أحد بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً.

واستُشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عَمرو الأنصاري الخزرجي، طُرحت عليه رحًى فشدخَتْه شدخاً شديداً، ومات أبو سنان بن مِحصن بن حُرثان، أخو بني أسد بن خزيمة.

وأنزل الله عزّ وجلّ في شأن بني قريظة قولَه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦ـ ٢٧] قال: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ يعني قُرَيظةَ ظاهروا قريشاً وغطفان ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي حصونهم ومعاقلهم، واحدتها صِيصِية ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم الرجال ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل: يعني خيبر. وقال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القِيامة. والله تعالى أعلم.

ذكر سرية عبد الملك بن عَتِيك[٣] إلى أبي رافع سلّام ابن أبي الحُقَيق النضريّ بخيبر

قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ.

---

(١) استحيته: وهبته الحياة.

(٢) كان من مهاجرة الحبشة، فاستعمله رسول الله ﷺ على الأخماس.

(٣) عبد الله بن عتيك: (. . . ـ ١٢هـ = . . . ـ ٦٣٣ م) عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي الأنصاري، صحابي، من القادة. شهد أحداً وما بعدها. واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. (الأعلام: ٤: ١٠٢).

وقال ابن إسحاق: كانت هذه السريّة بعد غزوة بني قريظة. فتكون في ذي الحجّة سنة خمس من الهجرة، وهو الصحيح إن شاء الله، ويدلّ عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عَتِيك في الطبقات قال في ترجمته: إن رسول الله ﷺ بعثه في ذي الحجّة سنة خمس إلى أبي رافع سلّام بن أبي الحقيق بخيبر.

قال محمد بن إسحاق: لما أصابت الأوسُ كعبَ بنَ الأشرف قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. فتذاكروا: من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر، وهم: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سِنان، وعبد الله بن أُنَيس، وأبو قتادة الحارث بن ربْعي، وخُزَاعيّ بن أسود، حليف لهم من أسلم.

قالوا: وكان أبو رافع بن أبي الحُقيق قد أجلب[١] في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجُعْل العظيم لحرب رسول الله ﷺ، فأمّر رسول الله ﷺ عليهم عبد الله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكمنوا، فلما هدأت الرِّجْل جاءوا إلى منزله فصعدوا درجة له، وقدّموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن[٢] باليهوديّة، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهديّة. ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح، فأشار إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فَعَلَوْه بأسيافهم، قال ابن أنيس: وكنت رجلاً أعشى لا أبصر، فاتّكأتُ بسيفي على بطنه حتى سمعت خَشَّه في الفراش، وعرفت أنه قد قضى، وجعل القوم يضربونه جميعاً، ثم نزلوا وصاحت امرأته، فتصايح أهل الدار. قال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن [عتيك][٣] سيىء البصر، فوقع من الدرجة فوَثِئت[٤] يده وَثْأً شديداً، قال ابن هشام: ويقال: رِجْله؛ قالوا: فحملناه حتى أتينا منهراً من عيونهم ـ والمناهر؛ واحدتها مَنْهرة، وهو فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها كُنَاستهم ـ فدخلنا فيه.

قال محمد بن سعد: وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران، فلم يَرَوْهم، فرجعوا، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن الطلب. قال ابن إسحاق: فقلنا: فكيف لنا أن نعلم بأن عدوّ الله قد مات؟ فقال رجل منا: أنا ذاهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس، فوجده ورجال من يهودَ

---

(١) أحلب: جمع.

(٢) يرطن: يتحدث.

(٣) في الأصول: «عبد الله بن أنيس». والتصويب عن ابن هشام، وأسد الغابة، والمواهب اللدنية، والطبري.

(٤) الوثء: صدع يصيب اللحم ولا يبلغ العظم فيرم، وقيل: هو توجع في العظم من غير كسر.

حوله، وامرأته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحدّثهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: ابن عتيك بهذه البلاد! ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول: فاظ[١] وإلهِ يهود. قال: فما سمعت كلمة كانت ألذّ في نفسي منها؛ وجاء فأخبرهم بالخبر، قالوا: فاحتملنا صاحبنا، وقدمنا على رسول الله ﷺ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله، واختلفنا عنده في قتله، كلّنا يدّعيه، فقال: هاتوا أسيافكم، فجئناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدّمياطي رحمه الله في سيرته: وفي حديث آخر أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحدَه، قال: وهو الصواب. والله أعلم.

وقال حسان بن ثابت الأنصاريّ في قتل سلام بن أبي الحقيق وابن الأشرف: [من الكامل]

لله درّ عِصَابَةٍ لاقَيتَهمْ ... يا بن الحُقيقِ وأنت يا بن الأشرف

يسرون بالبِيض الخفاف إليكُم ... مرَحاً كأُسْدٍ في عَرِين مُغْرِفِ[٢]

حتى أتَوْكم في محلّ ديارِكم ... فسقَوْكُمُ حَتْفاً بِبِيض ذُفَّف[٣]

مستنصرين لنصر دين نبيّهمْ ... مستصغِرين لكلّ أمرٍ مُجحِفِ[٤]

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القُرْطاء، وهم بنو قُرط وقُرَيط من بني كلاب

بعثه رسول الله ﷺ لعشر خلون من المحرم، على رأس تسعة وخمسين شهراً من مُهاجَرِه في ثلاثين راكباً إلى القُرْطاء[٥]، وهم ينزلون بناحية ضَرِيّة[٦] وبين ضريّة والمدينة سبع ليال، فقتل نفراً منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعماً وشاءً، ولم يعرض

---

(١) فاظ: مات.

(٢) في رواية: «بالبيض الرقاق»، يعني السيوف مدحاً: نشاطاً.
عرين مغرف: قال أبو ذر الخشني في شرح السيرة: ٢: ٣٢٦ «العرين: غابة الأسد. ومغرف: ملتف الأغصان.

(٣) دفف: سريعة القتل.

(٤) في ديوان حسان: «مستبصرين لنصر». مُجحف: ذاهب بالنفوس والأموال.

(٥) كذا ضبطه صاحب المواهب اللدنية، انظر ٢: ١٧٣.

(٦) ضرية: قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة، وهي إلى مكة أقرب.

للظّعن، وانحدر إلى المدينة، فخمس رسول الله ﷺ ما جاء به، وفَض ما بقي على أصحابه، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم، وكانت النعم مائة وخمسين بعيراً، والغنم ثلاثة آلاف شاة. وغاب سبع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرّم.

ذكر غزوة بني لَحْيان بناحية عُسفان[١]

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل سنة ست من مهاجره على ما أورده محمد بن سعد. وقال محمد بن إسحاق: في جمادي الأولى سنة ست.

وذلك أن رسول الله ﷺ وَجَد[٢] على عاصم بنِ ثابت وأصحابه أصحاب الرَّجيع ـ وَجْداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام.

قال ابن سعد: وعسكر لغرّة هلال شهر ربيع الأوّل في مائتي رجل، معهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بنَ أمّ مكتوم، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن غُرَان، وبينها وبين عُسفان خمسة أميال، حيث كان مصاب أصحابه، فترحّم عليهم ودعا لهم، فسمعتْ بهم بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين، فبعث السرايا في كلّ ناحية، فلما يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، ثم انصرف ﷺ إلى المدينة، وهو يقول: «آيبون تائبون عابدون لربّنا حامدون، أعوذ بالله من وَعْثاء[٣] السفر وكآبة المنقلَب وسوء المَنظَر في الأهل والمال». وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرَد[٤] وهي على بريد من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل سنة ستة من مُهاجَرِه.

قالوا: كان لرسول الله ﷺ عشرون لَقْحَة[٥] ترعى بالغابة، وكان أبو ذرّ فيها، فأغار عُيَينة بن حِصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذرّ.

وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غِفار وامرأة له، فقتلوا الرجل

(١) عسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة.
(٢) وجد: غضب.
(٣) وعثاء: مشقات، متاعب.
(٤) قَرَد: بفتح القاف والراء، وحكي الضم فيهما، وحكي ضم أوله وفتح ثانيه.
(٥) اللقحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة.

وحملوا المرأة في اللقاح. وجاء الصّريخ، فنودي: الفزعَ الفزعَ! فنودي: «يا خيل الله اركبي»؛ وكان أوّل ما نودي بها؛ وركب رسول الله ﷺ، فخرج غداة الأربعاء، فكان أوّل من أقدم المِقداد بن عمرو، وعليه الدرع والمِغفر شاهراً سيفه، فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه، وقال: امضِ حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك. واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلّف سعد بن عبادة في ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة. قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدوّ، وقد قتَل أبو قتادة الحارثُ بن رِبعيّ حبيبَ بن عُيينة بن حِصْن، وغشّاه برده، فلما أقبل رسول الله ﷺ والناس، فرأوا حبيباً مسجّى[1] ببُرد أبي قتادة، فاسترجع الناس، وقالوا: قتِل أبو قتادة؛ فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه. وقال ابن سعد: إن الذي قتل حبيباً هو المقداد بن عمرو، قتله وقتل قِرفة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر؛ وإن أبا قتادة قتل مسعدة، فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، وأدرك عكاشة بن مِحصن أوْباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فقتلهما. واستشهد من المسلمين يومئذٍ مُحرِز بن نضلة، قتله مَسعدة، وأدرك سلمة[2] بن الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يُراميهم بالنبل ويقول: [من مجزوء الرجز]

خـــذهـــا وأنـــا ابـــن الأكـــوع والـــيـــوم يـــوم الـــرُّضَّـــع[3]

حتى انتهى إلى ذي قرد - وهي ناحية خَيبر ممّا يلي المُستناخ - قال سلمة: فلحقنا رسول الله ﷺ والناس والخيول عشاء، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عِطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح[4]، وأخذت بأعناق القوم. فقال النبيّ ﷺ: «ملكتَ فأسجِح»[5]؛ ثم قال: «إنهم الآن ليُقْرَون[6] في غَطَفان». وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال

---

(١) مسجى: مغطى.

(٢) كان شجاعاً رامياً يسبق الفرس، وما كذب قط.

(٣) يوم الرضع: يعني يوم هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع، أي رضع اللؤم في بطن أمه. وقيل: معناه اليوم يعرف من ارتضعته الحرب من صغره، وتدرب بها، ويعرف غيره (راجع المواهب: ٢: ١٨٢).

(٤) السرح: المال السائم المرسل في المرعى.

(٥) ملكت فاسجح: أي قدرت عليهم، فارفق وأحسن العفو.

(٦) يقرون: من القرى، وهي الضيافة. وقيل: يجمعون الماء واللبن لذلك تقرأ بفتح الراء وضمها حسب المعنى.

على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد، فاستنقذوا عشر لِقاح، وأفلت القوم بما بقي، وهي عشرة، وصلّى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة يتحسّس الخبر، وقسم في كلّ مائة من أصحابه جَزوراً ينحرونها، وكانوا خمسمائة، وقيل: سبعمائة.

ذكر سرية عُكاشة بن مِحصَن الأسديّ[١] إلى الغَمْر غمر[٢] مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فَيْد

قالوا: بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً، فَنذر[٣] به القوم فهربوا، فنزلوا عُلْيا بلادهم، ووجدوا دارهم خُلُوفاً[٤]، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة، فرأى أثر النعم، فتحمّلوا فأصابوا رَبيئة[٥] لهم، فأمّنوه فدلّهم على نَعَم لبني عمّ له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، وأرسلوا الرجل، وحَدَروا[٦] النعم إلى المدينة، وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً.

ذكر سرية محمد بن مَسْلمة إلى بني ثعلبة بذي القَصّة

قالوا: بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة، وهم بذي القَصّة في شهر ربيع الآخر سنة ستّ من مُهاجَرِه، وبين ذي القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، طريق الرَّبذَة، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم ليلاً فأحدق به القوم وهم مائة رجل، فترامَوا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، يُضرب كعبُه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجرّاح[٧] في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحداً، ووجدوا نَعَماً وشاء، فساقه ورجع.

---

(١) عكاشة بن مِحصَن: (. . . ـ ١٢هـ = . . . ـ ٦٣٣ م) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي من بني غنم، صحابي من أمراء السرايا. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حرب الردة. قتله طلحة بن خويلد الأسدي. (الأعلام: ٤ : ٢٤٤).

(٢) في الأصول، وكذا في المواهب: «غمرو مرزوق»، والمثبت عن الطبقات وفي معجم البلدان: غمرة، فقد جاء فيه ما نصه: «وقال ابن الفقيه: غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاها النبي ﷺ عكاشة بن محصن».

(٣) نذر: علم.

(٤) خلوفاً: أي أصحاب ديارهم غائبين.

(٥) ربيئة: طليعة.

(٦) حدروا: ساقوا.

(٧) أبو عبيدة بن الجراح: (٤٠ ق هـ ـ ١٨ هـ = ٥٨٤ ـ ٦٣٩ م) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. =

ذكر سرية أبي عُبيدة بن الجرّاح إلى ذي القَصّة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة ستّ من مُهاجَرِه في أربعين رجلاً من المسلمين، وسبب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجدبت، ووقعت سحابة بالمِراض إلى تَغلَميْن، والمِراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيْفا ـ موضع على سبعة أميال من المدينة ـ فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة ومن معه حين صلّوا المغرب، فمشوا ليلتهم حتى وافَوا ذا القصّة مع عَمَاية[١] الصبح ـ وهي موضع في طريق العراق ـ فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه ورِثة[٢] من متاعهم. وقدم المدينة بذلك، فخمسه رسول الله ﷺ، وقسم ما بقي عليهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بني سُلَيم بالجَمُوم

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في شهر ربيع الآخر سنة ست من الهجرة إلى بني سليم، فسار هو ومن معه حتى ورد الجَموم ـ ناحيةَ بطن نخْل عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرُد ـ فأصابوا عليه امرأة من مُزينة يقال لها: حليمة، فدلَّتهم على محلَّة من محالّ بني سُلَيم، فأصابوا فيها نَعَماً وشاء وأَسْرَى، فكان فيهم زوج حليمة المُزَنيَّة، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزنيّة نفسَها، وزوجَها، فقال بلال بن الحارث المُزنيّ[٣] في ذلك: [من الطويل]

لَعمركَ ما أخنى المَسُول ولا ونَتْ حليمة حتى راح ركبُهما معَا[٤]

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العِيص لعِير قريش

بعثه رسول الله ﷺ في جمادي الأولى سنة ستّ من مُهاجَرِه في سبعين ومائة

= ولد بمكة، شهد المشاهد كلها. وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد. توفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان. (الأعلام: ٣: ٢٥٢).

(١) عماية الصبح: يقال: لقيته في عماية الصبح، أي في ظلمته قبل أن أتبينه.

(٢) الرِّثة: السقط من متاع البيت.

(٣) بلال بن الحارث المزني: (. . . ـ ٦٠ هـ = . . . ـ ٦٨٠ م) بلال بن الحارث المزني، أبو عبد الرحمٰن صحابي، شجاع، من أهل بادية المدينة. أسلم سنة ٥ هـ. وكان من حاملي ألوية «مزينة» يوم الفتح. توفي في آخر خلافة معاوية عن ٨٠ عاماً. (الأعلام: ٢: ٧٢).

(٤) أخنى: أفحش.

راكب إلى العِيص ـ وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المَرْوَة ليلة ـ وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ يومئذٍ فِضّة كثيرة لصَفْوان بن أمية، وأسروا ناساً ممّن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ، فأجارته، ونادت في الناس حين صلّى رسول الله ﷺ: إني قد أجرت أبا العاص. فقال رسول الله ﷺ: «ما علمت بشيء من هذا، قد أجرنا من أجرت». ورد عليه ما أُخذ له كما تقدّم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف إلى بني ثعلبة

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ستّ من مُهاجَرِه إلى الطَّرِف ـ وهو ماء قريب من المراض، دون النُّخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، طريق البَقْرَة على المحجّة ـ فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعَماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبَّح زيد بالنّعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال، وكان شعارُهم «أمِت أمِت».

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى، وهي وراء وادي القُرَى

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حِسْمَى في جمادي الآخرة أيضاً، وذلك أن دَحْية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله ﷺ بكتابه، وقد أجازه[1] وكساه، ومع[2] دَحية تجارة له، حتى إذا كان بوادٍ يقال له: شَنَار أو شِنَان[3]؛ أغار عليه الهُنَيد بن عارض، وقيل: ابن عُوص؛ وابنه عارض بن الهُنيد، وقيل: عُوص بن الهُنَيد الضُّلَعِيَّان[4] في ناس من جُذام بحسمى، فقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه، فلم يتركوا عليه إلا سَمَل[5] ثوب، فسمع بذلك نفر من بني الضُّبَيب ـ رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب ـ فنفروا إلى الهنيد وابنه، وفيهم من بني الضُّبَيب النعمان بن أبي جِعال جتى لقُوهم فاقتتلوا، وانتمى يومئذٍ قُرّة بن أشقر الضَّفاريّ ثم الضُّلَعي، فقال: أنا ابن لُبنى؛ ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته، وقال:

(١) أجازه: أعطاه جائزة. وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفاً على ملكه.
(٢) كلمة ساقطة من المتن. والأقرب للمعنى (ومع دحية).
(٣) كذا في معجم البلدان والطبري. وفي الأصل: «شيار».
(٤) الضليع: بطن من جذام.
(٥) سمل ثوب: أي الخلق من الثياب. البالي منها.

خذها وأنا ابن لُبنى؛ ولُبنَى أمّه، ثم استنقذوا لدِحية متاعَه، وقدم دِحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردّ معه دِحية، فكان زيد يسير الليل ويكمُن النهار ومعه دليل من بني عُذرة، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمِهم ونسائهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء والصبيان مائة، فرحل رِفاعة[1] بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول الله، لا تحرّم علينا حلالاً ولا تحلّ لنا حراماً. فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقال أبو يزيد بن عمرو: يا رسول الله، أطلق لنا من كان حيًا، ومن قتل فهو تحت قدميّ هاتين، فقال رسول الله ﷺ: صدق أبو يزيد؛ فبعث معهم علياً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلّي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجّه عليّ رضي الله عنه، فلقي رافع بن مكِيث الجُهَني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم، فردها عليّ عليهم، ولقي زيداً بالفحلتين[2] - وهي بين المدينة وذي المروة - فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فرد عليهم كلّ ما كان أخذ منهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي[3] القُرى

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى وادي القرى أميراً في شهر رجب سنة ست من الهجرة. ولم يذكر غير ذلك.

ذكر سَرِيّة عبد الرحمٰن بن عَوْف إلى دُومة[4] الجندل

قال محمد بن سعد رحمه الله: دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من مُهاجره، فأقعده بين يديه وعمّمه بيده وقال: اغز بسم

(١) قدم رفاعة هذا على النبي ﷺ في هدنة الحديبية في جماعة من قومه فأسلموا، وعقد له رسول الله ﷺ على قومه. وكتب له كتاباً إلى قومه فأسلموا. وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا كتاب محمد رسول الله إلى رفاعة بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين». راجع شرح المواهب اللدنية: ٢: ١٩٢.

(٢) كذا في الطبقات، ومعجم البلدان. وفي الأصل: «بالنخلتين»، وهو تحريف.

(٣) وادي القرى: وادٍ بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة.

(٤) دومة الجندل: حصن وقرى من طرف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.

الله، وقاتل في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغلّ[١] ولا تغدر، ولا تقتل وليداً. وبعثه إلى كَلْب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم. فسار عبد الرحمٰن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأَصْبَغ بن عمرو الكلبيّ، وكان نصرانياً وهو رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمٰن تُماضَر بنت الأَصْبغ وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سَلَمة بن عبد الرحمٰن.

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بفَدَك

قالوا: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بفَدَك في مائة رجل، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهودَ خيبر، فسار علي رضي الله عنه بمن معه، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى الهَمَج[٢] ـ وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال ـ فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم فقال: أخبركم على أن تؤمّنوني؟ فأمّنوه فدلّهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظّعن ورأسهم وبر بن عُليم، فعزل عليّ رضي الله عنه صفيّ[٣] رسول الله ﷺ لَقُوحاً تدعى الحَفِدة[٤]، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق كيداً.

ذكر سَرِيّة زيد بن حارثة إلى وادي القُرى وقتل أم قِرْفة

كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجَر رسول الله ﷺ، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ﷺ، فلما كان دون وادي القُرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبلّ[٥] زيد بن حارثة، وقدم على النبي ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم. حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

---

(١) غلَّ: خان.
(٢) الهمج: في الأصول: «الغمج»، وصوابه من الطبقات. انظر معجم البلدان.
(٣) الصفي: ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة.
(٤) الحفدة: السريعة.
(٥) استبل: عوفي.

وقال محمد بن إسحاق: إن الذي أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادي القرى، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه، وارتُثَّ[١] زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هي التي كانت في شهر رجب من السنة.

قال ابن سعد: فخرج زيد بن حارثة بمن معه فكمنوا النهار وساروا الليل، ونَذِرت[٢] بهم بنو بدر، ثم صحبهم زيد وأصحابه وكبّروا وأحاطوا بالحاضر[٣]، وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حُذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله ﷺ، فوهبها ﷺ لحزْن بن أبي وهب، وقال: وعمد قيس بن المُحَسِّر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين رجليها حبلاً، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما، فذهبا فقطّعاها[٤]، وقتل النعمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبي ﷺ فقام إليه عُرياناً يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفّره الله به.

ذكر سَرِيّة عبد الله بن رواحة إلى أُسَير[٥] ابن رِزام[٦] اليهوديّ بخيبر

كانت هذه السريّة في شوّال سنة ستّ من مهاجَر رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما قُتِل أبو رافع سلّام بن أبي الحقيق كما ذكرنا أَمّرت يهود عليها أُسَيْر بن رِزام، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، فوجه عبدَ الله بن رَواحة في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سراً سأل عن خبره وغِرّته[٧]، فأُخبر بذلك، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتَدَبَ له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أُسَير فقالوا له: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؛ قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؛ قالوا: نعم، فقالوا له: إن رسول

---

(١) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وبه رمق.

(٢) نذرت بهم: علمت بهم، فحذرتهم.

(٣) الحاضر: من حضر هناك من فزارة.

(٤) في شرح المواهب اللدنية: ٢: ١٩٧ ما يأتي: «ذكر الدولابي: أن زيداً إنما قتلها كذلك لسبها رسول الله ﷺ قيل: لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها، وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة، واقتلوا محمداً».

(٥) في رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٦) في الأصول: «زارم» والتصويب من المواهب وابن هشام.

(٧) غرته: غفلته.

الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويحسن إليك. فطمع أُسير في ذلك، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود، مع كل رجل رَديف[١] من المسلمين، حتى إذا كانوا بقَرْقَرة[٢] ثِبَار ندم أُسير، قال عبد الله ابن أُنيس ـ وكان في السريّة: فأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له ودفعت بعيري فقلت: غدراً أي عدوّ الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف، فأندَرْت[٣] عامة فخذه وساقه، وسقط عن بعيره وبيده مخرش[٤] من شَوْحط[٥]، فضربني به فشجّني مأمومة[٦]، ومِلنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدًّا، ولم يُصَب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا على رسول الله ﷺ فحدّثناه الحديث، فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين. وتفَل ﷺ على شجّة عبد الله بن أنيس فلم تقِح[٧] ولم تُؤذه.

ذكر سريّة كُرْز بن جابر الفِهريّ[٨] إلى العُرَنيّين

كانت هذه السرية في شوّال سنة ست من مهاجَر رسول الله ﷺ، قالوا: قدم نفر من عُرَينة ثمانية على رسول الله ﷺ فأسلموا واسْتَوْبَؤوا[٩] المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لِقاحه، وكانت ترعى بذي الجِدر ـ ناحية قُباء قريباً من عَيْر، على ستة أميال من المدينة ـ فكانوا فيها حتى صحّوا وسمنوا، فعَدوا على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله ﷺ ومعه نفر، فقاتلهم، فقطعوا يَده ورجله وغرزوا الشَّوْك في لسانه وعينيه حتى مات، فبلغ رسولَ الله ﷺ الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارساً،

(١) الرديف: الذي يركب خلف الراكب.
(٢) قرقرة ثبار: موضع على ستة أميال من خيبر.
(٣) أندرت: قطعت.
(٤) المخرش والمخراش: عصا معوجة الرأس.
(٥) شوحط: من شجر الجبال، تتخذ منه القسي.
(٦) شجة مأمومة: بلغت أم الرأس.
(٧) تقح: يتحول الدم فيها إلى قيح، أي عمل.
(٨) كُرز بن جابر الفهري: كرز بن جابر بن حسل بن لاحب... القرشي الفهري، كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم. أغار على سرح المدينة مرة فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته كرز وهذه هي غزوة بدر الأولى. ولما عدا العرنيون على غلام النبي ﷺ بعث النبي ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ٢٩٠ رقم الترجمة ٧٣٩٤).
(٩) استوبؤوا: استوخموا.

واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهريّ، فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله ﷺ بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلقُوه بالزّغابة[١] بمجتَمع السّيول، فأمر بهم فقُطعت أيديهم وأرجلهم، وسُملَتْ أعينهم، وصُلبوا هنالك، وأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٣٣]. فلم يسمل بعد ذلك عيناً، وكانت اللقاح خمس عشرة لِقْحة غِزاراً فردوها إلى المدينة، ففقد منها لِقحة تدعى الحناء، فسأل رسول الله ﷺ عنها، فقيل: نحروها.

ذكر سرية عمرو بن أميّة الضَّمْري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

قال محمد بن سعد في طبقاته: وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش: ألا أحد يَغْتَرُّ[٢] محمداً فإنه يمشي في الأسواق؟ فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد وَجَدْتَ أجمع الرجال قلباً، وأشدّه بطشاً، وأسرعه شدًّا، فإن أنت قوّيتني خرجت إليه حتى أغتاله، ومعي خنجَر مثل خافية[٣] النسر؛ قال: أنت صاحبنا؛ فأعطاه بعيراً ونفقة، وقال: اطوِ أمرك؛ فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً وصبّح ظهر الحرّة صبح سادسة، ثم أقبل فسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُلَّ عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا ليريد غدراً». فذهب ليجني على رسول الله ﷺ فجذبه أُسَيْد بن الحضير بداخلة[٤] إزاره، فإذا بالخنجر، فسُقِط[٥] في يده، وقال: دمِي دمِي! وأخذ أسيد بلبّته فذَعته[٦]، فقال له رسول الله ﷺ: «أصْدُقني، ما أنت»؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم، فأخبره بخبره، فخلّى عنه ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أميّة الضمريّ[٧]، وسلمة بن أسلم بن أبي

---

(١) ضبطت في القاموس بضم الزاي، وفي معجم البلدان بفتحها.

(٢) يغتر: يأتيه على غفلة. وفي الأصول: «يغر» وطوابه عن المواهب فيما نقله عن الطبقات.

(٣) خافية النسر: ريشة صغيرة في جناح النسر دون العشر ريشات التي في مقدم الجناح.

(٤) داخلة الإزار: طرفه وحاشيته من الداخل.

(٥) سقط في يده: ندم.

(٦) ذعته: خنقه أشد الخنق.

(٧) عمرو بن أمية الضمري: (. . . ـ نحو ٥٥ هـ = . . . ـ نحو ٦٧٥ م) عمرو بن أمية بن خويلد بن =

حَريس[١] إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبتما منه غِرة فاقتلاه؛ فدخلا مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، وأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير، فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عُبيد الله بن مالك بن عبد الله التيمي فقتله، وقتل آخر من بني الدّيل، سمعه يتغنى ويقول: [من الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حيًّا ... ولست أدِين دينَ المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسّسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل يخبر رسول الله ﷺ، ورسول الله يضحك هكذا حكى محمد بن سعد.

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أميّة الضَّمْريّ، ومعه جَبّار بن صخر الأنصاريّ، وذلك بعد مقتل خُبَيب بن عديّ وأصحابه، قال: فخرجا حتى قدما مكة، وحبسا جمليهما بِشعبِ من شعاب يَأْجَج[٢]، ثم دخلا مكة ليلاً، فقال جبّار بن صخر لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؛ قال عمرو: فطفنا وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل فعرفني فقال: عمرو بن أمية، والله إنْ قَدِمها إلا لشرّ؛ فقلت لصاحبي: النجاء؛ فخرجنا نشتدّ حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا، فدخلنا كهفاً في الجبل فبتنا، وقد رَضَمْنا[٣] دوننا الحجارة، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له، فغشَينا ونحن في الغار، فقلت: إن رآنا صاح بنا فنؤخذ فنقتل؛ قال: فخرجت إليه فضربته على ثديه بخنجر كنت قد أعددته لأبي سفيان فصاح صيحة أسمع أهل مكة، ورجعت فدخلت مكاني، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رَمق، فقالوا: مَنْ ضربك؟ قال: عمرو بن أمية. ومات لوقته، ولم يدلّ علينا، فاحتملوه، فقلت لصاحبي لما أمسينا: النجاء، فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة،

= عبد الله الضمري: شجاع من الصحابة. اشتهر في الجاهلية وشهد مع المشركين بدراً وأحداً، ثم أسلم. وحضر بئر معونة. عاش في أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة. مات بالمدينة في خلافة معاوية (الأعلام: ٥: ٧٣).

(١) سلمة بن أسلم: (٤٩ ق هـ ١٤ هـ = ٥٧٥ - ٦٣٥ م) سلمة بن أسلم بن حريش الخزرجي الأنصاري، أبو سعد، صحابي من الشجعان. شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها. وخرج في جيش أسامة بن زيد لغزوة الروم. استشهد يوم جسر أبي عبيد. (الأعلام: ٣: ١١٢).

(٢) يأجج: اسم موضع بمكة.

(٣) رضم الحجارة: جعل بعضها على بعض.

فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خُبيب، فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو؛ قال: فلما حاذى عمرو الخشبة شدّ عليها واحتملها، وخرجا شدًّا، وخرجوا وراءه، حتى أتى جُرْفاً بمهْبط مَسِيل يأْجَج، فرمى بالخشبة في الجُرف، فغيّبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه. قال عمرو: وقلت لصاحبي: النجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإني سأشغل عنك القوم؛ قال: ومضيت حتى خرجت على ضَجْنان[1]، ثم أويت إلى جبل فدخلت كهفاً، فبينا أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ من بني الدِّيل أعور، في غُنَيمة له؛ فقال: مَنِ الرجل؟ قلت: من بني بكر، فمَنْ أنت؟ قال: من بني بكر؛ فقلت: مرحباً؛ فاضطجع، ثم رفع عقيرته فقال: [من الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حيًّا ... ولست أدينُ دينَ المسلمينا

فقلت في نفسي: ستعلم؛ فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سِيتَها[2] في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليها حتى بلَغت العظم، ثم خرجت حتى جئت العَرْج[3]، ثم سلكت رَكُوبة[4]، حتى إذا هبطت النَّقيع[5] إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة يتحسّسان؛ فقلت: استأسرا، فأبيا، فرميت أحدهما بسهم فقتلته، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطاً، وقدمت به المدينة.

ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السريّة، في أي شهر كانت، فأذكُرَه.

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَة[6] وما وقع فيها من بيعة الرِّضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَة في ذي الحُجة سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ.

قال محمد بن سعد: استنفر رسول الله ﷺ أصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وتهيؤوا، ولبس رسول الله ﷺ ثوبين، وركب راحلته القَصْواء[7] وخرج، وذلك يوم

---

(١) ضجنان: اسم جبل بمكة.
(٢) سية القوس: ما عطف من طرفها.
(٣) العَرْج: اسم منزل بطريق مكة، أو وادٍ بالحجاز.
(٤) ركوبة: ثنية بين مكة والمدينة عند العرج.
(٥) النقيع: موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة.
(٦) الحديبية: بئر سمي المكان بها، وقيل: شجرة حدباء يسمى المكان بها، وقيل: قرية متوسطة قريبة من مكة.
(٧) القصواء: لقب ناقة لرسول الله ﷺ.

الاثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وقال ابن إسحاق: استعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله اللَّيثي. قال ابن سعد: ولم يُخرج رسول الله ﷺ معه[١] بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القُرُب، وساق بُدناً[٢] وساق أصحابه بدناً، فصلى الظهر بذي الحُلَيفة: ثم دعا بالبدن التي ساق فجُلِّلت[٣]، ثم أشعرها[٤] في الشقِّ الأيمن وقلّدها[٥]، وأشعر أصحابه أيضاً، وهي مَوجّهات إلى القبلة، وهي سبعون بَدَنة، فيها جمل أبي جهل الذي غَنِمه رسول الله ﷺ يوم بدر، وأحرم رسول الله ﷺ ولبّى، وقدَّم عبَّاد بن بشر أمامه طليعةً في عشرين فارساً من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه ﷺ من المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل: ألف وستمائة؛ ويقال: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها، وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وعسكروا بِبَلْدَح[٦] وقدّموا مائتي فارس إلى كُرَاع[٧] الغَميم، عليهم خالد بن الوليد، ويقال: عكرمة بن أبي جهل.

قال محمد بن إسحاق: قال الزهريّ: لما كان رسول الله ﷺ بعُسْفان لقيه بشر بن سُفيان الكعْبي ـ قال ابن هشام: ويقال: بُسْر ـ فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العُوذ[٨] المَطافِيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طُوًى، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كُراع الغميم. فقال رسول الله ﷺ: «ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة، فما تظن قريش؟ والله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[٩]». قال محمد بن سعد: ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب

---

(١) حذف المؤلف المفعول هنا، والتقدير لم يخرج معه أحداً.
(٢) البدن: جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة.
(٣) جللت: ألبست ما تصان به.
(٤) اشعرها: اعلمها، وذلك بأن ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعاراً بأنها هدي.
(٥) قلدها: علق في عنقها شيئاً ليعلمَ أنها هدي.
(٦) بلدح: وادٍ قبل مكة من جهة الغرب.
(٧) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.
(٨) العوذ المطافيل: النوق التي وضعت أولادها حديثاً، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان.
(٩) السالفة: صفحة العنق، وكنى بانفرادها على الموت.

رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ عبّاد بن بشر فتقدم في خيله، فأقام بإزائه وصفّ أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، فلما أمسى ﷺ قال لأصحابه: تيامنوا في هذا الموضع العَضْل[١] ـ موضع منعطف في الوادي ـ فإن عيون قريش بمرّ الظّهران وبضَجْنان. فسار حتى دنا من الحديبية، وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة، فوقعت يدا راحلته على ثنيّة تهبط على غائط[٢] القوم، فبركت.

وقال ابن إسحاق أحمد بن محمد الثعلبيّ في تفسيره: إن رسول الله ﷺ لما كان بغدير الأشطاط[٣] قريباً من عُسْفان أتاه عيْنُه[٤] الخزاعيّ، فقال: إني تركت كعب بن لُؤيّ وعامر بن لؤي قد جمعا لك الأحابيش[٥]، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت؛ فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبيهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن يحبئوا تَكُنْ عنقاً قطعها الله، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدّنا عنه قاتلناه؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال رسول الله ﷺ: فرُوحوا إذاً؛ فراحوا، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله ﷺ ما قدمناه إلى قوله: أو تنفرد هذه السالفة. ثم قال رسول الله ﷺ: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل مِن أسلَم: أنا يا رسول الله. فخرج بهم على طريق وعر حَزْن[٦] بين شِعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه، ففعلوا، فقال: والله إنها لَلْحِطّة[٧] التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها؛ ثم قال رسول الله ﷺ للناس: اسلكوا ذات

---

(١) العضل: «العضل: موضع بالبادية كثير الغياض». وفي ابن سعد وإمتاع الأسماع: «في هذا العصل». والعصل: الرمل الملتوي المعوج.
(٢) غائط القوم: متسع من الأرض (اللسان: غوط).
(٣) غدير الأشطاط: موضع تلقاء الحديبية.
(٤) عينه: الذي يأتيه بالأخبار.
(٥) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمة، وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش، وقيل: تحت جبل يقال له: الحبشي أسفل مكة. وقيل: سموا بذلك لتحبشهم، أي تجمعهم.
(٦) حزن: غليظ، صعب.
(٧) الحطة: يشير إلى قول الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ ومعناه: اللهم حط عنا ذنوبنا.

اليمين في طريق يخرجه على ثنية المُرَار[١] على مهبِط من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قَترة[٢] الجيش، وأن رسول الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنيّة المرار بركت به ناقته، فقال الناس: حَلْ[٣] حَلْ؛ فقال: ما حل؛ قالوا: خَلأت[٤] القَصْواء؛ فقال ﷺ: «ما خلأت وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس[٥] الفيل»؛ ثم قال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش إلى خُطة يعظمون بها حرمات الله، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»؛ ثم قال للناس: «انزلوا» فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنما يتبرّضه[٦] الناس تبرّضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكا الناس إلى النبي ﷺ العطش، فنزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه، يقال له: ناجية بن عُمير بن يَعْمَر بن دارِم، وهو سائق بُدْن رسول الله ﷺ، فنزل في تلك البئر فغرزه في جوفها فجاش[٧] الماء بالرّي، حتى صدروا[٨] عنه؛ ويقال: إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القَليب يميح[٩] على الناس، فقالت: [من الرجز]

يا أيها المائح دَلوي دُونَكا ... إني رأيت الناس يَحمدونكا

يثنون خيراً ويمجدونكا ... أرجوك للخير كما يرجونكا

فقال ناجية: [من الرجز]

قد علمت جاريةٌ يَمانِيه ... أنّي أنا المائح واسمي ناجيه

وطعنة ذات رشاش واهيه ... طعنتها تحت صدور العاديه[١٠]

قال ابن إسحاق: ناجية بن جندب بن عُمَير الأَسلمي؛ قال: وزعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب[١١] كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ. قال

(١) ثنية المرار: في الأصل: «المران» وهو تحريف.
(٢) قترة الجيش: غباره.
(٣) حل حل: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. (راجع شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٢١).
(٤) الخلأ: جران الإبل.
(٥) حابس الفيل: أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.
(٦) يتبرّضه الناس: أي: يأخذونه قليلاً قليلاً.
(٧) جاش: فار.
(٨) صدروا: رجعوا.
(٩) الميح: أن تدخل البئر فتملأ الدلو لقلة مائها.
(١٠) العادية: القوم الذين يعدون. أي: يسرعون العدو.
(١١) البراء بن عازب: (... - ٧١ هـ = ... - ٦٩٠ م) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو =

محمد بن إسحاق والثعلبي: روي عن الزُّهري عن عُروة بن الزبير عن المسْور بن مَخْرمة ومروان بن الحكم: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُدَيل بن ورقاء[١] الخُزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عَيْبَةَ[٢] نُصِح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامِر بن لؤي قد نزلا أَعْداد[٣] مياه الحديبية، معهم العُوذ[٤] المطافيل، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرّت بهم، فإن شاءوا ماددناهم[٥] مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا[٦]، فوالله لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتيّ، أو ليُنْفذنّ الله أمره. قال بُدَيل: سنبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدّثنا عنه بشيء؛ وقال ذوو الرأي منهم: هات كما سمعته يقول؛ قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، وقال لهم: إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، فاتهموه وجَبَهوه[٧] وقالوا: إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة[٨] أبداً، ولا يحدِّث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حفص بن الأخيَف أخا بني عامر بن لؤيّ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: هذا رجل غادر. وفي رواية: «فاجر». فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبُديل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي ﷺ، ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن عَلْقمة أو ابن زَبَّان[٩]،

= عمارة: قائد صحابي من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة أولها غزوة الخندق. عاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. (الأعلام: ٢: ٤٦).

(١) بديل بن ورقاء الخزاعي: بدل بن ورقاء بن عمر بن ربيعة بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي. له صحبة، سكن مكة، ويقال: إنه قتل بصفين. كان إسلامه قبل الفتح، وقيل يوم الفتح. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٤١. رقم الترجمة ٦١٤.

(٢) عيبة نصح: موضع نصح.

(٣) أعداد: جمع عد، وهو الماء الذي لا انقطاع له. ويطلق أيضاً على الكثرة في الشيء.

(٤) العوذ المطافيل: النساء والصبيان (اللسان: عوذ).

(٥) ماددناهم مدة: جعلنا بيننا وبينهم مدة نترك الحرب فيها.

(٦) جمُّوا: استراحوا.

(٧) جبهوه: لقوه بما يكره.

(٨) عنوة: قسراً، رغماً.

(٩) كذا في ابن هشام، والطبري، وفي الأصل: «ابن ريان».

وكان يومئذ سيّدَ الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا من قوم يتألَّهون[١]، فابعثوا الهدي[٢] في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهَدْيَ يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أوباره[٣] من طول الحبس عن مَحِلِّه[٤] رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك؛ فقالوا له: يا حُلَيس، إنما أنت أعرابي لا علم لك، فقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاهدناكم، أيُصَدّ عن بيت الله من جاءه معظِّماً له؟ والذي نفس الحُليس بيده لتُخَلُّنّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد؛ فقالوا له: مَهْ، كف عنا يا حليس، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به؛ قال: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عُروة بن مسعود الثقفيّ[٥] فقال لهم: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ـ وكان عروة لِسُبَيعة بنت عبد شمس ـ وقد سمعت بالذي نابكم[٦]، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتّهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أَجَمعتَ أَوْشَابَ[٧] الناس ثم جئت بهم إلى بَيْضَتك[٨] لتفضّها بهم؟ يا محمد، أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإنها قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عَنْوة أبداً، وإني لأرى وجوهاً وأوشاباً من الناس خليقاً[٩] أن يفرّوا ويدَعوك، وأيم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا غداً عنك. وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ قاعد، فقال لعُروة: امصَصْ بَظْر

(١) التأله: التعبد، قال رؤبة: ضحكن واستهزأن من تألهي».

(٢) الهدي: المواشي التي تضحى في الحج.

(٣) أوباره: جمع وبر، وهو صوف الإبل.

(٤) محل الهدي: الموضع أو الوقت الذي يحل فيه نحره.

(٥) عروة بن مسعود: (. . . ـ ٩هـ = . . . ـ ٦٣٠ م) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي. صحابي مشهور. قيل إنه المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني! فأذن له، فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالفوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله. (الأعلام: ٤: ٢٢٧).

(٦) نابكم: أصابكم.

(٧) أوشاب الناس: أخلاط الناس، وأوشاب: مثل أوباش.

(٨) بيضتك: أصلك وعشيرتك.

(٩) في الأصول: «خلقا» والتصويب من المواهب.

اللات، أنحن ننكشف عنه؟ واللات طاغية ثقيف التي كانوا يعبدونها ـ فقال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قُحافة؛ قال: أما والله لولا يد[١] كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها. قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه، والمُغيرة بن شُعبة[٢] واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ، ويقول: اكفُف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل ألا تصل إليك؛ قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفظّك وما أغلظك! قال: فتبسم رسول الله ﷺ، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعبة» قال: أي غُدَر، وهل غسلتَ سوأتك إلا بالأمس؟ ـ وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «أما الإسلام فقد قبلناه، وأما المال فإنه مال غَدْر، ولا حاجة لنا فيه». قال: ولما قتلهم المغيرة تهايج[٣] الحيّان من ثقيف: رهط القتلى ورهط المغيرة، فودَى[٤] عُروة المقتولين ثلاثة عشرة دِية، وأصلح ذلك الأمر، فلذلك قال للمغيرة ما قال ـ قال: ثم كلم رسول الله ﷺ عُروة بنحو ما كلم به أصحابه، فقام من عند رسول الله ﷺ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وَضوءه، ولا يبصق بُصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون[٥] النظر إليه تعظيماً له. فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، والله لقد وفَدتُ على الملوك؛ وفدت على قَيْصَر في مُلكه، وكسرى في مُلكه، والنجاشيّ في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخّم نُخامة[٦] إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلَك بها وجهَه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يُحِدّون النظر إليه تعظيماً له، ولقد رأيت قوماً لا يُسْلمونه

---

(١) كان عروة قد تحمل بدية فأعانه فيها أبو بكر بعشر خلائص، وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث.

(٢) المغيرة بن شعبة: (٢٠ ق هـ ـ ٥٠ هـ = ٦٠٣ ـ ٦٧٠ م) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي يقال له: «مغيرة الرأي» ولد في الطائف. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات. (الأعلام: ٧: ٢٧٦).

(٣) تهايج: اضطرب.

(٤) وَدَى: دفع الدية.

(٥) يحدون: يحدقون.

(٦) نُخامة: ما يخرج من الخيشوم عند التنخم (المخط): اللسان: نخم.

لشيء أبداً، فَرَوا رأيكم. وفي رواية قال: وإنه قد عرض عليكم خطة رُشْد فاقبلوها.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أميّة الخُزاعيّ، إلى قريش بمكة، وحمله على بعير يقال له: الثّعلب، ليبلِّغ أشرافهم ما قد جاء له، فعقروا الجمل وأرادوا قتل خراش، فمنعتْه[١] الأحابيش، فخلّوا سبيله. قال: وبعثت قريش أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأُخِذوا وأُتي بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وكانوا رَموا في العسكر بالحجارة والنَّبل. ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة، فيبلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفتْ قريش عداوتي إيّاها، وغلظتي عليها، ولكنّي أدلّك على رجل أعزّ بها منّي، عثمان بن عفان، فدعاه رسول الله ﷺ وبعثه إلى أبي سفيان بن حرب وأشرافِ قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته. فخرج حتى أتى مكة، فلقيه أبَان بن سعيد بن العاص[٢] حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله ﷺ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له: إن شئت أن تطُوف بالبيت فطُفْ؛ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فاحتبستْه قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قُتل. فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرحُ حتّى نناجزَ القوم». ودعا الناس إلى البيعة.

ذكر بَيْعة الرِّضْوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، قال الثعلبيّ: وكانت سُمرة[٣]. قال: وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن عثمان بن عفّان قُتل قال: «لا نبرح حتى نناجز القوم»؛ ودعا الناس إلى البيعة، قال: فكان الناس يقولون: بايَعَهم رسول الله ﷺ على الموت. وقال عبد الله بن مُغَفَّل: كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم وبيدي غصن من السَّمُرة أذبّ عنه وهو يبايع الناس، فلم يبايعهم على الموت وإنما

---

(١) منعته: حمته.

(٢) أبان بن سعيد بن العاص: (... ـ ١٣ هـ = ... ـ ٦٣٤ م) أبان بن سعيد بن العاص الأموي أبو الوليد: صحابي من ذوي الشرف كان في عصر النبوة شديد الخصومة للإسلام والمسلمين، ثم أسلم سنة ٧ هـ. استشهد في وقعة أجنادين على الأرجح، وقيل مات في خلافة عثمان. انظر (الأعلام: ١ : ٢٧).

(٣) السمرة: شجرة الطلح.

بايعهم على ألا يفرّوا. قال جابر بن عبد الله: فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدّ بن قيس أخو بني سلمة، لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، مستتراً بها عن الناس.

وكان أول مَنْ بَايع بيعة الرضوان من بني أسد يقال له: أبو سِنان بن وهب. ثم أتى رسولَ الله ﷺ أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل. واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان، وهو مبنيّ على الاختلاف في عدد أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم؛ لم يتخلف منهم إلا الجَدّ بن قيس، قالوا: ولما بايع رسول الله ﷺ الناس بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وروي أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فسأله عن عثمان رضي الله عنه، أكان شهد بدراً؟ قال: لا؛ قال: أكان شهد بيعة الرضوان؟ قال: لا؛ قال: فكان من الذين تولّوا يومَ الْتقى الجمعان؟ قال: نعم. قال: فانطلق الرجل؛ فقيل لعبد الله بن عمر: إن هذا يرى أنك قد عبته، قال: عليّ به؛ فأُتي به فقال: أمّا بدر فإن رسول الله ﷺ قد ضرب له بسهمه وأجره؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله ﷺ فيَدُ رسول الله ﷺ خير من يد عثمان، وأما الذين تولّوا يوم التقى الجمعان فقد عفا الله عنهم، فاجْهَدْ عليّ جَهْدَك[1].

وأنزل الله عزّ وجلّ في الّذين بايعوا رسولَ الله ﷺ هذه البيعة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. قال الكلبيّ: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة. وقال ابن كيسان: قوة الله ونُصرته فوق قوّتهم ونصرتهم. ثم قال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] وهو الجنة. وقوله تعالى في السورة أيضاً: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. قيل: فتح خيبر؛ رَوى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال: ثم بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ سُهَيل بن عمرو[2] أخا بني عامر بن لؤيّ، فقالوا: إيتِ محمداً فصالحه، ولا يكن في صُلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا.

---

(١) اجهد جهدك: ابلغ غايتك.

(٢) سهيل بن عمرو: (... ـ ١٨ هـ = ... ـ ٦٣٩ م) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر. وافتدي =

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «قد سهل أمرُكم، القوم ماتُّون[١] إليكم بأرحامكم، وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهدْي وأظهروا التلبية، لعلّ ذلك يُلين قلوبَهم». فلبّوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتُهم بالتلبية، قال: وانتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وتكلم فأطال، وتراجعا، ثم جرى الصلح بينهما، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله ﷺ حقاً؟ قال: بلى؛ قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أو ليسوا المشركين؟ قال: بلى، قال: فعلامَ نُعْطِي الدّنِيّة[٢] في ديننا؟ قال أبو بكر: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس نعصي رأيه، فاستمسك بغَرْزه[٣] حتى تموت، فوالله إنه لعلَى الحق؛ قال عمر: أو ليس كان يحدِّثنا أنا سنأتي البيت نطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال: ثم جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ألست رسول الله؟ قال: «بلى» قال: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: «بلى» فلَم نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟ قال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصِيه وهو ناصري». وفي رواية قال: «إني عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيّعني». قال عمر: ألستَ تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟» قال عمر: لا؛ قال: «فإنك آتيه ومطوّف به». قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذٍ، فما زلت أصوم وأتصدّق وأصلّي وأعتق من الذي صنعت يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيراً. قالوا: ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «اكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم»؛ فقال سهيل: أما الرحمٰن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، قال المسلمون: لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمٰن الرحيم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، فكتبها، ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني»؛ ثم قال

= فأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة، فأسلم. وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية. مات بالطاعون في الشام. راجع (الأعلام: ٣: ١٤٤).

(١) ماتون إليكم بأرحامهم: متشفعون بصلة القربى.

(٢) الدنية: الخصلة الخسيسة.

(٣) استمسك بغرزه: أي تمسك بأمره، فلا تخالفه، كالذي يتمسك بركاب الراكب والغرز للإبل بمنزلة الركاب للفرس.

لعليّ: «امحُ رسول الله». فقال: والله لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول الله ﷺ، وليس يحسن يكتب فمحاه؛ ثم قال: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سُهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أنه من قدم مكّة من أصحاب محمّد حاجًّا أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله، ومَنْ قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، وعلى أنه من أتى رسول الله ﷺ من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردّوه عليه». فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً. وأن بيننا عَيْبة[١] مكفوفة، وأنه لا إسلال[٢] ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه». فتواثبت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به» فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضُغْطَة[٣]، ولكن لك ذلك من العام المقبل؛ فكتب: وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القُرب، وسلاح الراكب، وعلى أنّ هذ الهديَ حيثما حبسناه محلّه، لا تقدّمه علينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «نحن نسوقه وأنتم تردّون وجوهه»! قال: فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو؛ إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده، وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلْبيبه، وقال: يا محمد، قد تمّت القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا؛ ثم جعل يجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أُرَدّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليفتنوني عن ديني؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذّب عذاباً شديداً في الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل، احتَسِب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا

---

(١) عيبة مكفوفة: أي: أموراً مطوية في صدور سليمة، إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها.

(٢) لا إسلال ولا إغلال: لا سرقة ولا خيانة.

(٣) الضغطة: الإكراه والشدة.

قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً، وإنّا لا نَغدِر». قال: فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب ـ ويدني قائم السيف منه ـ قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضنّ الرجل بأبيه.

قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناسَ أمر عظيم حتى كادوا يَهلكون، وزادهم أمرُ أبي جندل شرًّا إلى ما بهم، قالوا: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، وفرغت القضيَّة أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبا بكر، وعمر، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقّاص، ومحمود بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل، ومكْرَزَ بن حَفْص بن الأخيف، وهو مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكان هو كاتب الصحيفة. قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضيته سار مع الهَدْي، وسار الناس، فلما كان الهدي دونَ الجبال التي تطلع على وادي الثّنية عرض له المشركون، فردّوا وجوهه، فوقف النبي ﷺ حيث حبسوه، وهي الحديبية، وقال لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات؛ فلما لم يقم منهم أحد قام رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس؛ فقالت له أم سلمة رضي الله عنها: يا نبيّ الله، اخرج ولا تكلّم منهم أحداً كلمةً حتى تنحر بَدَنتك، وتدعوَ حلاّقك فيحلقك. فقام ﷺ فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى نحر بدنَته ودعا حلاّقه فحلقه، وكان الذي حلقه ذلك اليوم خِراش بن أمية بن الفضل الخزاعيّ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا. قال عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلّقين». قالوا: يا رسول الله، والمقصّرين؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: يا رسول الله، والمقصّرين؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: يا رسول الله، والمقصّرين؟ قال: «يرحم الله المقصّرين» قالوا: يا رسول الله، فَلِمَ ظاهرت الترحّم على المحلّقين دون المقصّرين؟ قال: «لأنهم لم يشكّوا». قال ابن عمر: وذلك أنه تربّص قوم قالوا: لعلّنا نطوف بالبيت.

ذكر رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح

قال الزُّهري: وانصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً حتى كان بين مكّة والمدينة نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١].

روى قَتادة عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حِيل بيننا وبين نُسُكنا[١]، فنحن بين الحزن، والكآبة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ الآية كلها، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أنزلتْ عَلَيَّ آية هي أحبُّ إليّ من الدنيا كلها».

وعن زيد بن أسلم[٢] عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، قال عمر رضي الله عنه: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أُنزلت عليّ الليلة آية لَهِيَ أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس». ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾. وقد اختلف في الفتح، ما هو؟ فقال قتادة عن أنس: فتح مكة، وقال مجاهد والعَوْفيّ: فتح خيبر، وقال آخرون: فتح الحديبية، ويدل عليه ما روي عن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري[٣]، ـ وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن ـ قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزُّون[٤] الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أُوحي إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نُوجِف[٥]، فوجدْنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كُراع الغَميم[٦]، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح». وقال الشعبيّ رحمه الله: فتح الحديبية، غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، واطعموا نخل خيبر، وبلغ الهَدْيُ محَلّه، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال مقاتل بن حيّان: يسَّرنا لك يُسْراً بَيِّناً وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به وبأصحابه، ما أمْرُنا وأمرُه إلا واحد، فأنزل الله عز وجل بعدما رجع من الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ أي قضينا لك قضاء بيناً ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

---

(١) الطاعة والعبادة، وهي هنا بمعنى الذبائح.

(٢) زيد بن أسلم: (. . . ـ ١٣٦ هـ = . . . ـ ٧٥٣ م) زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم. أبو أسامة أو أبو عبد الله، فقيه، مفسر من أهل المدينة. وكان ثقة كثير الحديث. (الأعلام: ٣: ٥٦).

(٣) مجمع بن جارية: (. . . ـ نحو ٥٠ هـ = . . . ـ نحو ٦٧٠ م) مجمع بن جارية أو ابن يزيد بن جارية) بن عامر، أحد من جمع القرآن إلا يسيراً منه، عن النبي ﷺ) وكان ذلك في صباه. مات في المدينة، في خلافة معاوية. (الأعلام: ٥ : ٢٨٠).

(٤) يهزون الأباعر: ينشطونها بالحداء لتخف وتسرع في سيرها.

(٥) الإيجاف: سرعة السير.

(٦) كُراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة.

مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فنسخت هذه الآية تلك. قال سفيان الثوريّ[1]: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ ما عملت في الجاهلية، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كل شيء لم يعمله. وقال عطاء بن أبي مسلم الخراساني: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك. وقال الزياديّ: أي لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ أي بالنبوّة والحكمة ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ أي ويثبتك عليه، وقيل: يهدي بك، ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ٣] غالباً، وقيل: معزًّا.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤]، قال الثعلبيّ: أي الرحمة والطمأنينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث الله عز وجل نبيّه عليه السلام بشهادة أن لا إلٰه إلا الله، فلما صدّقوه زادهم الصلاة، فلما صدّقوه زادهم الزكاة، فلما صدّقوه زادهم الصيام، فلما صدّقوه زادهم الحجّ، ثم زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ أي تصديقاً بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان. وقال الضحّاك: يقيناً مع يقينهم. وقال الكلبي: هذا في أمر الحديبية. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما قرأ على الناس قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قالوا: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، قد بين الله ما يفعل بك، فما يُفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ۝٥﴾ [الفتح: ٥] ثم قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ إن لم يُنصر محمد والمؤمنون ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ بالذّل والعذاب ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦] إلى قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة، وقد تقدّمتْ.

ثم قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١﴾ [الفتح: ١١] قال ابن عباس ومجاهد: يعني أعراب غِفار ومُزينة وجُهينة، وأشجع وأسلم والدِّيل، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر مَن حول المدينة من الأعراب وأهل

---

(١) سفيان الثوري: (٩٧ ـ ١٦١ هـ = ٧١٦ ـ ٧٧٨ م) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة خرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فتوارى، وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً. (الأعلام: ٣: ١٠٤).

البوادي، ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرِضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعُمرة وساق معه الهَدْي، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وقالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾، الآية. أي إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم، وأخبر عن أسرارهم وإضمارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح: ١٢] وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أَكَلَةُ رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون؟ انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي هالكين فاسدين، لا تصلحون لشيء من الخير. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٣].

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥] قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي عن الحديبية ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ معناه يريدون أن يغيّروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهن غنائم خيبر عوضاً عن غنائم أهل مكة، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئاً. وقال ابن زيد: هو قوله عز وجل: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] قال: والأول أصوب، لأن قوله تعالى: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ نزلت في غزوة تبوك. قال: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل مرجعنا إليكم: إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي أن نصيب معكم من الغنائم.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراسانيّ وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى ومجاهد: هم فارس. وقال كعب الأحبار: الروم. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: هوازن. وقال سعيد بن جُبير: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهريّ ومقاتل: بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. وقال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ

﴿قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ ولا نعلم مَنْ هم حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الفتح: ١٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية قال أهل الزَّمانة[١]: فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ يعني عن التخلف عن الجهاد والقعود عن الغزو ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ﴾ يعني في ذلك ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الفتح: ١٧].

ثم أخبر الله تعالى نبيه ﷺ برضاه عن أهل بيعة الرضوان، فقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وقد تقدّم ذكر ذلك آنفاً. ثم قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا﴾. وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خيبر. وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر. ثم قال تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ۝٢١﴾ [الفتح: ٢١] قال: معناه ووعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق: هي خيبر، وعدها الله تعالى نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها. وهي رواية عطية وباذان عن ابن عباس. وقال قتادة: هي مكة. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝٢٢﴾ [الفتح: ٢٢]، قال: يعني أسد وغطفان وأهل خيبر. وقال قتادة: يعني كفار قريش: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٢٣﴾ [الفتح: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾ [الفتح: ٢٤]؛ واختلفوا في هؤلاء، فقال أنس: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم[٢] عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ سلماً[٣]

---

(١) ذوو العاهات. (٢) موضع بمكة في الحل، بين مكة وسرف.

(٣) سلما: قال ابن الأثير: «يروى بكسر السين وفتحها، وهما لغتان للصلح». وقال الخطابي: «إنه السَّلَم بفتح السين واللام، يريد الاستسلام والإذعان».

فأعتقهم، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال عكرمة عن ابن عباس: إن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ: وقد قدّمنا ذكرهم.

وقال عبد الله بن مغفل: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة، فرفعته عن ظهره، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فخلى عنهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل الآية. وقيل: غير ذلك. والله تعالى أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ الآية. وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا﴾ [الفتح: ٢٥] قال: قوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أي تقتلوهم: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قال ابن زيد: إثم. وقال ابن إسحاق: غُرْم الدّية. وقيل: الكفارة، لأن الله عز وجل إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتلُه إيمانه الكفارة دون الدية. وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون: قتلوا أهل دينهم. والمعرّة المشقة، وأصلها من العُرّ وهو الحرب. وقال: فلولا ذلك لأذن لكم في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي في دين الإسلام «مَنْ يَشَاءُ» من أهل مكة قبل أن تدخلوها. قال: وقال بعض العلماء: قوله: «لَعَذَّبْنَا» جواب لكلامين أحدهما «وَلَوْلاَ رِجَالٌ» والثاني «لَوْ تَزَيَّلُوا» أي تَمَيّزوا. وقال قتادة في قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: «هم المشركون من أجداد رسول الله ﷺ وممن كان بعدهم في عصره، كان في أصلابهم المؤمنون، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذاباً أليماً».

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، قال ابن إسحاق: يعني سهيل بن عمرو حين حمِي[1] أن تكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم. وأن

(١) حمي: أنف.

محمداً رسول الله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، قال: كلمة التقوى يعني الإخلاص؛ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: «لا إلٰه إلا الله». وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كُهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مُصَرِّف والربيع والسدّيّ وابن زيد. وقال عطاء الخراسانيّ: هي لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله. وعن عليّ رضي الله عنه قال: كلمة التقوى: لا إلٰه إلا الله والله أكبر، وهو قول ابن عمر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وعن الزهريّ: كلمة التقوى هي بسم الله الرحمٰن الرحيم.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧]، قال: الرؤيا التي أراها إياه في مَخْرَجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام. قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ أي أن الصلاح كان في الصلح. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: صلح الحديبية.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨]. أي أنك نبيّ صادق فيما تخبر.

ثم وصف تعالى رسوله ﷺ وأصحابه فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. قال الثعلبيّ رحمه الله تعالى: قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ تم الكلام ها هنا، يعني الكلام الأول، ثم قال مبتدئاً. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رأفة: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي متعاطفون متوادُّون بعضهم مع بعض. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي يُدخلهم جنّته. ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ يرضى عنهم. ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم. ﴿فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ واختلف العلماء في هذه السيماء، فقال قوم: هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا؛ وهي رواية العَوفي عن ابن عباس. وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا. وقال شَهْر بن حَوْشَب: يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السَّمْت[1]

(١) السَّمْت: النهج القويم.

الحسن والخشوع والتواضع. وقال منصور: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ أهو الأثر يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكْبَة البعير، وهو أقسى قلباً من الحجارة، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع. وقال ابن جُريج: هو الوقار والبهاء. وقال شَمر بن عطية: هو التهيّج وصُفرة الوجه وأثر السهر. وقال الحسن: إذا رأيتَهم حسبتَهم مرضى، وما هم بمرضى. وقال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب في جباههم. وقال عطية الخراسانيّ: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي ذلك الذي ذكرت ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾ قال: وها هنا تم الكلام. ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾؛ قال أنس: «شَطْأَه» نباته. وقال ابن عباس: سنبله. وقال مجاهد والضحاك: ما يخرج تحت الحِقْلة[1] فينمو ويتم. وقال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده فقد شَطأه. وقال السدّي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. وقال الفراء: الأشطاء: الزرع إذا نبت سبعاً أو ثمانياً أو عشراً. وقال الأخفش: فراخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطىء إذا فَرَّخَ، قال الشاعر: [من الرمل]

أخرج الشطء على وجه الثرى ومن الأشجار أفنان الثمر

قال: وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد ﷺ، يعني أنهم كانوا يكونون قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون. قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ﴿فَآزَرَهُ﴾ قوّاه وأعانه وشدّ أزره. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾، فغلظ وقوي. ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ تم وتلاحق نباته وقام ﴿عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أصوله. ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يعني أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ليغيظ بهم الكفار. قال الثعلبيّ بسند يرفعه إلى الحسن في قوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ قال: محمد رسول الله. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، أبو بكر ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان. ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي بن أبي طالب. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ طلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة. ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال: هم المبشّرون، أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة. ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾ قال: نعتُهم في التوراة والإنجيل كمثل زرع. قال: الزرع: محمد ﷺ. ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أبو بكر الصديق. ﴿فَآزَرَهُ﴾ عمر بن الخطاب. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ عثمان، يعني استغلظ عثمان للإسلام. ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ علي بن أبي طالب، يعني

(١) الحِقلة: بالفتح والكسر: ما يبقى من الماء الصافي في الحوض.

استقام الإسلام بسيفه. ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قال: المؤمنون. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ قال: قول عمر لأهل مكة: لا نعبد اللّه سِرًّا بعد اليوم. رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكرُ خبر أبي بَصير ومن لحق به وانضم إليه

قد اختُلف في اسمه، فقيل: عُبَيد بن أَسِيد بن جارية. وقال ابن إسحاق: عُتْبة بن أسيد بن جارية، وعن أبي معشر قال: اسمه عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غِيَرة بن عوف بن قسيّ، وهو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن، حليف لبني زهرة، وخبره وإن لم يكن داخلاً في جملة الغزوات والسرايا فليس هو منافٍ لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضع لتعلقه بغزوة الحديبية، ولأنّ ردّه كان من شروط الهدنة، ونحن نورده ها هنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد بن إسحاق رحمهم الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا:

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة انفلتَ رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له: أبو بصير بن أَسِيد بن جارية الثقفيّ منَ المشركين، فأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً، وكان ممن حُبس بمكة، فكتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث[١] بن زهرة، والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفيّ[٢] إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤيّ، ومعه مولى لهم، ويقال: كانا من بني منقذ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم، اسمه جحش بن جابر، وكان ذا جلَد ورأي في أنفس المشركين، وجعل لهما الأخنس في طلب أبي بصير جُعلاً[٣]، فقدما على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك». فقال: يا رسول الله، أتردُّني إلى المشركين يفتنونني في

---

(١) أزهر بن عبد عوف: أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري بن الحارث بن زهرة: عم عبد الرحمٰن بن عوف. راجع (الإصابة في تمييز الصحابة: ١ : ٢٩. رقم الترجمة: ٧٢).

(٢) الأخنس بن شريق: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج. أبو ثعلبة، حليف بني زهرة أسلم فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً ومات في أول خلافة عمر. راجع (الإصابة في تمييز الصحابة: ١ : ٢٥ رقم الترجمة: ٦١).

(٣) جُعلاً: مكافأة.

ديني؟ قال: «انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً»، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذي الحُلَيْفة[١] سلّ جحش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل، فقال له أبو بصير: أوَ صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنيه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برَد، ويقال: بل تناول أو بصير سيف جحش بفيه، وهو نائم فقطع به إساره[٢]، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخَر فجمز[٣] مذعوراً مستخفياً، حتى دخل المسجد إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذُعْراً»؛ فأقبل واستغاث برسول الله ﷺ، فقال: «ويحك! ما لك»؟ فقال: قتل صاحبُكم صاحبي. وجاء أبو بصير يتلوه، فسلم على رسول الله ﷺ وقال: وَفَت ذمتُك يا رسول الله، وأدّى الله عنك، دفعتني إليهما فتعرفت أنهم سيعذبونني ويفتنونني عن ديني، فقتلت المنقذيّ، وأفلتني هذا. فقال رسول الله ﷺ: «ويلُ أمّةِ مِسْعَر[٤] حرب لو كان معه رجال»، وجاء أبو بصير بسلَبه[٥] فقال: خمس يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني إن خمَّسته لم أوفِ لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلَب صاحبك، واذهب حيث شئت». فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العِيص وذي المَرْوة من أرض جُهينة، على طريق عَيرات قريش مما يلي سِيف البحر، لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وانفلت أبو جندل ابن سُهَيْل بن عمرو ـ واسم جندل العاص بن سهيل على ما أورده الزبير بن بكار ـ في سبعين راكباً أسلموا، فلحقوا بأبي بصير حين بلغهم أن رسول الله ﷺ قال: «ويلُ أمه مِسْعَر حرب لو كان معه رجال»، فقطعوا مادة قريش من طريق الشام. وكان أبو بصير يصلي لأصحابه، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم، واجتمع إلى أبي جندل ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل، وهم مسلمون، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير، لا تمرُّ بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وقال أبو جندل في ذلك: [من الرجز]

---

(١) ذو الحُليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة. ومنها ميقات أهل المدينة.
(٢) الإسار: القيد.
(٣) جمز: عدا وأسرع.
(٤) مسعر الحرب: موقدها، يقال: فلان سعر حرب إذا كان يؤرثها، أي تحمى به الحرب، يتعجب النبي ﷺ من شجاعته وجرأته وإقدامه.
(٥) سلبه: غنائمه.

أبلغ قريشاً عن أبي جندل   أَنَّا بذي المَرْوة بالساحل
في معشرٍ تخفق راياتُهم   بالبِيض فيها والقَنا الذُّبَّلِ(١)
يأبَون أن تبقى لهم رفقة   من بعد إسلامهم الواصلِ
أو يجعل اللَّهُ لهم مخرجاً   والحق لا يُغلب بالباطلِ
فيسلم المرء بإسلامه   أو يقتل المرء ولم يأتَلِ(٢)

فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامهم إلا آواهم، وقالوا: لا حاجة لنا بهم. قال البيهقي: وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره. فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله ﷺ أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله ﷺ خير لهم فيما أحبوا وكرهوا. وحكى البيهقي: أن هؤلاء هم الذين مرّ بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه، فلما بلغهم ما قاله رسول الله ﷺ أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص، وردّوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العِقال(٣)، وقد تقدم خبر أبي العاص، وقيل: إنما أُخذ في غير هذه السَّرِيّة. والله أعلم.

قال: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدما عليه، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم، ولا يعترضوا لأحد مرّ بهم من قريش وعيرَاتهم. فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبي بصير، وأبو بصير قد أشرف على الموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرؤه، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ ومعه ناس من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأمنت عيرات قريش.

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد: غزاها رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة سبع من مُهاجَرِه. وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ: في المحرم من السنة. وخيبر على ثمانية بُرُد من المدينة.

قالوا: أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر، وَأَجْلَبَ(٤) من حوله

---

(١) البيض: السيوف. والقنا: الرماح. الذبل: الدقيقة. اللاصقة القشر.
(٢) لم يأتل: لم يقصر.
(٣) العقال: الحبل الذي يستعمل وثاقاً.
(٤) أجلب القوم: إذا صاحوا واختلطت أصواتهم.

يريدون الغزاة معه، فقال: رسول الله ﷺ: «لا يخرجنّ معنا إلا راغب في الجهاد»، وشقّ ذلك على من بقي بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغفاريّ، قاله ابن سعد والبيهقي. وقال ابن إسحاق: استخلف نُمَيْلة بن عبدالله الليثي؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة[١] رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق: لما سار رسول الله ﷺ إلى خيبر قال في مسيره لعامر بن الأكوع - وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سِنان - «انزل يا بن الأكوع، فخذ لنا من هَناتك»[٢]، فنزل يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

والـلَّـهِ لـولا الله مـا اهـتـديْـنـا ولا تـصـدّقْـنـا ولا صـلَّـيـنـا

إنـا إذا قـوم بـغَـوْا عـلـيـنـا وإن أرادوا فِـتـنـة أبَـيْـنـا

فـأنـزِلَـنْ سَـكـيـنـةً عـلـيـنـا وثـبِّـتْ الأقـدامَ إن لاقـيـنـا[٣]

فقال له رسول الله ﷺ: «يرحمك ربُّك». ومن رواية البيهقي: «غفر لك ربُّك».
قال: وما خص بها رسول الله ﷺ أحداً قط إلا استُشهد. قال ابن إسحاق: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجبتْ والله يا رسول الله، لو متّعتنا بعامر؛ فقتل يوم خيبر شهيداً، رجع سيفه عليه وهو يقاتل، فكلَمه[٤] كَلماً شديداً فمات.

قال: ولما خرج رسول الله ﷺ من المدينة سلك على عصْر[٥] فبنى له فيه مسجداً، ثم على الصهباء[٦]، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له: الرَّجيع، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مُظاهرين على رسول الله ﷺ، قال: فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا مَنقلَةً[٧] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسًّا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

---

(١) أم سلمة: (. . . - نحو ٣٠ هـ = . . . - نحو ٦٥٠ م) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية. من أخطب نساء العرب، ومن ذوات الشجاعة والإقدام وفدت على الرسول في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه وحضرت وقعة اليرموك (سنة ١٣ هـ) فكانت تسقي الضماء وتضمد جراح الجرحى. وتوفيت بعد ذلك بزمن طويل. انظر (الأعلام: ١: ٣٠٦).

(٢) هناتك: أي من أخبارك وأمورك وشعرك.

(٣) راجع بشأن هذا الرجز، شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٦٢.

(٤) كلمه: جرحه.

(٥) عصر: جبل بين المدينة ووادي الفرع، ورواه بعضهم بالتحريك.

(٦) الصهباء: موضع قرب خيبر.

(٧) المنقلة: المرحلة من مراحل السفر.

قال: ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه: «قِفوا» فوقفوا، ثم قال: «اللّهم ربّ السمٰوات وما أظْلَلْن، وربّ الأرضين وما أقْلَلْن، وربّ الشياطين، وما أضلَلْن، وربّ الرياح وما ذَرَيْن، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله». قال: ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يَصحْ لهم ديك حتى طلعت الشمس، وأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغدَوا إلى أعمالهم، معهم المَساحي[١]، والكَرازِن ـ وهي الفُؤُوس ـ والمكَاتِل ـ وهي الزنابيل ـ فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ قالوا: محمد والخمِيس[٢] ـ يعنون الجيش ـ فولوا هاربين إلى حصونهم، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين»، ووعظ رسول الله ﷺ الناس، وفرّق فيهم الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، إنما كانت الألوية[٣]، فكانت راية رسول الله ﷺ السوداء من بُرْد لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تدعى العُقاب، ولواؤه أبيض، ودفعه إلى عليّ بن أبي طالب، وراية إلى الحُباب بن المنذر[٤]، وراية إلى سعد بن عبادة؛ وكان شعارهم: «يا منصور أمِت»، وكانت حصون خيبر حصوناً ذوات عدد منها النَّطاة، وحصن الصّعب بن مُعاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، هذه حصون النطاة. والشقّ وبه حصون منها: حصن أبيّ، وحصن النّزار، وحصون الكتيبة منها: القَمُوص، والوطيح، وسُلالم. وسنذكر إن شاء الله فتحها حصناً حصناً. قال: وخرج مرْحب اليهوديّ من حصنهم، قد جمع سلاحه وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبر أنّي مَرْحَبُ ... شاكي السلاح بطَل مُجرَّبُ[٥]

أطعن أحياناً وحيناً أضرِب ... إذا الليوثُ أقبلت تُجَرّبُ[٦]

* إن حِمَايَ لِلْحِمى لا يُقرَب *

(١) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

(٢) الخميس: سمي الجيش خميساً لأنه خمسة أقسام: المقدمة، والساقة، والميمنة والميسرة والقلب.

(٣) لواء الجيش: علمه.

(٤) الحباب بن المنذر: (. . . ـ نحو ٢٠ هـ = . . . ـ نحو ٦٤٠ م) الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري. صحابي من الشجعان الشعراء، يقال له: «ذو الرأي» هو صاحب المشورة يوم بدر. وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر، وقد زاد على الخمسين. انظر (الأعلام: ٢: ١٦٣).

(٥) شاكي السلاح: حاد السلاح.

(٦) تجرب: تغضب.

ثم يقول: هل من مبارز؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبرُ أني كعبُ ... مفرِّج الغُمَّى جريءٌ صُلْبُ

إذ شبّت الحرب تليها الحربُ ... معي حسام كالعقيق عَضْبُ[١]

نطاكُم حتى يُذال الصعبُ ... نعطي الجِزاء أو يفيء النّهب[٢]

* بكفّ ماضٍ ليس فيه[٣] عَتْبُ *

فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا»؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس؛ قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه». فخرج إليه حتى دنا منه، فحمل مرحب عليه فضربه، فاتَّقاه بالدَّرَقة[٤]، فأمسكَت سيفَه، وضربه محمد بن مسلمة فقتله. وقد روي أن الذي قتل مرحباً علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، يُجَبِّنه أصحابه، ويُجَبِّنهم، وكان رسول الله ﷺ قد أخذته الشقيقة[٥] فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً أشدّ من القتال الأوّل، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «أما والله لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يأخذها عَنوة». وفي رواية قال: «يفتح الله على يديه»، فبات الناس يذكرون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله ﷺ: «أين علي بن أبي طالب»؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه؛ قال: فأرسل رسول الله ﷺ إليه سلمة بن الأكوع فدعاه، فجاء على بعير له حتى أناخ قريباً من رسول الله ﷺ وهو أرمد، قد عصب عينيه بشِقَّة بُرد قَطَرِيّ[٦]، قال سلمة: فجئت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لك»؟ قال: رمِدت؛ فقال: «رمِدت»؛ فقال: «ادن مني» فدنا منه فتفل في عينيه، ودعا

---

(١) قال أبو ذر الخشني: «العقيق هنا جمع عقيقة، وهي شعاع البرق شبه السيف به» شرح السيرة: ٣٤٦. عضب: قاطع.

(٢) الجزاء: جمع جزية. النهب: ما انتهب من الأموال.

(٣) ليس فيه عتب: ليس فيه ما يلام عليه.

(٤) الدَّرَقة: الترس المتخذ من الجلد فقط.

(٥) الشقيقة: نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه.

(٦) القَطَرِي: نوع من البرود، ينسب إلى قرية يقال لها قطر، وهي بين عمان والعقير.

له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، وما وَجعَهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية وقال: «امضِ حتى يفتح الله عليك» قال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «انفُذ على[(١)] رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرْهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم». روى هذا الحديث أو نحوه أهل الصحة. ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال: فنهض عليّ بالراية وعليه حلّة أرجوان حمراء، وقد أخرج خملها[(٢)]، فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مُغْفَر[(٣)] مُعصْفر، وحجرٌ قد ثقَبه مثل البيْضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ ... شاكي السلاح بطَلٌ مُجَرَّبُ
أطعن أحياناً وحيناً أضرِبُ ... إذا الحروبُ أقبلت تَلهَّب
* كانَ حِماي كالحِمَى لا يُقْرَبُ *

فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال: [من الرجز]

أنا الذي سمّتنيَ أمّي حَيْدَرَة ... كليث غاباتٍ شديدِ قَسْورهْ[(٤)]
* أَكِيلُكم بالسّيف كيلَ السَّندَرهْ[(٥)] *

فاختلفا ضربتين، فبدره عليّ رضي الله عنه فضربه، ففد الحجر والمِغفر وفلق رأسه، حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبرُ أَني ياسرُ ... شاكي السلاح بطلٌ مُغاورُ[(٦)]
إذَا الليوثُ أقبلت تُبادِرُ ... إن حمايَ فيه موتٌ حاضرُ

وهو يقول: هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو يقول: [من الرجز]

---

(١) أنفذ على رسلك: امض على هينتك.
(٢) الخمل: هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول.
(٣) المغفر: ما يلبسه الفارس تحت البيضة.
(٤) الحيدرة: في الأصل: الأسد. وقال ابن الأعرابي: «الحيدرة في الأسد مثل الملك في الملك».
القسورة: العزيز، يقتسر غيره، أي: يقهره.
(٥) السندرة: مكيال كبير.
(٦) المغاور: الكثير القتال والغارات.

قد علمت خيبر أني زبّار قَرمٌ لقوم غير نِكسٍ فرّار[١]
أين حماة المجد؟ أين الأخيار؟ ياسرُ، لا يَغررك جمع الكفّار
* فجمعهم مثل السّراب الختّار[٢] *

فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله»، ثم التقيا، فقتله الزبير. ومن رواية أخرى عن سلمة قال: فخرج عليّ رضي الله عنه يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رَضْم[٣] حجارة تحت الحصن، فاطّلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب؛ فقال اليهودي: علوتم وما أنزل الله على موسى. وقال ابن إسحاق أيضاً من رواية أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته. فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح تُرْسه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة، أنا ثامنهم، نجهد على أن نَقْلِب ذلك الباب، فما نقلبه.

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما: إن بني سهم من أسلم أتَوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه؛ فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوّة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غَناء، وأكثرها طعاماً ووَدَكاً»[٤] فغدا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصّعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر منه طعاماً وَوَدَكاً. قال البيهقي: وافتتح رسول الله ﷺ حصن ناعم، فانتقل مَن كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزّبير، ويقال: حصن ناعم أوّل ما افتتح من حصونهم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رحًى[٥] منه فمات. قال: وحصن الزبير حصن منيع في رأس[٦] قُلَّة، فحاصرهم رسول الله ﷺ به ثلاثة أيام، فجاءه رجل من اليهود يقال له: غزال؛ فقال: يا أبا القاسم،

---

(١) القرم: السيد. النكس: الضعيف.
(٢) الختار: الخداع.
(٣) الرضم: الحجارة المكدسة فوق بعضها.
(٤) الودك: الدسم.
(٥) الرحى: حجر الطاحون.
(٦) في الأصلين: «في رأسه قلة». والتصويب من دلائل النبوة. وجاء في شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٧٤ في هذا الحصن: «وكان اسمه حصن قلة، لكونه كان على رأس جبل».

تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النَّطاة، وتخرج إلى أهل الشَّق؟ فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك، فأمّنه رسول الله ﷺ على أهله وماله، فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، لهم دُبُول[١] تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإذا قطعت مشربهم عليهم أَضْحروا لك[٢]. فسار رسول الله ﷺ إلى دُبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشدّ قتال، وقُتل من المسلمين يومئذٍ نفر، وأُصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ، فكان آخرَ حصون النطاة؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ من النطاة تحوّل إلى أهل الشّق، وبه حصون، فكان أوّل حصن بدأ به ﷺ حصنُ أُبَيّ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سَمْوان؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديداً، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول؛ فدعا إلى البراز، فبرز له الحُباب بن المنذر فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن، فتبعه الحباب فقطع عُرْقوبَيه، فوقع، فذقّف[٣] عليه، فخرج آخر فصاح: من يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشيّ، وقام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دُجانة، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المِغْفَر، يختال في مشيته، فبدره أبو دجانة[٤] فضربه فقطع رجليه، ثم ذفَّف عليه وأَخَذَ سلبه؛ درعه وسيفه: فنفله[٥] رسول الله ﷺ ذلك، وأحجموا عن البراز، فكبّر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدُمهم أبو دجانة الأنصاريّ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجُدُر كأنهم الظُّبيّ إلى حصن النِّزار، فغلّقوه وامتنعوا فيه، وزحف رسول الله ﷺ في أصحابه فقاتلهم، فكانوا أشدّ أهل الشّق رمياً بالنبل والحجارة، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله ﷺ وعلِقت به، فأخذ النبل فجمعها، ثم أخذ كفّاً من حصباء[٦]، فحَصب به حصنهم فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذاً، ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة، فافتتح القَمُوص، حصن

---

(١) الدبول: جمع دبل، وهو الجدول.

(٢) اصحروا: برزوا في الصحراء.

(٣) ذفف عليه: أجهز عليه.

(٤) أبو دجانة: (. . . ـ ١١ هـ = . . . ـ ٦٣٢ م) سِماك بن خَرَشَة الخزرجي، المعروف بأبي دجانة: صحابي، كان شجاعاً بطلاً. له آثار جميلة في الإسلام. شهد بدراً، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة. استشهد باليمامة. وكانت له مشية عجيبة في الخيلاء. انظر (الأعلام: ٣: ١٣٨).

(٥) نفله: وهبه.

(٦) الحصباء: الحصى.

أبي الحُقَيق، وأتى رسول الله ﷺ منه بصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب.

قالوا: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حِصنيهم: الوَطِيح والسُّلالِم، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُسَيِّرهم، وأن يحقن دماءهم. قال البيهقيّ: حصرهم أربعة عشر يوماً وهم لا يطلعون من حصونهم، حتى همّ رسول الله ﷺ أن ينصب المَنْجَنيق[١] عليهم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا الصلح، وأرسل ابن أبي الحُقَيق إلى رسول الله ﷺ: أنزل فأكلمك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فنزل كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء مَن في حصونهم من المقاتلة، وترك الذريّة لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلُّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكُراع والحَلْقة[٢]، وعلى البزّ[٣] إلا ثوباً على ظهر إنسان؛ فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله إن كتمتموني شيئاً» فصالحوه على ذلك. وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كنز بني النضير، فسأله رسول الله ﷺ عنه، فجحد أن يكون يعلم مكانه، وقال: نفذ في النفقة والحروب؛ فقال رسول الله ﷺ: «كان أكثر من ذلك»، ثم جاء رجل من يهود إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رأيت كنانة يُطيف بهذه الخِربة[٤] كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك»؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفِرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤدّيه، فأمر رسول الله ﷺ الزّبير بن العوام به، فقال: «عذّبه حتى تستأصل ما عنده»، فكان الزبير يقدح بزَنْد في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد ابن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. ويقال: كان ذلك بعد فتح حصن القَمُوص، وقبل فتح الوَطيح والسّلالم.

قال محمد بن إسحاق: ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النِّصف؛ «على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»، قال: ولما سمع أهل فَدَك أن رسول الله ﷺ افتتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ، يسألونه أن يُسيِّرهم وأن يحقن دماءهم، ويخلّوا له الأموال، ففعل؛ وكان ممن مشى

(١) المنجنيق: التي ترمى بها الحجارة.
(٢) الصفراء والبيضاء: هنا الذهب والفضة. الكراع: الخيل. الحلقة: بمعنى السلاح.
(٣) البز: الثياب.
(٤) الخربة: مكان قديم مهجور.

بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيصة بن مسعود أخو بني حارثة، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله ﷺ على النِّصف كما عامل أهل خيبر، فأجابهم إلى ذلك؛ «على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»؛ فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدَك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

ولما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب[1] رضي الله عنه من أرض الحبشة ومَن كان بقي بها من المسلمين، فقبَّله رسول الله ﷺ بين عيْنيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر»!.

ذكر تسمية من استُشهد من المسلمين في غزوة خيبر

قالوا: استُشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلاً. من قريش وحلفائهم خمسة نفر، وهم رِفاعة بن مَسْروح، من بني أمية بن عبد شمس، ومن حلفائهم ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرة، وثَقْف بن عمرو بن سُمَيْط، ومن حلفاء بني أسد ابن عبد العُزّى أبو عُمَير عبد الله بن الهُبَيْب ـ ويقال ابن الهَبِيب ـ بن أهَيْب الليثيّ، ومسعود بن ربيعة، حليف لبني زُهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر رجلاً، وهم: بشر بن البَراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفُضَيل بن النعمان، ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضَيَّاح النعمان بن ثابت، والحارث بن حاطب، ممن شهد بدراً، وعُروة بن مُرّة بنُ سراقة، وأوس بن الفائد، وأُنَيف بن حَبيب، وثابت بن إثْلة، وطلحة، ومبشر، وعُمارة بن عقبة، وعامر بن الأكوع الأسلميّ، وكان قد برز له يهودي، فبرز إليه وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبر أني عامرُ شاكي السلاح بطلٌ مغامرُ

واختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهوديّ في تُرس عامر، ووقع سيف عامر عليه، فأصاب ركبة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأتيت نبيّ الله ﷺ وأنا شاحب أبكي، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ فقال: «ومن قال ذلك»؟ قلت: بعض أصحابك؛ قال: «كذب من قاله، بل أجره مرّتين، إنه لجاهدٌ مُجاهِد».

واستُشهد الأسود الراعي ـ واسمه أسلم، وهو من أهل خيبر ـ وكان من حديثه

(١) جعفر بن أبي طالب: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله ابن عم النبي ﷺ. أحد السابقين إلى الإسلام. آخى النبي ﷺ بينه وبين معاذ بن جبل. وكان الرسول ﷺ يكنيه: أبا المساكين. استشهد بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان، وقد استوفى أربعين سنة. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٣٧ رقم الترجمة ١١٦٦).

حكاه محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصِر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام؛ فعرضه عليه، فقال: فماذا لي إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال: «لك الجنة إن أنت مت على ذلك»؟، فأسلم وقال: يا رسول الله، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال رسول الله ﷺ: «أَخرجها من عسكرنا، واحصِب[١] وجوهها، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك، وسترجع إلى ربّها». ففعل الأسود وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك، فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن. ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاةً قطّ، فأُتي به رسول الله ﷺ فوُضع خلفه، وسجّى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زوجته من الحور العين».

وقتل من يهود ثلاثة[٢] وأربعون، منهم: الحارث أبو زينب، ومَرْحَب، وأسير، وياسر، وعامر، وكنانة بن أبي الحقيق وأخوه.

ذكر قسْم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد: أمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت، واستعمل عليها فَرْوة بن عمرو البَياضِيّ، وأمر بذلك فجزّىء خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لِلّه، وسائر السُّهْمان أغفال، فكان أوّل ما خرج سهم النبي ﷺ، وأمر ببيع الأربعة أخماس فيمن يزيد، فباعها فروة، وقسم ذلك بين أصحابه؛ وكان الذي ولي إحصاء الناس زيد بن ثابت، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة رجل، والخيل مائتي فرس، فكانت السُّهْمان على ثمانية عشر سهماً، لكل مائةٍ سهم، وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله ﷺ يعطى منه على ما أراه الله.

وقال محمد بن إسحاق: كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشِّق ونَطاة والكُتَيْبَة، فكانت الكتيبة خُمسَ الله، وسهم النبي ﷺ وذوي القربى واليتامى والمساكين، وطُعَم أزواج النبي ﷺ، وطُعْم رجال مشوْا بين رسول الله ﷺ، وبين أهل فَدَك بالصلح، منهم مُحيصة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ منها ثلاثين وَسْقاً[٣] من

---

(١) حصبه: رماه بالحصباء.

(٢) في ابن سعد: «ثلاثة وتسعون».

(٣) الوَسْق: ستون صاعاً، أو حمل بعير.

شعير، وثلاثين وسقاً من تمر، وكانت الشق ونطاة في سُهمان المسلمين؛ قال: وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِية، من شهد منهم ومن غاب، ولم يغب عنها إلاّ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام، فقسم له رسول الله كسهْم من حضرها. وقال: وكان واديها: وادي السُرَير ووادي خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نَطاة والشّق ثمانية عشر سهماً، نطاة خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهماً، فقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم، فكان لكلّ سهم رأسٌ جُمع إليه مائة رجل؛ قال: ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة ـ وهو وادي خاص ـ بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها. وروى بشير بن يسار قال: لما افتتح النبي ﷺ خيبر أخذها عنوة، فقسمها على ستة وثلاثين سهماً، فأخذ لنفسه ولنوائبه وما ينزل به ثمانية عشر سهماً، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهماً. والله أعلم.

وروى أبو داود في سُننه بسنده إلى عُقْبة بن عامر[١] أن النبي ﷺ قال لرجل: «أترضى أن أزوّجك فلانة»؟ قال: نعم؛ وقال للمرأة: «أترضين أن أزوّجك فلاناً»؟ قالت: نعم. فزوّج أحدهما صاحبه، فدخل بها الرجل، ولم يَفرِض لها صداقاً[٢] ولم يعطها شيئاً، وكان ممن شهد الحديبية، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر، فلما حضرته الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ زَوّجني فلانة، ولم أَفرض لها صداقاً، ولم أعطها شيئاً، وإنّي أُشهدكم أنّي أعطيتها من صداقها سهمي بخيبر. فأخذت سهماً فباعته بمائة ألف.

ذكر تسمية من قَسم لهم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَة التي خرجت للخمس وما أعطاهم منها

قسم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَة ـ وهو وادي خاص[٣] ـ لفاطمة ابنته رضي الله عنها مائتي وسق ولعليّ بن أبي طالب مائة وسق، ولأسامة بن زيد مائتي وسق، وخمسين وسقاً نَوَى[٤]، ولعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مائتي وسق، ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه مائة وسق، ولِعَقِيل بن أبي طالب مائة وسق وأربعين وسقاً،

---

(١) عقبة بن عامر: (... ـ ٥٨ هـ = ... ـ ٦٧٨ م) عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني: أمير، من الصحابة. شهد صفين مع معاوية وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. مات بمصر. وهو أحد من جمع القرآن. انظر (الأعلام: ٤: ٢٤٠).

(٢) الصداق: المهر.

(٣) خاص: من أودية خيبر.

(٤) النوى: التمر.

ولبني جعفر خمسين وسقاً، ولربيعة بن الحارث مائة وسق، وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق؛ للصلت منها أربعون وسقاً. وقال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة قاسم بن مخرمة بن المطلب: أعطاه رسول الله ﷺ ولأخيه الصلت مائة وسق من خيبر، ولأبي نَبْقة خمسين وسقاً، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً، ولابن القاسم بن مخرمة أربعين وسقاً، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق، ولبني عبيد بن عبد يزيد ستين وسقاً، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاً، ولمِسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رُمَيثة أربعين وسقاً، ولنُعَيم بن هند ثلاثين وسقاً، ولبُحَينة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعُجَير بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم الحكم[1] بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقاً، ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولعبد الله بن الأرقم الزهري خمسين وسقاً، ولعبد الرحمٰن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولحَمْنة بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولأم الزبير أربعين وسقاً ولضُباعة بنت الزبير أربعين وسقاً، ولابن أبي خُنَيس ثلاثين وسقاً، ولأم طالب أربعين وسقاً، ولأبي نَضْرة عشرين وسقاً، ولنُمَيْلة الكلبيّ خمسين وسقاً، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقاً، لابنيه منها أربعون وسقاً، ولأم حبيب بنت جَحْش ثلاثين وسقاً، ولمَلْكُو بن عَبْدة ثلاثين وسقاً، ولنسائه ﷺ سبعمائة وسق.

وقال ابن إسحاق أيضاً: وقسم رسول الله ﷺ لنسائه من فتح خيبر مائة وسق وثمانين وسقاً، ولفاطمة ابنة رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً، وللمِقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأم رُمَيثة خمسة أوسق.

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب.

قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر خارصاً[2] بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا؛ قال: إن شئتم فلكم، وإن شئتم فلنا؛ فتقول يهود: بهذا قامت السمٰوات والأرض. ولم يخرص عليهم عبد الله إلا عاماً واحداً ومات.

وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عنه، قال: خرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق، وإن اليهود لما خيرهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق، ثم خرص عليهم بعده جَبَّار بن صخر بن أمية ابن خنساء، أخو بني سلمة، فأقامت يهود على ذلك لا يرى

(١) كذا في الأصلين. وفي ابن هشام: ولأم حكيم.

(٢) خارصاً: حازراً ومقدراً.

بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدوا على عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتار[١] منها تمراً، فوُجد في عين قد كسرت عنقه، فاتهمهم رسول الله ﷺ بقتله، وجاء أخوه عبد الرحمٰن بن سهل، وابنا عمه حُوَيِّصة ومُحَيِّصة إلى رسول الله ﷺ، فتكلم عبد الرحمٰن ـ وكان أصغرهم، وهو صاحب الدم ـ فقال رسول الله ﷺ: «كبّر كبّر»[٢] فسكت، وتكلم حويصة ومحيّصة، ثم تكلم بعدهما، فذكروا قتل صاحبهم، فقال رسول الله ﷺ: «أَتُسَمُّون قاتلكم ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنسْلمه إليكم» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أفيحلفون بالله خمسين يميناً ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً، ثم يبرءون من دمه؟»، فقالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم. قال: فوَدَاه رسول الله ﷺ بمائة ناقة. قال[٣]: واستقرت خيبر بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته، ثم أقرها أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ بأيديهم على المعاملة، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صدراً[٤] من خلافته، ثم بلغه أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»؛ ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبْت، فأرسل إلى يهود، فقال: إن الله قد أذن في إجلائكم، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن له عهد منه فليتجهز للجلاء. فأجلى عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ.

هذا ما كان من أمر خيبر على سبيل الاختصار، فلنذكر ما اتفق بعد فتح خيبر مما يتعين إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها، فمن ذلك خبر الشاة التي سُمّ فيها رسول الله ﷺ، وقد قدّمنا ذكر ذلك في أخبار يهود، وهو في الجزء الرابع عشر من هذه النسخة[٥]، ومنه خبر الحجاج بن عِلاط.

ذكر خبر الحجاج بن عِلاط[٦] وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله ﷺ حتى استوفى أمواله

قالوا: وكان الحجاج بن عِلاط السُّلميّ ثم البَهْزِيّ أسلم وشهد خيبر مع رسول

---

(١) يمتار: يجلب.
(٢) ويروى: «الكبر الكبر» بضم الكاف وسكون الباء، أي قدموا الأكبر.
(٣) أي ابن إسحاق.
(٤) صدراً: مدة.
(٥) من تجزئة المؤلف.
(٦) الحجاج بن عِلاط: الحجاج بن عِلاط بن خالد بن ثويرة بن هلال. الفهري يكنى: أبا كلاب. =

الله ﷺ، فلما فتحت خيبر قال: يا رسول الله، ، إن لي بمكة مالاً عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة، ومال مفرّق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله. فأذن له، فقال: إنه لا بدّ لي يا رسول الله من أن أقول. قال: «قل»، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثَنيّة البيضاء[1] رجالاً من قريش يستمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومنعة ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الرُّكبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط عنده والله الخبر؛ قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز؛ قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم، فالْتَبَطوا[2] بجنْبَي ناقتي يقولون: إيهِ يا حجاج! قال: قلت: هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وَأُسر محمداً أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكّة، فيقتلوه بين أَظْهرهم بمن أصاب من رجالهم. فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر، وهذا محمد، إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة على غُرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فَلّ[3] محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك. قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحثّ[4] جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتي فقلت: مالي ـ وقد كان لي عندها مال موضوع ـ لعلّي ألحق بخيبر، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عنّي، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من مخيم التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم، قلت: فاستأخر عني حتى أفرغ. قال: فلما فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأَجمعتُ[5] الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفعل؛ قلت: فإني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم ـ يعني صفية بنت حُيَيّ بن أخطب ـ ولقد افتتح خيبر،

= ويقال: كنيته أبو محمد وأبو عبد الله. قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر. فأسلم وسكن المدينة واختط بها داراً ومسجداً. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣١٣ رقم الترجمة ١٦٢٢.

(١) في معجم البلدان: «البيضاء: ثنية التنعيم بمكة، لها ذكر في كتاب السيرة.

(٢) فالتبطوا: أي عدوا إليها مطيفين بها.

(٣) الفل: القوم المنهزمون.

(٤) كأحث جمع: كأسرع جمع.

(٥) أجمعت: قررت.

وانتثل[١] ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ قال: ما تقول يا حجاج! قلت: إي والله، فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فَرقاً[٢] من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب. قال: وسرت حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلّة له، وتخلّق[٣] وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروساً على أبنة ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله، وانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه؛ قالوا: يا لَعباد الله! انفلت عدوّ الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن. ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

ذكر انصراف رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا: ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فنزل به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له: مِدْعَم؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُذاميّ، فبينا هو يضع رَحْل رسول الله ﷺ أتاه سهمُ غَرْب[٤] فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفس محمد بيده إن شَملته[٥] لتحترق عليه في النار». كان غَلّها[٦] من فَيْءِ المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصبتُ شِراكَين لنَعلين لي؛ فقال: «يقَدُّ لك مثلهما من النار».

قال أبو بكر أحمد البيهقيّ رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه، وساق نحو الحديث في قتل مِدْعم، ثم قال: وكانت يهود قد ثَوَى إليها ناس من العرب، فاستقبلونا بالرّمي حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون من آطامهم، فعبأ رسول الله ﷺ أصحابه وصفّهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة،

(١) انتثل: استخرج.
(٢) فرقاً: خوفاً، خشية.
(٣) تخلق: طلي بالخلوق، وهو ضرب من الطيب.
(٤) سهم غَرْب: سهم مجهول الرامي.
(٥) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.
(٦) غلّها: حصل عليها.

وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حُنَيف، وراية إلى عبّاد بن بِشر، ثم دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله. فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله ثم برز آخر، فبرز إليه أبو دُجانة الأنصاريّ رضي الله عنه فقتله، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلاً، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقي إلى الإسلام. قال: ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذٍ فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم ﷺ حتى أمسى، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قِيدَ رُمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنم أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، فأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود تَيْماء ما كان من أمر خيبر وفَدَك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل: «مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام»؟ وجاء في الحديث: «من رجل يكلأ لنا الليل»؟. فقال بلال: أنا يا رسول الله. فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمُقه فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مَسُّ الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه استيقاظاً، فقال: «ماذا صنعت بنا يا بلال»؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك. قال: «صدقت»، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ثم أناخ، فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلّم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجلّ يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾» [طه: ١٤]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: «إن هذا وادٍ به شيطان» فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤوا... الحديث بنحو ما تقدم.

ذكر سريّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تُرَبة

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مُهاجَره في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز هوازن بتُرَبة ـ وهي ناحية العَبْلاء على أربع ليال من مكة، طريق صنعاء ونجران ـ فأتى الخبر هوازن فهربوا، جاء عمر محالّهم فلم يلق بها أحداً. فانصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مُهاجَرِه.

روي عن سلمة بن الأكوع[(١)] قال: غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه رسول الله ﷺ علينا، فسبى ناساً من المشركين فقتلناهم، وكان شعارنا: أَمِت أَمِت. قال: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين. وعنه أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة. وهذا الذي صححه مسلم. وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: حدثني أبي قال: غزونا فَزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه، أمّره رسول الله ﷺ علينا، فلما كان بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا[(٢)]، ثم شَنَّ الغارة فورد الماء فقتل من قتل وسبى من سبى. ثم قال[(٣)] سلمة: فرأيتُ عُنقاً[(٤)] من الناس فيهم الذراريّ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة، معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنفلني ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة». فقلت: يا رسول الله، فقد أعجبتني وما كشفتُ لها ثوباً، ثم لقيني من الغد في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة، لله أبوك!». فقلت: هي لك يا رسول الله؛ فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة. روى هذا الحديث مسلم.

ذكر سريّة بَشير بن سعد الأنصاري[(٥)] إلى فَدَك

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مُهاجَرِه في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرّة

---

(١) سلمة بن الأكوع: (. . . ـ ٧٤هـ = . . . ـ ٦٩٣ م) سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع، الأسلمي. صحابي، من الذين بايعوا تحت الشجرة. غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات، منها الحديبية، وخيبر وحنين. توفي في المدينة (الأعلام: ٣: ١١٣).

(٢) عرّسنا: نزلنا في آخر الليل للاستراحة.

(٣) هنا بياض بالأصلين والتكملة من دلائل النبوة للبيهقي، وطبقات ابن سعد، وصحيح مسلم.

(٤) عُنقا: جماعة من الناس.

(٥) بشير بن سعد الأنصاري: (. . . ـ ١٢ هـ = . . . ـ ٦٣٣ م) بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس، الخزرجي الأنصاري، صحابي، شهد بدراً. كان يكتب بالعربية في الجاهلية، وهو أول من بايع أبا بكر الصديق من الأنصار قتل يوم «عين التمر» وكان مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة. (الأعلام: ٢: ٥٦).

بفدك، فخرج فلقي رِعاء الشاء، فسأل عن الناس فقيل: في نواديهم؛ فاستاق النَّعَم والشاء، وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركهم الدُّهْم[١] منهم عند الليل، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فَنيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المرّيّون عليهم فأصابوا أصحاب بشير، وقاتل بشير حتى ارتُثَّ[٢] وضرب كعبه، وقيل: قد مات. ورجعوا بنَعَمِهم وشائهم، وقدم عُلْبَة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ، ثم قدم بعده بشير بن سعد.

ذكر سريّة غالب بن عبد الله الليثيّ[٣] إلى المَيْفَعَة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة سبع من مُهاجَرِه إلى بني عُوال، وبني عبد بن ثعلبة، وهم بالميفَعة، وهي وراء بطن نخل إلى النَّقْرة قليلاً بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرُد.

بعثه في مائة وثلاثين رجلاً، ودليلهم يسار، مولى رسول الله ﷺ، فهجموا عليهم جميعاً، ووقعوا وسط محالّهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء فحدروه إلى المدينة، ولم يأسروا أحداً. وفي هذه السريّة قتل أُسامةُ بن زيد الرجلَ الذي قال: لا إلٰه إلا الله، وهو نَهِيك بن مِرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بَغيض، وقال ابن إسحاق: مِرداس بن نهيك؛ حليف لهم من الحُرقة من جُهينة. ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الأضبط الأشجعيّ، وأن رسول الله ﷺ وَدَاه. قال أسامة: أدركتُه أنا ورجل من الأنصار، فلمّا شَهَرنا عليه السلاحَ قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله؛ فلم نَنزع عنه حتى قتلناه. فلمّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخْبرناه خَبره؛ فقال: «يا أسامة، مَنْ لك بلا إلٰه إلا الله»؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما قالها تعوّذاً من القتل؛ قال: «فمن لك بها يا أسامة»؟ قال: فوالّذي بعثه بالحقّ إنه ما زال يردّدها عليّ حتّى لَوَدِدْتُ أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وكنتُ أسلمتُ يومئذٍ، وأنّي لم أقتلْه. قال: قلت: أَنظِرني يا رسول الله، إني أعاهد الله ألاّ أقتل رجلاً يقول: «لا إلٰه إلا الله» أبداً. قال: «يقول بعدي يا أسامة»، قلت: بعدك. وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأسامة حين قال: «يا رسول الله، إنما قالها تعوّذاً من القتل» «هلاّ شققت عن قلبه فتعلَمَ أصادقٌ هو أم كاذب»!.

---

(١) الدهم: العدد الكثير.

(٢) ارتُثَّ: صرع في الجنوب، وبه رمق.

(٣) غالب بن عبد الله: (... بعد ـ ٤٨ هـ = ... بعد ـ ٦٦٨ م) غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي: صحابي، من الولاة. شهد القادسية وقتل هرمز ملك الباب. (الأعلام: ٥: ١١٤).

ذكرُ سَرِيّة بَشير بنِ سعد الأنصاريّ إلى يمْن[١] وجبَار[٢]

كانت هذه السريّة في شوّال سنة سبع من مهاجِر رسول الله ﷺ. وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من غَطَفان بالجِناب[٣] قد واعدهم عُيَيْنة بن حِصْن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا بشيرَ بنَ سعد فعقَدَ له لواءً، وبعث معه ثلثمَائة رجل، فساروا حتى أتوا يَمْن وجَبار، وهو نحو الجِناب - والجِناب يعارض سَلاح[٤] وخيبرَ ووادي القُرَى - فدنَوا من القوم فأصابوا لهم نَعَماً كثيراً، وتفرّق الرِّعاء فحذّروا الجمع، فتفرقوا ولحقوا بعَلْياء بلادهم، وخرج بشيرُ بنُ سعد في أصحابه حتى أتى محالّهم فلم يجد فيها أحداً، فرجع بالنَّعَم، وأصاب منهم رجلين، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله ﷺ، فأسلما، فأرسلهما ﷺ.

ذكر سَرِيّة ابن أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ إلى بني سُلَيم

بعثه رسولُ الله ﷺ في ذي الحجّة سنة سبع من مُهاجَرِه في خمسين رجلاً إلى بني سُلَيم، وذلك بعد انصراف رسول الله ﷺ من مكة بعد عمرة القضاء، فخرج إليهم وتقدّمه عَيْنٌ[٥] لهم كان معه، فحذّرهم، فتجمّعوا، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعدّون له، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعَوتَنا إليه. فترامَوا ساعةً بالنَّبل، وجعلت الأمدادُ تأتي حتى أحدقوا بهم من كلّ ناحية، فقاتل القومُ قتالاً شديداً حتى قُتل عامّتُهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القَتْلى، ثم تحامل حتى بلغ رسولَ الله ﷺ، فقدموا المدينةَ في أوّل يوم من صَفر سنة ثمان من الهجرة.

ذكر سرية غالب بنِ عبد الله اللّيثِيّ إلى بني المُلَوح بالكَدِيد[٦]

كانت في صفر سنة ثمانٍ من مهاجَر رسول الله ﷺ. رُوِي عن جُنْدَب بن مَكِيث الجُهَنِيّ قال: بعث رسول الله ﷺ غالبَ بنَ عبد الله الليثيّ، ثم أحد بني كلب بن عوف في سريّة، فكنتُ فيهم، وأمرهم أن يشُنّوا الغارة على بني المُلوّح بالكَدِيد - وهم من بني ليث - قال: فخرجنا حتى إذا كنا بقُدَيد[٧] لقينَا الحارثُ بنُ البرصاء، فأخذناه.

---

(١) يمن: بفتح الياء، وقيل: بضمها، وقيل: بهمزة مفتوحة وسكون الميم. (الزرقاني: ٢: ٣٠٢).
(٢) جبار: ضبطه الزرقاني بفتح الجيم. وضبط في معجم البلدان بضمها.
(٣) الجناب: من أرض غطفان.
(٤) سلاح: موضع أسفل خيبر.
(٥) العين: الجاسوس.
(٦) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، ويوم الكديد من أيام العرب.
(٧) قُدَيد: بالتصغير، موضع بين مكة والمدينة.

فقال: إنما جئت أريد الإسلام. قلنا: إن تكن مسلماً لم يَضرُرْك رباطُنا يوماً وليلة. قال: فشددناه وَثاقاً، وخلّفنا عليه رُوَيْجِلاً[1] منّا أسودَ، وسِرْنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس، فكمِنّا في ناحية الوادي، وبعَثني أصحابي رَبيئَةً[2]، فخرجت حتى آتيَ تلاًّ مشرفاً على الحاضر[3]، فاستندتُ فيه، فعلوتُ في رأسه، فنظرتُ إلى الحاضر، فوالله إنّي لَمُنبَطِح على التلّ إذ خرج رجلٌ منهم من خِبائه، فقال لامرأته: إني لأرى على التلّ سواداً ما رأيته في أوّل يومي، فانظري إلى أوعِيَتِك، هل تَفقدِين منها شيئاً؟ لا تكون الكلاب جرّت بعضَها، قال: فنظرتْ، فقالت: لا واللّهِ ما أفقِد شيئاً. قال: فناوِليني قوسي وسَهمين. فناوَلَته، فأرسل سهماً فوالله ما أَخطأ جنْبي، فأنزِعه فأضعه، وثبتُّ مكاني، ثم أَرسل الآخرَ فوضعه في مَنكبي، فأنزِعه فأضعه، وثبتُّ مكاني، فقال لامرأته: لو كان ربيئةً لقد تحرّك ـ لقد خالطه سهمايَ لا أبا لَكِ! فإذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تَمضُغهما الكلاب؛ قال: ثمّ دخل، وأمهلناهم حتى اطمأنّوا وناموا ـ وكان وجه السَّحَر ـ شننَّا عليهم الغارة، واستُقنا النَّعَم، فخرج صريخُ القوم في قومهم، فجاء ما لا قِبَلَ لنا به، فخرجْنا بها نَحدُرها حتى مررنا بابن البرصاء فاحتملْناه، واحتملنا صاحبَنا، وأدرَكنا القومُ حتّى نظروا إلينا، ما بيننا وبينهم إلاّ الوادي ـ وادي قُدَيد ـ فأَرسل الله تعالى الواديَ بالسَّيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابةٍ نراها ولا مطر، فجاء بشيءٍ ليس لأحد به قوّة، ولا يقدر على أن يُجَاوِزَه. فلقد رأيتُهم وقوفاً ينظرون إليه، وإنّا لنسوق نعَمَهم ما يستطيع رجلٌ منهم أن يُجيزَ إلينا، ونحن نَحدُوها سِراعاً حتى فُتناهم، فلم يقدروا على طلبنا، قال: فقدمْنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: وكانوا بضعةَ عشرَ رجلاً، وكان شعارُهم يومئذٍ: أَمِتْ أَمِتْ!

ذكر سَرِيّة غالب بنِ عبد الله اللّيثي أيضاً إلى مُصَاب أصحاب بشير بن سعد بفَدَك

كانت في صفر سنةَ ثمانٍ من هجرة رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ قد هيّأ الزبيرَ بنَ العوّام رضي الله عنه، وقال له: «سِرْ حتى تنتَهي إلى مُصاب أصحابِ بَشير بنِ سعد، فإنْ أظفَرَك الله بهم فلا تبق فيهم»، وهيّأ معه مائتي رجل، وعقَدَ له لِواءً، فقدِم غالبُ بنُ عبد الله من الكَديد، وقد أظفره الله، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اجلس». وبَعث غالبَ بنَ عبد الله في مائتي رجل، فيهم أُسامةُ بنُ زيد، فسار حتى انتهى إلى مُصاب أصحاب بشير، فأصابوا نعماً، وقتلوا قَتْلَى.

---

(١) رويجلاً: تصغير رجل.

(٢) ربيئة: عيناً لهم.

(٣) الحاضر: الحي العظيم.

ذكر سريّة شُجاع بن وهب الأسديّ[١] إلى بني عامر بالسِّيِّ

بعثه رسولُ الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان من الهجرة في أربعة وعشرين رجلاً إلى جَمْع من هوازن بالسِّيّ[٢]، من ناحية رُكبة[٣]، مِن وراء المَعدِن[٤]، وهي من المدينة على خمس ليال، وأمَرَه أن يُغير عليهم، فسار حتى صبّحهم وهي غارُّون، فأصابوا نَعَماً كثيراً وشاءً، فاستاقوا ذلك حتى قدِموا المدينة، وغابت هذه السريّة خمس عشرةَ ليلةً.

ذكر سريّة كعب بنِ عُمَير الغفاريّ[٥] إلى ذات أَطْلاح

بعثه رسولُ الله ﷺ في شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ من الهجرة في خمسةَ عشر رجلاً، فساروا حتى انتَهوا إلى ذات أطلاح، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القُرى، فوجدوا جَمْعاً كثيراً من جمعهم، فدعَوْهم إلى الإسلام: فلم يستجيبوا لهم ورشَقُوهم بالنَّبْل، فلمّا رأى ذلك أصحابُ رسول الله ﷺ قاتَلوهم أشدَّ القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجلٌ جريحٌ، فأَتَى رسولَ الله ﷺ فأخبَرَه الخبر، فشَقّ ذلك عليه، وهَمّ بالبَعْث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع أُخَر، فتركهم.

ذكر سريّة مُؤْتة

ومؤتة بأدنى البَلْقاء بالقرب من الكَرَك[٦].

كانت هذه السريّة في جمادى الأولى سنةَ ثمانٍ من الهجرة، وسببُ بعثِ هذه السريّة أنّ رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمَير الأزديَّ إلى مَلِك بُصْرَى بكتاب، فلمّا نزل مُؤتة عرض له شُرَحبِيل بن عمرو الغسَّاني، فقتله، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيرُه، فاشتدّ ذلك عليه، وندب الناسَ فأسرعوا وعسكَروا بالجُرْف[٧]، وهم ثلاثة

---

(١) شجاع بن وهب الأسدي: (. . . ـ ١٢ هـ = . . . ـ ٦٣٣ م) شجاع بن وَهْب بن ربيعة الأسدي، من بني غنم: صحابي، شجاع من أمراء السرايا. قديم الإسلام. شهد المشاهد كلها. قتل شجاع يوم اليمامة. (الأعلام: ٣: ١٥٨).

(٢) السِّيّ: ماء بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة.

(٣) رُكْبَه: (بضم السكون ففتح): موضع بالطائف.

(٤) المَعدِن: يريد معدن بني سليم، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد.

(٥) كعب بن عمير: (. . . ـ ٨ هـ = . . . ـ ٦٢٩ م) كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة. بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية نحو «ذات أطلاح» في البلقاء، فقتل فيها. (الأعلام: ٥: ٢٢٨).

(٦) الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء.

(٧) الجُرْف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «أمير القوم زيدُ بنُ حارثة، فإن قُتل فجعفرُ بنُ أبي طالب، فإن قُتل فعبدُ الله بنُ رَواحة، فإن قُتل فلْيرتَضِ المسلمون بينهم رجلاً فيَجعلوه عليهم»، وعقَدَ لهم رسولُ الله ﷺ لواءَ أبيضَ وسلمه إلى زيد بنِ حارثة، وأوصاهم رسولُ الله ﷺ أن يأتوا مَقتلَ الحارث بن عُمَيْر، وأن يَدْعوا من هناك إلى الإسلام «فإن أجابوا وإلاّ فاستَعِينوا عليهم بالله وقاتلوهم»، وخرج رسول الله ﷺ مشيِّعاً لهم حتّى بلغ ثنيّة الوداع[1]، فوقف وودّعهم وانصرَفَ عنهم، فقال عبد الله بن رَوَاحة: [من الكامل]

خلَفَ السلامُ على امرىء ودَّعْته ... في النَّخْل خيرَ مُوَدِّع[2] وخليلِ

فلمّا ساروا من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردَّكم صالحين غانمين!. فقال ابن رواحة: [من البسيط]

لكنّني أسأل الرحمٰنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذف الزَّبَدَا[3]

في أبيات[4] أُخَر.

قال: فلمّا فَصَلوا[5] من المدينة سمع العدوّ بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شُرَحْبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدّم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون مَعان[6] من أرض الشام، وبلغ الناسَ أن هِرَقْل قد نزل مَآب[7] من أرض البلقاء في مائة ألف من بَهْراء ووَائل وبَكْر ولَخْم والقَيْن، عليهم رجل من بَليّ ثم أحد إراشة؛ يقال له: مالك بن زافلة[8]، فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فشجّعهم عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إنّ التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون؛ الشهادة، وما نقاتِل الناس بعددٍ ولا قوّة ولا كثرة، ما نقاتِلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرَمَنا الله به، فانطلِقوا فإنّما هي إحدى الحُسْنَيَيْن: إمّا ظهورٌ[9]، وإمّا

---

(١) ثنية الوداع: هي ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة. قيل في سبب تسميتها بذلك، إنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة.
(٢) في ابن هشام: ٤ : ١٦ : «مشيع».
(٣) ذات فرغ: أي واسعة، وأراد بالزبد هنا رغوة الدم؛ (الزرقاني ٢ : ٣٢٣).
(٤) الأبيات في ابن هشام ٤ : ١٥ ـ ١٦.
(٥) فصلوا: خرجوا.
(٦) معان: ضبطه الزرقاني بفتح الميم، وضبطه البكري، بضمها: حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة.
(٧) مآب: موضع بالشام.
(٨) زافلة: كذا ورد هذا الاسم بالزاي في الأصلين وابن هشام: ٤ : ٢٣، والذي في الزرقاني ٢ : ٣٢٣ «رافلة» بالراء المهملة.
(٩) الظهور: الغلبة.

شهادة. فقال الناس: قد والله صدق ابن رَواحة. قال: فمضى الناسُ حتّى إذا كانوا بتُخوم[١] البَلْقاء لقيتهم جموعُ هِرَقْل من الروم والعرب بقرية من قرى البَلْقاء يقال لها المشَارِف، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة[٢]، ووافاهم المشركون، فجاء مِنهم ما لا قِبَل لأحد به من العَدَد والسلاح والكُراع[٣] والدّيباج والحريرِ والذهب فعبّأ المسلمون، فجعلوا على مَيمنتهم رجلاً من بني عُذْرة يقال له: قُطْبة بنُ قَتادةَ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُبَايةُ بنُ مالك ـ ويقال: عُبادة ـ ثم التقوا واقتَتَلوا، فقاتل زيدُ بنُ حارثة رضي الله عنه برايةِ رسولِ الله ﷺ حتى قُتِلَ طَعْناً بالرماح، ثم أخذ الرايةَ جعفرُ بن أبي طالب، فنزل عن فرس له شَقْرَاء فعَرْقَبَها[٤]، فكانت أوّلَ فرس عُرْقِبتْ في الإسلام، وقاتَل حتى قُتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفَين فوُجد في أحد نصفيه بضعةٌ وثمانون جُرحاً، ووجدْنا فيما أقبل من بدنه اثنتين وسبعين ضربةً بسيف وطعنةً برمح.

وحَكَى أبو محمد عبدُ الملك بنُ هشام أنّ جعفر بنَ أبي طالب أخذ اللِّواء بيمينه فقُطِعتْ يده، فأَخَذَه بشماله فقُطعتْ، فاحتَضَنَه بعَضُدَيه، حتى قُتِل وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة، فأثابه اللّهُ تعالى بذلك جَناحَين في الجنّة يطير بهما حيث شاء.

وقال محمد بن إسحاق: كان جعفر يقاتل وهو يقول: [من الرجز]

يـا حـبّـذا الـجـنّـة واقـتـرابُـهـا ... طـيـبـةً وبـارِداً شَـرابُـهـا

والـرُّوم رُومٌ قـد دنـا عـذابُـهـا ... كـافـرة بـعـيـدة أنـسـابُـهـا

* عـلـيَّ إن لاقـيـتُـهـا ضِـرابُـهـا *

قال: ولمّا قُتل جعفر أَخذ عبدُ الله بن رُوَاحة الرّاية، ثم تقدّم بها وهو على فَرسه، فجعل يستنزل نفسه[٥]، ويتردّد بعض التردّد، ثم قال: [من الرجز]

أقـسـمْـتُ يـا نـفـس لـتَـنْـزِلـنَّـهْ ... لَـتَـنْـزِلِـنَّ أو لَـتُـكْـرِهَـنّـهْ

إنْ أجْـلَـبَ الـنـاسُ وشَـدُّوا الـرّنّـهْ ... مـا لِـي أراكِ تَـكـرَهـيـن الـجَـنّـهْ[٦]

---

(١) التخوم: الحدود الفاصلة بين أرض وأرض.

(٢) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان).

(٣) الكُراع: في الزرقاني: ٢: ٣٢٤: أن الكراع جماعة الخيل خاصة.

(٤) عرقبها: قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٥) يستنزل نفسه: أي يطلب نزولها عما أرادته وهمت به.

(٦) أجلب الناس: اختلطت أصواتهم وضجوا. الرنة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

قد طال ما قد كنتِ مطمئنّةْ هل أنتِ إلاّ نُطْفة في شَنّهْ[١]

وقال أيضاً رضي الله عنه: [من الرجز]

يا نفس إلاّ تُقتلي تموتِي هذا حمام الموتِ قد صَلِيت

وما تمنَّيت فقد أعطِيتِ إنْ تفعلي فِعلَهما هُدِيتِ

* وإنْ تَوَلَّيْتِ فقد شَقِيتِ *

يريد بقوله: «فِعلَهما» صاحبَيه زيداً وجعفراً؛ ثم نزل. فأتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ[٢] من لحم، فقال: شُدَّ بهذا صُلْبَك، فإنّك قد لقيتَ في أيّامك هذه ما لَقيت، فأخَذَه من يده فانتَهَس[٣] منه نَهْسَةً، ثم سمع الحَطْمة[٤] من ناحية الناس، فقال: وأنتَ في الدنيا، ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفَه وتقدّم، فقاتَل حتى قُتِل.

ثم أَخذ الراية ثابتُ بنُ أَرقم، وقال: يا معشر الناس[٥]، اصطلِحوا على رجل منكم؛ فقالوا: أنتَ؛ قال: ما أنا بفاعل. فاصطَلَحَ الناسُ على خالد بنِ الوليد، فلمّا أخذ الرايةَ دافَع القوم وحاشَى بهم[٦]، ثم انحاز وانحيز عنه، وانكشف، فكانت الهزيمة، فتبِعهم المشركون، فقُتل من قتِل من المسلمين، ورُفعت الأرضُ لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معتَرَك القوم، فلما أَخذ خالدُ بنُ الوليد اللواءَ قال رسول الله ﷺ: «الآن حَمِيَ الوَطِيس[٧]».

قال محمد بنُ إسحاق: ولمّا أصيب القومُ قال رسول الله ﷺ: «أَخَذَ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ فقاتَلَ بها حتى قُتِل شهيداً، ثم أخذَهَا جعفرٌ فقاتَلَ بها حتى قُتِل شهيداً»، ثم صَمَت حتى تغيّرت وجوهُ الأنصار، وظنّوا أنّه قد كان في عبد الله بن رَواحة بعض ما يكرهون؛ فقال: «ثم أَخذَها عبدُ الله بنُ رَواحة فقاتَلَ بها حتى قتِل شهيداً».

قال ابن إسحاق: وكان قُطبةُ بنُ قَتادة العُذْرِيّ[٨] حَمَل على مالكِ بنِ زافلة فقتَلَه

---

(١) النطفة: القليل من الماء الصافي. الشنة: القربة الخلق.

(٢) العرق: العظيم الذي عليه بعض اللحم.

(٣) انتهس: أخذ منه بفمه يسيراً.

(٤) الحَطْمة: زحام الناس، وحطم بعضهم بعضاً.

(٥) في الزرقاني: ٢: ٣٢٦ عن ابن إسحاق: «المسلمين».

(٦) حاشى بهم: انحاز بهم، من الحشى، وهي الناحية. وفي ابن هشام: ٢: ٢٥٨: «وخاشى بهم» من المخاشاة، وهي المحاجزة. من الخشية، لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم. وفي الزرقاني: ٢: ٣٢٧: «فحاش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه».

(٧) حمي الوطيس: حمي الضرب وجدّت الحرب واشتدت.

(٨) قطبة بن قتادة: (... - بعد ١٤ هـ = ... - بعد ٦٣٥ م) قُطْبَة بن قَتَادة بن جرير السدوسي الشيباني. أبو الحويصلة: شجاع، من القادة. أسلم بعد فتح مكة. (الأعلام: ٥: ٢٠٠).

وهو على المائة ألف التي اجتمعتْ من العرب، فقال في ذلك: [من المتقارب]

طعنتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإراش   برمحٍ مضى فيه ثمّ انحطَمْ[١]

ضَربتُ على جِيدهِ ضربةً   فمالَ كما مالَ غصنُ السَّلَمْ[٢]

قال: ولمّا سمع أهل المدينة بإقبال جيشِ مُؤتة تلقَّوْهم بالجُرْف، فجعل الناسُ يَحْثُون في وجوههم التراب ويقولون: يا فُرّار، فررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بفُرّار، ولكنّهم كُرّار إن شاء الله».

ذكر تسمية من استُشهد من المسلمين يومَ مُؤْتة

استُشهِد من قريشٍ ومَوالِيهم أربعةُ نفر، وهم: جعفر بنُ أبي طالب، وزيدُ بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ومسعودُ بنُ الأسود بنِ حارثة بن نضلة، ووهب بنُ سعد بن أبي سرْح، واستُشهِد من الأنصار: عبدُ الله بنُ رَواحة، وعبّادُ بنُ قيس، والحارث بنُ النعمان بن إساف، وسُراقةُ بنُ عمرو وأبو كُلَيب وجابر ابنا عَمرو بنِ زيد، وعَمرووعامر ابنا سعد بنِ الحارث بنِ عبّاد، رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر سرِيّة عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسِل[٣]

وهي وراءَ وادي القُرَى، وبينها وبين المدينة عشرةُ أيام، وكانت في جمَادى الآخرة سنة ثمانٍ من الهجرة. وسبب بَعْثِ هذه السريّة أنّ رسول الله ﷺ بلغه أنّ جمْعاً من قُضَاعةَ قد تجمّعوا يريدون أن يَدْنُوا إلى أطراف[٤] رسول الله ﷺ، فدعا عمرَو بن العاص فعَقَدَ له لواءَ أبيضَ، وجعل معه رايةَ سوداء، وبعَثَه في ثلاثمائة من سَراةِ[٥] المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً، وأمَرَه أن يستعين بمن يَمُرّ به من بلِيّ[٦] وعُذْرةَ وبَلْقَيْن، فسار الليل وكَمِنَ النهار، فلمّا قرُب من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً، فبعَثَ رافع بنَ مَكِيث الجُهنيّ إلى رسول الله ﷺ يستمدّه، فبعَث إليه أبا عُبيدةَ بنَ الجرّاح في مائتين، وعَقَد له لِواء، وبعَثَ معه سَراة المهاجِرين والأنصار، وفيهم أبو

---

(١) انحطم: انكسر.

(٢) الجيد: العنق. والسَّلَم: شجرة العضاة، الواحدة: سلمة.

(٣) بالنسبة لضبط هذه الكلمة راجع الزرقاني: ٢: ٣٣٢.

(٤) كذا في الأصلين وابن سعد: ٢: ٩٥ قسم أول، وفي عيون الأثر: ٢: ١٥٧ يريدون أن يدنو إلى أطراف المدينة.

(٥) سراة القوم: أصحاب الشرف فيهم.

(٦) لأن عمراً كان ذا رحم فيهم، فإن جدته لأبيه كانت بلويه، فأراد عليه السلام أن يتألفهم بعمرو.

بكر وعمر، وأمرَه أن يلحق بعَمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو؛ فأراد أبو عُبيدة أن يؤمّ الناسَ، فقال عمرو: إنما قدمتَ عليّ مَدَداً، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عُبيدة[١]، وسار حتى وطىء بلادَ بلِيّ، ودوّخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذْرَة وبَلْقَيْن، ولقيَ في آخر ذلك جَمْعاً، فحَمَل عليهم المسلمون، فهَرَبُوا في البلاد وتفرّقوا، ثم قَفَل وبعَثَ عوفَ بن مالك الأشجعيّ[٢] بريداً إلى رسول الله ﷺ؛ فأخبَرَه بقُفولهم وسلامتِهم وما كان في غَزاتهم.

ذكرُ سرِيّة أبي عُبيدة بنِ الجرّاح، وهي سريّة الخَبَط[٣]

بعَثَ رسولُ الله ﷺ أبا عُبيدة بنَ الجرّاح في شهر رجب سنة ثمانٍ من الهجرة في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عُمرُ بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى حيٍّ من جُهَيْنَةَ بالقَبَلِيّة مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمسُ ليالٍ، فأصابهم في الطريق جوعٌ شديد، فأكَلُوا الخَبَط، وابتاع قيسُ بنُ سعد جَزُوراً ونحَرَها لهم.

رُوي عن عُبادة بنِ الصامت قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيّةً إلى سِيف[٤] البحر، عليهم أبو عبيدة بنُ الجرّاح، وزوّدَهم جِراباً من تَمْر، فجعل يقوتهم إيّاه حتى صاروا إلى أن يعدّه لهم عدّا، ثم نفِد التمر حتى كان يعطِي كلّ رجل منهم كلّ يوم تمرة، فقَسمها يوماً بيننا، فنقصتْ تمرةٌ عن رجل، قال: فوجدنا فقدَها ذلك اليوم، فلمّا جَهَدنا[٥] الجوع أخرج الله لنا دابّةً من البحر فأَصَبنا من لَحمِها وَوَدَكِها[٦]، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمِنّا وابْتَلَلْنا[٧]، وأَخَذَ أميرُنا ضِلَعاً من أضلاعها فوضعه على طريقه، ثم أمر بأجسم بعيرٍ معنا فحمل عليه أجسم رجلٍ منّا، فخرج من تحتها وما مسّت رأسه، فلمّا قدِمْنا على رسول الله ﷺ أخبرْناه خَبَرها، وسألناه عمّا صنعنا في ذلك منْ أكلِنا إيّاها، فقال: «رِزْقٌ رزَقَكُموه الله».

قال ابن سعد: وانصرفوا ولم يلقوا كيداً.

---

(١) زاد في ابن سعد: ٢: ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله: «وكان عمرو يصلي بالناس».

(٢) عوف بن مالك: (. . . ـ ٧٣ هـ = . . . ـ ٦٩٢ م) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني: صحابي من الشجعان الرؤساء. أول مشاهده خيبر. وكان معه راية «أشجع» يوم الفتح. نزل حمص وسكن دمشق. (الأعلام: ٥: ٩٦).

(٣) الخَبَط: (بالتحريك) ورق العضاة، من الطلح ونحوه من الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر.

(٤) سيف البحر: ساحله.

(٥) جهدنا: أضعفنا.

(٦) الودك: (بالتحريك) الشحم.

(٧) ابتللنا: حسنت حالنا بعد الهزال، وأفقنا من ألم الجوع الذي كان أصابنا.

ذكْر سريّة أبي قتادةَ بن رِبْعيّ الأنصاريّ إلى خُضْرة وهي أرضُ مُحارِب بنجْد

قالوا: بَعَثه رسولُ الله ﷺ في شعبان سنة ثمانٍ من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غَطَفَان، وأمَرَه أن يشنّ عليهم الغارة، فسار الليلَ وكَمِن النهار، فهجَمَ على حاضِرٍ منهم عظيم، فأحاط به، فصرَخَ رجلٌ منهم: يا خُضْرة وقاتَلَ منهم رجال، فقَتلوا من أشرافهم[1]، واستاقوا النَّعَم، فكانت الإبلُ مائتي بعير، والغنمُ ألفَيْ شاة، وسَبوْا سَبْياً كثيراً، وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخُمس، وقسموا ما بقي على السريّة، فأصابَ كلَّ رجلٍ منهم اثنا عشَرَ بعيراً وعُدل البعيرُ بعشرٍ من الغنم، وصارت في سَهْم أبي قَتادةَ جاريةٌ وضيئةٌ، فاستوهَبَها منه رسولُ الله ﷺ، فوهَبَها له، فوهَبَها ﷺ لمَحْمِيَّة بن جَزْء. وغابوا في هذه السريّة خمسَ عشرةَ ليلةً.

ذكرُ سريّة أبي قتادةَ ربْعيّ الأنصاريِّ إلى بطن إضَم

كان هذه السريّة في أوّل شهر رمضانَ سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله ﷺ.

قالوا: لمّا هَمَّ رسولُ الله ﷺ بغَزْوِ أهلِ مكّة بعثَ أبا قتادة في ثمانية نفر سريّةً إلى بطن إضم ـ وهي فِيما بين ذي خُشُب وذي المَرْوة، وبينها وبين المدينة ثلاث بُرُد ـ ليظنَّ ظانٌّ أنّ رسول الله ﷺ توجّه إلى تلك الناحية، ولأنْ تَذهبَ بذلك الأخبار، وكان في السريّة محلِّم بنُ جَثّامة اللّيثيّ، فمرّ عامر بنُ الأضبط الأشجعيّ، فسلّم بتحيّة الإسلام، فأمسَكَ عنه القوم، وحمل عليه محلِّم بنُ جَثّامة فقتَلَه لشيء كان بينهما، وسلَبَه بعيرَه ومتاعَه، فلمّا لحقوا برسول الله ﷺ نزل فيهم من القرآن قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤] الآية. فمضَوا ولم يلْقَوْا جمعاً فانصرَفوا حتى انتهوْا إلى ذي خُشُب، فبَلَغهم أنّ رسول الله ﷺ قد توجّه إلى مكّة، فأخذوا على يَيْن[2] حتى لقوا النبيَّ ﷺ بالسُّقْيا.

ذكرُ غزوةِ رسولِ الله ﷺ عامَ الفَتْح والسببِ الّذي أوجبَ نقضَ العهد وفسْخَ الهُدْنة

كانت هذه الغَزْوة في شهر رمضانَ سنةَ ثمانٍ من مهاجَرِ رسولِ الله ﷺ، وعلى

---

(١) كذا في الأصلين. والذي في الزرقاني: ٢: ٣٤٠ وابن سعد: ٢: ٩٦: «فقتلوا من أشرف لهم» أي ظهر.

(٢) يَيْن: بفتح فسكون: ناحية من أعراض المدينة على بريد منها (معجم البلدان).

رأس اثنين وعشرين شهراً من صُلح الحُدَيْبية.

وسببُ ذلك أنّه لمّا دخل شعبانُ من هذه السنة كلّمتْ بنو نُفَاثة ـ وهم من بني بكر ـ أشرافَ قريش أن يعينوهم على خُزاعَة بالرّجال والسلاح، وكانت خزاعة قد دخلت في عَقد رسول الله ﷺ وعهدِه يومَ الحُدَيْبية، كما قدّمْنا ذكرَ ذلك. ودخلت بنو بكر في عَقْد قريش وعهدِها، قالوا: فلمّا سألوهم ذلك وَعَدوهم ووافَوْهم بالوَتِير[١] متنكِّرين متنقِّبين[٢]، فيهم صَفوان بنُ أميّة، وحُوَيْطب بنُ عبد العُزَّى، ومِكْرَز بنُ حَفص بنِ الأَخْيَف، فَبيّتُوا خُزاعة ليلاً، وهم غارّون[٣] آمنون، فقَتَلوا منهم عشرين رجلاً، ثم ندمتْ قريش على ما صنعتْ، وعلموا أن هذا نقضٌ للمُدّة والعهد الّذي بينهم وبين رسولِ الله ﷺ، وخرج عمرو بنُ سالم[٤] الخُزاعيّ في أربعين راكباً من خُزاعة، فقدِموا على رسول الله ﷺ يُخبرونَه بالّذي أصابهم ويستنصرونه.

قال ابن إسحاق: قدِم عمرو بن سالم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف ورسولُ الله ﷺ جالس في المسجد بين ظَهْراني الناس، فقال: [من الرجز]

يا ربِّ إنّي ناشِدٌ محمّدا ... حِلْفَ أبِينا وأبيهِ الأتْلَدَا[٥]

قد كنتُمُ وُلْداً وكنّا والِدا ... ثُمّتَ أَسْلَمْنا فلَم ننزِع يدَا[٦]

فانصرْ هداكَ اللّهُ نَصْراً أبدَا ... وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَدَا[٧]

فيهم رسولُ الله قد تَجرَّدا ... إن سِيمَ خَسْفاً وجهه تَرَبَّدا[٨]

في فَيْلَقٍ كالبحر يَجري مُزبِداً ... إن قريشاً أخلفوكَ الموعِدا[٩]

ونقَضوا ميثاقَك المؤكّدا ... وجَعلوا لي في كَداءٍ رُصَّدا[١٠]

وزَعَموا أنْ لستُ أدعو أحداً ... وهمْ أذَلُّ وأقَلُّ عَدَدَا

---

(١) الوتير: ماء قريب من مكة.

(٢) متنقبين: النقاب: غطاء الوجه.

(٣) غارون: غافلون.

(٤) عمرو بن سالم الخزاعي: عمرو بن سالم بن حضيرة بن سالم الخزاعي. كان أحد من يحمل ألوية خزاعة يوم الفتح. (الإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ١٧٤ رقم الترجمة ٦٨٤٢).

(٥) ناشد: طالب. والحِلف: المناصرة.

(٦) الوُلْد: لغة في الولد. وثمت: حرف عطف أدخل عليه تاء التأنيث.

(٧) نصراً أبداً: في ابن هشام: ٤: ٣٦ «أعتدا».

(٨) سيم خسفاً: شعر بالذل. تربد: تغير.

(٩) الفيلق: العسكر الكثير.

(١٠) رصد: جمع راصد. وهو الذي يرقب الشيء.

هـم بَـيَّـتُـونَـا بـالـوَتـيـرِ هُـجَّـدا وقَـتَّـلـونـا وكُـنَّـا سُـجَّـدا[١]

يقول: قُتلْنا وقد أسْلَمنا، ويُروَى بدل قوله: ❋ قد كنتُم وُلْداً وكنَّا والدا ❋

❋ نـحـن ولـدنـاك فـكـنـتَ وَلَـدَا ❋

قال: فقال رسول الله ﷺ: «نصرتَ يا عمرو بن سالم».

وَرَوَى محمد بنُ سعد في طبقاته، قال: فقام رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه ويقول: «لا نُصرتُ إن لم أنصرْ بني كعب مما أنصر منه نفسي». ثم عَرَضَ له سحاب، فقال: إنّ هذا السحاب لَيَسْتَهِل بنصر بني كعب.

قال محمد بنُ إسحاق: وقدِم بُدَيل بنُ وَرْقاء في نفر من خُزاعة على رسول الله ﷺ، فأخَبرَه بمن أصيب منهم وبمظاهرةِ قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجِعين إلى مكّة، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كأنّكم بأبي سُفْيان قد جاءكم ليَشُدّ العَقْد ويزيد في المدّة»، ومضى بُدَيل بنُ وَرْقاء وأصحابُه حتى لَقوا أبا سُفيان بن حرب بعَسْفَان[٢]، قد بعثَته قريشٌ إلى رسول الله ﷺ ليشُدّ العَقْد، ويزيد في المدّة، فقال له أبو سُفيان: مِن أين أقبلتَ يا بُدَيل؟ قال: تَسَيّرتُ[٣] في خُزاعةَ في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي؛ قال: أو ما جئتَ محمّداً؟ قال: لا، وفارَقَه، فقال أبو سُفيان: لئن كان بُدَيل جاء إلى يَثْربَ لقد عَلَفَ النّوى[٤] بها، فأَتَى مَبرَكَ راحلته، فأخذ من بَعْرها ففَتّه، فرأى فيه النوى، فقال: أَحلِفُ بالله لقد جاء بُدَيل محمّداً؛ ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على محمّد ﷺ، فدخل على ابنته أمّ حبيبة، وذهب ليجلس على فراش النبيّ ﷺ، فطوَتْه، فقال: يا بُنَيّة، ما أدري أرغِبتِ بي عن هذه الفراشِ، أم رغِبتِ به عنّي، قالت: بل هو فراشُ رسولِ الله ﷺ، وأنت رجلٌ مشرِك نجس، فلم أحبَّ أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ؛ فقال: والله لقد أصابَكِ بعدي يا بُنيّة شرّ، ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ، فكلّمه، فلم يردَّ عليه شيئاً، ثم ذهب إلى أبي بكر وكلّمه أن يُكلّم رسولَ الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل؛ ثم أتى عمرَ بنَ الخطّاب فكلّمه، فقال: أنا أشفعُ لكم إلى رسول الله ﷺ؟ فوالله لو لم أجد إلاّ الذّرّ لجاهدتُكم به؛ ثم دخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ، وعندها الحسنُ ابنها غلامٌ يَدِب بين يديها، فقال: يا عليّ إنّكَ أمسّ القومِ بي رَحِماً، وإني قد جئتُ في حاجةٍ فلا

(١) التهجد: التعبد ليلاً.
(٢) عسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان).
(٣) تسيرت: سرت.
(٤) النوى: بذور التمر.

أرجعَنّ[1] كما جئتُ خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سُفيان، والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتَفَتَ إلى فاطمة فقال: يا بنتَ محمّد، هل لكِ أن تأمري بُنَيّك هذا فيُجيرَ بين الناس فيكون سَيّدَ العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنَيَّ ذاك أن يُجير بين الناس، وما يجيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ؛ فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدّت عليّ، فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك، ولكنّك سيّد بني كنانة. فقم فأَجِرْ بين الناس، ثم الحقْ بأرضك، قال: أو ترى ذلك مُغنياً عنّي شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنّه، ولكن لا أجد لك غيرَ ذلك، فقام أبو سُفيان في المسجد فقال: أيّها الناس، إنّي قد أجَرْتُ بين الناس، ثم ركب بعيرَه وانطلقَ، فلما قدِم مكّة على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمتُه، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئتُ ابنَ أبي قُحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابنَ الخطّاب فوجدتُه أعدى العدوّ، ثم جئتُ علياً فوجدتُه ألْيَنَ القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعتُه، فوالله ما أدري هل يغني شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمَرَكَ؟ قال: أمَرَني أن أجير بين الناس، ففعلتُ، قالوا: فهل أجازَ ذلك محمّد؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك، والله إنْ زادَ الرجلُ على أن لعِب منك، فما يغني عنك ما فعلت، ثم تجهّز رسولُ الله ﷺ وأخفَى مَقصِده، ثم أعلمَ الناسَ أنه سائر إلى مكّة وأمَرهُم بالجدّ والتّهيؤ، وقال: «اللّهمّ خذ العُيون والأخبار عن قريشٍ حتى نَبْغَتها[2] في بلادها». والله المعين.

ذكرُ خبر حاطب بن أبي بَلتَعَة[3] في كتابه إلى أهل مكّة، وإعلام الله تعالى نبيّه ﷺ بذلك، وأخْذِه الكتاب، وما أنزلَ اللّهُ عزّ وجلّ في ذلك من القرآن

قال: ولمّا أجمع رسولُ الله ﷺ المسيرَ إلى مكّة كتب حاطب بنُ أبي بَلْتَعَة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمَع عليه رسولُ الله ﷺ في المسير إليهم، ثم أعطاه امرأةً يقال إنها من مُزَيْنة ـ وقيل: هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب ـ وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم فتلتْ عليه قرونها[4] وخرجتْ به، وأتى

---

(١) في كلا الأصلين: «فلأرجعن»؛ وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

(٢) نبغتها: نفاجئها.

(٣) حاطب بن أبي بلتعة: حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير. اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى. شهد بدراً. كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها. مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة (راجع: الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣٠٠ رقم الترجمة ١٥٣٨).

(٤) القرون: جمع قرن، وهو: الضفيرة.

رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صَنَع حاطب، فبعثَ عليَّ بنَ أبي طالب، والزبيرَ بن العوّام رضي الله عنهما، وقال: أَدرِكا امرأةً قد كَتب معها حاطبٌ كتاباً إلى قريش يحذّرهم ما قد أجمعْنا في أمرهم، فخَرَجا فأدرَكاها بالخَليقة، خَليقة بني أبي أحمد، فاستنزَلاها والتَمَسَا في رَحْلها فَلم يجدا شيئاً، فقال لها عليّ: أحلِف بالله لتُخْرِجنّ لنا هذا الكتاب أو لنفتّشَنّك، فقالت: أَعرِض عنّي، فأَعرَضَ، فحلّت قرونَ رأسِها فاستخرجت الكتابَ ودفعتْه إليه، فأتَيَا به رسولَ الله ﷺ، فدعا حاطباً فقال: «ما حَمَلك على هذا»؟ قال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيّرتُ وما بدّلتُ، ولكنّني امرؤٌ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، ولي بين أظهُرهم ولَدٌ وأهل، فصانعتُهم عليهم، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضربْ عنقَه، فإنّ الرجل قد نافَقَ، فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعلّ الله قد اطّلع على أصحاب بدرٍ يوم بدر، فقال: اعمِلوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم».

هذه رواية محمد بن إسحاق.

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمدُ بنُ محمد بن إبراهيم الثعلبيّ رحمه الله: إن المرأة سارةُ مولاةُ عمرو بن صيفيّ بن هاشم بن عبد مناف، وأنها أتت رسولَ الله ﷺ من مكّة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهّز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلِمة جئتِ»؟ قالت: لا، قال: «أمهاجِرةً جئتِ»؟ قالت: لا؛ قال: «فما حاجتُك»؟ قالت: كنتُ كثيرةَ العشيرة والأصل والمَوالي، وقد ذهبتْ مواليَّ، واحتجتُ حاجةً شديدة، فقدِمتُ عليكم لتُعطوني وتَكسوني وتَحملوني. قال لها: «فأين أنتِ من شباب أهلِ مكّة»، وكانت مغنّيةً نائحة، قالت: ما طُلب منّي شيء بعد وقعة بدر: فحثّ رسولُ الله ﷺ بني عبد المطّلب وبني المطّلب فكسَوْها وحملوها وأعطَوْها نفقةً؛ فأتاها حاطب بنُ أبي بلتعةَ حليفُ بني أَسَد بنِ عبد العُزَّى، فكَتب معها إلى أهل مكّة كتاباً، وأعطاها عشرةَ دنانير.

قال الثعلبيّ: هذه رواية زاذَانَ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: وقال مقاتلُ بنُ حيّان: أعطاها عشرة دراهمَ وكساها بُرْداً على أن توصِل الكتابَ إلى أهل مكّة، وكَتب في الكتاب: «من حاطب بن أبي بَلتَعَة إلى أهلِ مكّة، إن رسولَ الله يريدكم، فخذوا حِذْرَكم». فخرجتْ سارة، ونزل جبريل، فأَخْبَرَ النبيَّ ﷺ بما فعل حاطب، فبعَثَ رسولُ الله ﷺ عليّاً، وعمرَ، والزبيرَ، وطلحةَ وعَماراً، والمِقدادَ بنَ الأسودَ، وأبا مَرْثَد، وكانوا كلُّهم فُرساناً، وقال لهم: «انطلِقوا حتّى تأتوا روضةَ خاخ[1]

---

(١) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان).

فإنّ بها ظعينةً معها كتاب من حاطب بن أبي بَلْتَعَة إلى المشركين، فخذوه منها، وخلُّوا سبيلَها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقَها» فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الّذي قال رسولُ الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفتْ بالله ما معها كتاب، فبحَثوها، وفتّشوا متاعَها فلم يجدوا معها كتاباً، فهَمُّوا بالرجوع، فقال عليٌّ رضي الله عنه: والله ما كُذِبْنا ولا كَذَبْنَا، وسلَّ سيفَه، وقال لها: أخرجِي الكتابَ وإلاّ والله لأجرِّدَنّكِ، ولأضربنّ عنقكِ، فلمّا رأت الجدَّ أخرجتْه من دوائبها قد خَبَّأَتْه في شَعرها، فخلّوا سبيلَها، ولم يتعرضوا لما معها، ورجعوا بالكتاب إلى رسولِ الله ﷺ، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب»؟ قال: نعم، قال: «ما حمَلَك على ما صنعتَ»؟ فقال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلاّ وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلِي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله يُنزِل بهم بأسه، وأنّ كتابي لا يغني عنهم شيئاً؛ فصدّقه رسول الله ﷺ وعَذَره، فقام عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله: دعني أضربْ عنق هذا المنافق؛ فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهلِ بدرٍ يوم بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر».

وأنزل الله عزّ وجلّ في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾، قال: أي من مكّة لِأنَّ آمنتم بالله ربِّكم؛ قال: في الكلام تقديم وتأخير، ونظم الآية: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ قال: يثقفوكم يروكم ويظهروا[1]، ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي بالقتل، ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي بالشتم، ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يُناصحوكم ولا يُوادّونكم.

قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾ [الممتحنة: ٣] قال: معنى الآية: لا تدعُونَّكُمْ قراباتكم ولا أولادكم التي بمكة إلى خيانة رسولِ الله ﷺ والمؤمنين، وتركِ مناصحتهم وموالاةِ أعدائهم،

(١) كذا في الأصلين: والذي في القرطبي: «يثقفوكم: يظفروا بكم ويتمكنوا منكم».

ومظاهرتِهم، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التي عصيتم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيُدخل أهلَ طاعته والإيمانِ به الجنة، ويدخِل أهل معصيتِه والكفرِ به النارَ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] الآية. ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة: ٦] قال: قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ يعني في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء؛ قال: فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم من المشركين في الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، فعلم الله تعالى شدّة وجدِ المؤمنين بذلك، فأنزل: ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة: ٧]؛ قال: ففعل الله عزّ وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكّة، فصاروا للمؤمنين أولياءَ وإخواناً، وخالَطوهم وناكحوهم[1].

قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨] معناه: أن تعدِلوا فيهم بالإحسان والبرّ، واختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية، فقال ابن عباس: نزلت في خُزاعة، منهم هلال بنُ عُوَيمِر وخُزَيمة، وسُراقة بنُ مالك بنِ جُعْشَم، وبنو مُدْلج، وكانوا صالَحوا النبيّ ﷺ على ألاّ يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً.

وقال عبد الله بن الزّبير: نزلتْ في أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهم، وذلك أنّ أمّها قُتيلة بنت عبد العزّى بن عبد أسعدَ من بني مالك بنِ حسْل قَدِمتْ عليها المدينةَ بهدايا وهي مُشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هديّة، ولا تدخلي عليّ بيتي حتى أستأذن رسول الله ﷺ؛ فسألت لها عائشةُ رضي الله عنها رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية، فأمَرَها رسولُ الله ﷺ أن تُدخِلها منزلَها، وتقبل هديّتها، وتحسنَ إليها، وتكرمَها. وقال مرّة الهَمَذانيّ وعطيةَ العَوْفِيّ: نزلتْ في قوم من بني هاشم، منهم العباس. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٩] قال: وهم مشركو مكّة. فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح.

---

(١) ناكحوهم: تزاوجوا من بعضهم.

ذكر خروج رسولِ الله ﷺ من المدينة إلى مكّة، ومن جاءه في طرِيقه قبل دخول مكّة

قال: ولـمّا تهيّأ رسولُ الله ﷺ للغَزاة بعث إلى مَن حوله من العرب فجلَبهم، وهم أسلمَ، وغِفَار، ومُزَينة، وجُهَينة، وأَشجَع، وسُلَيم، فمنهم من وافاه بالمدينة، ومنهم من لحقه في الطريق، وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف، واستخلَف رسولُ الله ﷺ على المدينة عبدَ الله بن أمّ مكتوم؛ قاله محمد بن سعد.

وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد البيهقيّ: إستخلَف على المدينة أبا رُهْم كلثوم بن حُصَين بن عُتبة بن خلف الغِفاري، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الأربعاء لعشرِ ليالٍ خلون من شهر رمضان بعد العصر، فلمّا انتهى إلى الصلْصُل[١] قَدّم أمامه الزبير بن العوّام في مائةٍ من المسلمين، وصام رسول الله ﷺ وصام الناسُ حتّى إذا كان بالكَدِيد[٢] بين عُسْفان[٣] وأَمَجَ[٤] أفطر. ونادى مناديه: من أحبّ أن يُفْطِر فليفطر، ومن أحبّ أن يصوم فليصم.

قال ابن سعد: فلما كان رسول الله ﷺ بقُدَيد[٥] عقد الألْوِيَة والراياتِ ودفعَها إلى القبائل.

قال محمد بن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل مَرَّ الظَّهْران[٦] وهو في عشرة آلافٍ من المسلمين، فسبّعتْ[٧] سُلَيم، وبعضهم يقول: أَلَّفَتْ مُزَيْنة، وفي كلّ القبائل عدد وإسلام، وأوعب معه المهاجرون والأنصار. قال: ولما كان رسول الله ﷺ في بعض الطريق لقيَه عَمّه العباس بنُ عبد المطلب.

قال ابن هشام: لقيه بالجُحْفَة[٨] مهاجراً بعياله، وكان قبل ذلك بمكّة على سِقايته، وقد قدّمنا أنّه أسْلَم عند انصراف رسول الله ﷺ من غزوة بدر، قال: ولقيه أبو سفيان بن الحارث بنِ عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، لقِياه بِنِيقِ

(١) الصلصل: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها.
(٢) الكَدِيد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة.
(٣) عُسْفان: قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة.
(٤) أمج: بلد من أعراض المدينة.
(٥) قُدَيْد: (بالتصغير) موضع قرب مكة.
(٦) مرّ الظهران: موضع على مرحلة من مكة.
(٧) سبعت: أي كانت سبعمائة، وألفت: كانت ألفاً.
(٨) الجُحْفَة: موضع على أربع مراحل من مكة.

العُقَاب[١] بين مكة والمدينة، والتمسا الدخول عليه، وكلّمته أمّ سَلَمة رضي الله عنهما فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابنُ عمك، وابن عمتك وصهرُك. فقال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فَهَتك عِرْضي، وأما ابن عَمتي وصِهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال»، فلما خرج الخبر بذلك إليهما ومع أبي سفيان[٢] بُنَيّ له قال: والله لتأذننّ لي أو لآخذنّ بيدِ بُنيّ هذا، ثم لنذهبنّ في الأرض حتى نَموت عَطشاً وجوعاً؛ فلمّا بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رقّ لهما، ثم أذِن لهما فدخلا عليه، فأسلما، وأنشد أبو سفْيان بن الحارث يعتذر ممّا كان قد مضى مِن فعلِه فقال: [من الطويل]

لعمرك إنّي يوم أحملُ رايةً ... لِتغلبَ خَيْلُ اللاّت خيلَ محمدِ[٣]
لكالمُدْلِج الحَيْران أظلَمَ لَيلُه ... فهذا أواني حين أَهدَى وأهتدي[٤]
هداني هادٍ غيرُ نفسي ودلّني ... على الحقّ مَنْ طَرّدتُ كلّ مطرّدِ[٥]
أصدّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأُدعَى وإن لم أنتسبِ من محمدِ
همُ ما هُمُ من لم يقل بهواهُمُ ... وإن كان ذا رأي يُلَمْ ويَفَنّدِ[٦]
أريد لأُرضِيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوم ما لم أُهد في كلّ مقعدِ[٧]
فقل لثقيفٍ: لا أريد قتالَها ... وقل لثقيف تلك: غيريَ أوعِدِي
فما كانت في الجيش الذي نال عامراً ... وما كان عن جَرًا لساني ولا يدِي
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدةٍ ... نزائع جاءت من سَهام وسُردد[٨]

---

(١) نيق العقاب: موضع قرب الجحفة.

(٢) أبو سفيان بن الحارث: (. . . ـ ٢٠ هـ = . . . ـ ٦٤١ م) المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان، الهاشمي القرشي: أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخ رسول الله ﷺ من الرضاع كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي ﷺ الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة وهجاه وهجا أصحابه. أسلم وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة ثم وقعة حنين. له شعر كثير في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير في الإسلام هجاء بالمشركين مات بالمدينة وصلى عليه عمر. انظر (الأعلام: ٧: ٢٧٦).

(٣) اللات: من أصنام الجاهلية.

(٤) الإدلاج: السير ليلاً.

(٥) رواية هذا البيت كما في ابن هشام: ٤: ٤٣، والبداية: ٤: ٢٨٧:
هداني هادٍ غير نفسي ونالني ... مع الله من طردت كل مطرد

(٦) يفند: تنقض حججه.

(٧) لائط: ملصق.

(٨) النزائع: الغرباء: سهام وسردد: موضعان من أرض عك.

قال: ولمّا بلغ إنشاده قوله: «من طرّدت كل مطرّد» ضرب رسولُ الله ﷺ في صدره وقال: «أنت طرّدتني كل مطرّد».

قال: ولمّا نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْران نزلها عَشِيًّا، وأمر أصحابه فأَوقَدوا عشرة آلاف نار، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، فقال العباس بن عبد المطلب: واصَبَاحَ قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكّة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنّه لهَلاك قريشٍ إلى آخر الدهر.

قال العبّاس: فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها حتى جئت الأراك[١]، فقلت: لعليّ أجد بعض الحطّابة أو صاحبَ لَبَن، أو ذا حاجة يأتي مكّة، فيخبرهم بمكان رسولِ الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوة.

ذكر مجيء العبّاس بأبي سُفْيان بنِ حرب إلى رسول الله ﷺ، وإسلام أبي سفيان، وخبر الفتح

قال العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه: وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبُدَيل بن وَرْقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسّسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، فوالله إنّي لأسير على بغلةِ رسولِ الله ﷺ، التمس ما خرجتُ له، إذ سمعتُ كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان[٢]، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكراً، فيقول له بديل: هذه والله خزاعة قد حَمَسْتها[٣] الحرب، فيقول أبو سفيان: خُزاعة أَذَلّ وأقلّ أن تكون هذه نيرانُها وعسكرُها، قال العباس: فعرفتُ صوتَه، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: يا أبا الفضل، قلت: نعم، قال: ما لك فِداك أبي وأمّي! قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله في الناس، واصباحَ قريش واللّهِ! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمّي!، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقَك، فاركب في عَجُز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنَه لك، قال: فركب خَلْفي، ورجع صاحباه؛ قال: فجئتُ به، كلّما مررتُ بنار من نِيران المسلمين قالوا: مَن هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسولِ الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطّاب.

---

(١) الأراك: وادٍ قرب مكة.

(٢) يتراجعان: يتحادثان.

(٣) حمستها: اشتدت عليها.

قال ابن سعد: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمرَ تلك الليلة على الحَرَس؛ قال العبّاس: فقال عمر: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُز الدابّة قال: أبو سفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلةَ فسبقتُه، فاقتحمتُ عن البغلة، ودخلتُ على رسول الله ﷺ ودخل عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أُمكِن منه بغير عَقْد ولا عهد، فدعني أضْرب عنقَه. قال العبّاس، قلت: يا رسول الله، قد أجرته، ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلتُ: واْلله لا يناجيه الليلةَ رجلٌ دوني، فلمّا أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عديّ بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنّك قد عرفتَ أنّه من رجال بني عبد مناف؛ فقال عمر: مهلاً يا عبّاس، فوالله لإسلامك يومَ أسلمتَ كان أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أَسلَم، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسولُ الله ﷺ: «اذهب به يا عَبّاس إلى رَحْلِك، فإذا أصحبتَ فأتني به»؛ قال: فذهبتُ به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلمّا رآه رسولُ الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ[1] لك أن تعلم أنه لا إلٰه إلا الله»، قال: بأبِي أنت وأمّي! ما أحلَمك وأكرمَك وأوصَلَك، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إلٰه غيره، لقد أغنى شيئاً بعد؛ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله»؟ قال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمَا والله هذه فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً؛ فقال له العبّاس: ويحَك! أَسلِم واشْهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ قبل أن تُضْرب عنقُك؛ قال: فشهد شهادة الحقّ، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحبّ هذا الفخر، فاجعل له شيئاً. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»؛ فلمّا ذهب لينصرفَ قال رسول الله ﷺ: «يا عبّاس، احتبِسْه بمَضيق الوادي عند خَطْم الجبل[2] حتى تمرّ به جنود الله فيراها». قال: فخرجت به حتى حبستهُ حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه؛ قال: ومرّت القبائل على راياتها كلّما مرّت قبيلة قال: يا عبّاس، من هذه؟. فأقول: سُليم، فيقول: ما لي ولسُلَيْم، ثم تمرّ القبيلة، فيقول: من هذه؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى مرّت القبائل، فما تمرّ قبيلة إلاّ سألني عنها، فإذا أخبرتُه بهم، قال: ما لي ولبني فلان! حتى مرّ رسولُ الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار ـ وإنّما سمّيت بالخضراء

---

(١) ألم يئن: ألم يحن.

(٢) خطم الجبل: أنفه النادر منه.

لكثرة الحديد وظهورِه فيها ـ وهم لا يرى منهم إلا الحَدَق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عبّاس! من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء من قِبل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبحَ مُلكُ ابن أخيك الغَداة عظيماً، قلت: ويحك! إنها النبوّة قال: فنعم إذاً، ثم قلت: النَّجاءَ[١] إلى قومك، فسار حتى إذا جاءهم صَرَخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، فقامت إليه هندٌ بنتُ عتبة فأخذتْ بشاربه، فقالت: اُقتلُوا الْحَميتَ[٢] الدّسِمَ الأَحْمَسَ، قُبّح من طَليعة قوم! قال: ويلكم لا تغرّنّكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل داري فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنّا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرّق الناسُ إلى دُورهم وإلى المسجد. والله يؤيّد بنصره من يشاء.

ذكر دخول رسول الله ﷺ وأصحابه مكّة شرّفها الله تعالى صُلْحاً، ودخول خالد بن الوليد ومن معه من القبائل عَنوة

قال: ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى ذي طُوًى[٣]، وقف على راحلته مُعْتَجِراً[٤] بشُقّة بُرْد حِبْرة حمراء وإنه ليضع رأسَه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنّ عَثنونَه[٥] ليكاد يمسّ واسِطَ الرحل، ثم فرّق رسولُ الله ﷺ الجيش من ذي طُوًى، وكانت راية رسول الله ﷺ يومئذٍ مع سعد بن عُبادة رضي الله عنه، فأمر رسول الله ﷺ الزبيرَ بن العوّام، وكان على المجنَّبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كُدًى[٦]، وأمر سعدَ بنَ عُبادة أن يدخل ببعض الناس مِنْ كدَاء[٧]، فلمّا وجّه سعدٌ للدخول قال: اليومَ يومُ المَلْحَمَة، اليومَ تُستحلّ الحرمة، وفي رواية تُستحلّ الكعبة؛ فسمعها عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بنُ عُبادة، ما نأمن من أن يكون له في قريش صَوْلة، فقال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي

(١) النجاء: السرعة.
(٢) الحميت: في الأصل: زق السمن. الدسم: الكثير الودك. الأحمس: الذي لا خير عنده. من قولهم: عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر.
(٣) ذو طوى: موضع قرب مكة.
(٤) الاعتمار: التعمم بغير ذؤابة. الحبرة: ضرب من ثياب اليمن.
(٥) العثنون: اللحية (اللسان: عثن).
(٦) كُدَى: جبل بأسفل مكة.
(٧) كداء: جبل بأعلى مكة.

طالب: «أدرِكْه فخذ الرايةَ منه، فادخلْ أنت بها». حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: إنّ رسول الله ﷺ أخذ الراية من سعد ودفَعَها لابنه قيس بن سعد.

وذكر يحيى بنُ سعيد الأُمويّ[١] في السِّيَر: أن سعد بن عُبادة لمّا أخذ الراية مرّ على أبي سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه. اليوم يومُ المَلْحَمة، اليومُ تُستحلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، فأَقبلَ رسول الله ﷺ في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذَى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرتَ بقتل قومِك؟ فإنه زَعَم سعدٌ ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتِلُنا، وقال: اليوم يومُ المَلْحَمة، اليوم تُستحَلّ الحُرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً؛ وإني أَنشُدُك اللّهَ في قومك، فأنت أبرّ الناس وأوصلُهم وأرحمُهم.

وقال عثمان وعبد الرحمٰن بن عوف: يا رسول الله، والله ما نأمن سعداً أن تكون منه في قريش صَوْلة؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أبا سفيان، اليوم يومُ المَرْحَمَة، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً». وقال ضِرار بنُ الخطّاب الفِهْرِيّ يومئذٍ: [من الخفيف]

يا نبيَّ الهدى إليك لجا حَيّ ... قريش ولات حين لجاءِ[٢]

حين ضاقت عليهم سعةُ الأر ... ضِ وعاداهُم إلٰهُ السّماء

والتقت حَلْقَتَا البِطانِ على القو ... م ونُودوا بالصَّيْلَم الصَّلْعاءِ[٣]

إنّ سعداً يريد قاصمةَ الظهـ ... ـرِ بأهل الحَجُون والبَطْحاء

خَزْرَجِيّ لو يستطيع من الغيـ ... ـظ رمانا بالنَّسْر والعَوَّاءِ[٤]

وغِرُ الصّدر لا يهمّ بشيء ... غير سَفْك الدِّما وهَتك النساءِ[٥]

قد تلظّى على البِطاح وجاءت ... عنه هندٌ بالسَّوْءة السَّوآءِ[٦]

إذ ينادي بذلّ حيِّ قريشٍ ... وابن حرب بدا من الشّهداءِ

---

(١) يحيى بن سعيد: (... ـ ١٤٣ هـ = ... ـ ٧٦٠ م) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، أبو سعيد، قاضٍ من أكابر أهل الحديث، من أهل المدينة، توفي بالهاشمية راجع (الأعلام: ٨: ١٤٧).

(٢) لجا: مهموز، وتركه هنا للوزن.

(٣) التقت حلقتا البطان: مثلٌ في بلوغ الأمر. البطان: حزام يجعل تحت بطن البعير. الصَيلم: الداهية الشديدة.

(٤) النسر والعواء: كوكبان.

(٥) وَغِرُ الصدر: الحاقد المبغض.

(٦) السوءة السَّوآء: الفعلة الشنيعة.

فلئن أقحم اللواءَ نادَى ... يا حماةَ اللّواء أهل اللّواء
ثم ثابت إليه مَن بِهِم الخز ... رج والأوس أنجمَ الهيجاء
لتكونَنّ بالبطاح قريشٌ ... فقْعة القاع في أكفّ الإماءِ[1]
فانْهَيْنَهُ فإنّه أَسَدُ الأُسْـ ... ـدِ لدى الغاب والغٌ في الدماءِ[2]
إنّه مُطرِق يريد لنا الأمـ ... ـر سكوتاً كالحية الصمّاءِ[3]

قال: فأَرسل رسولُ الله ﷺ إلى سعد بن عُبادة فنزع اللواء من يده، وجعله بيد قيس ابنِه، ورأى رسولُ الله ﷺ أنّ اللواء لم يخرج عنه إذا صار إلى ابنه، وأبى سعد أن يُسلِّم اللواء إلاّ بأمارة[4] من رسول الله ﷺ، فأَرْسَلَ إليه رسولُ الله ﷺ بعمامته، فعرفَهَا سعد، فدفَعَ اللواءَ إلى ابنِه قيس.

قال: وأَمَرَ رسولُ الله ﷺ خالد بنَ الوليد، وكان على المُجنَّبة اليمنى، أن يدخل ببعض الناس من اللِّيط أسفل مكّة، وكان معه: أَسلَم، وسُلَيم وغِفار، ومُزينة، وجُهَينة، وقبائل من العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين ينصب لمكّة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر[5]، حتى نزل بأعلى مكّة، وضُربت له هناك قُبّة، ونَهى عن القتال، وعَبر أصحابُ رسولِ الله ﷺ من الأماكن التي أمرهم ﷺ أن يدخلوا منها، لم يَلْقَوا كيداً، إلاّ خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو جمعوا جَمْعاً من قريش، ووقفوا بالخندمة[6] ليقاتلوا خالد بن الوليد، ويمنعوه من الدخول، وشهروا السلاح ورَموا بالنّبل، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقُتل أربعة وعشرون رجلاً من قريش، وأربعة نفر من هُذيل، وانهزموا أقبح هزيمة، فلما ظهر رسول الله ﷺ على ثَنِيّة أذاخِرَ رأس البارقة[7] فقال: «ألم أَنْهَ عن القتال»؟ فقيل: يا رسول الله، إنّ خالدَ بن الوليدَ قوتل، فقاتَل؛ فقال: «قضاء الله خير»، وقتل من المسلمين رجلان كانا سَلَكا طريقاً غيرَ طريق خالد فقُتِلا، وهما كُرْز بن جابر الفِهْرِيّ، وحُبَيش بنُ خالد الخُزاعيّ. قاله محمد بنُ سعد.

---

(١) الفِقعة: ضرب من الكمأة، وهي البيضاء الرخوة، يشبه بها الرجل الذليل. وفقعة القاع: مثل يضرب في الذل لأن الفقعة أردأ القمأة.
(٢) والغ في الدماء: كثير سفك الدماء.
(٣) الحية الصماء: التي لا تنفع معها الرقية، وهي أخبث الحيات وأضرها.
(٤) إمارة: دليل.
(٥) أذاخر: ثنية بين مكة والمدينة «البكري: ١: ١٢٨».
(٦) الخندمة: جبل بمكة له يوم معروف.
(٧) البارقة: السيوف.

وقال ابن إسحاق: قتل من المشركين يومئذٍ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً. وقال: وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعِدّ سلاحاً ويُصلح منه قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمّد وأصحابه شيء؛ قال: والله إني لأرجو أن أخدِمَك بعضهم. ثم قال: [من الرجز]

إن يُقبلوا اليوم فما لي عِلّهْ ... هذا سلاحٌ كاملٌ وألّهْ[1]

* وذو غِرارَين سريعُ السَّلّهْ[2] *

ثم شهد يوم الخَنْدَمَة، فلما انهزَم القوم دخل على امرأته وقال: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين الذي كنت تقول؟ فقال: [من الرجز]

إنّك لو شَهِدتِ يوم الخَنْدَمَهْ ... إذ فرّ صفوانُ وفرّ عِكْرِمهْ

وأبو يزيدَ قائمٌ كالمُوتِمهْ ... واستقبلتْهم بالسيوف المسلِمهْ[3]

يَقطَعْن كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمهْ ... ضَرْباً فلا تَسمع إلا غَمْغمه[4]

لهمْ نهيتٌ خَلفَنا وهَمْهَمهْ ... لا تنطقي في اللّوم أدنى كلمه[5]

قال ابن هشام: ويروى للرّعاش الهُذَليّ.

وكان ممن فرّ يومئذٍ هُبَيرة بنُ أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج أمّ هانىء بنت أبي طالب أخت عليّ لأبويه، فأسلمتْ، وهرب هُبيرةُ إلى نجران، وقال معتذراً من فراره: [من الطويل]

لعمرُك ما ولّيت ظَهري محمّداً ... وأصحابَه جُبْناً ولا خيفةَ القتلِ

ولكنني قَلّبت أمري فلم أجد ... لسيفي غَناء إن ضَربتُ ولا نَبْلي

وقفت فلمّا خفت ضَيعة موقفي ... رجعتُ لعَوْدٍ كالهَزْبرِ إلى الشِّبل

قال ابن هشام: وكان شعار أصحابِ رسولِ الله ﷺ يوم فتح مكة وحُنين والطائف: شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمٰن، وشِعار الخَزْرج: يا بني عبد الله، وشِعار الأَوْس: يا بني عبيد الله، وكان الفتح يوم الجمعة لعشر بقِين من رمضان.

---

(١) الألة: جميع أداة الحرب.
(٢) ذو غرارين: ذو حدَّين.
(٣) المُؤتِمة: الثكلى.
(٤) الغمغمة: الأصوات غير المعروفة.
(٥) النهيت: زئير الأسد. الهمهمة: تردد الزئير في الصدر.

ذكرُ من أمر رسولُ الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكّة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر أصحابه بقتل ستّة نفر وأربع نسوة، وإن وُجِدوا تحت أستار الكعبة: وهم: عِكرمة بنُ أبي جهل، وهبّار بن الأسود، وعبد الله بنُ سعد بنِ أبي سَرْح، ومِقْيَس بنُ صُبابة الليثي، والحويرث بن نُقَيْذ بن وهب، وعبد الله بن هلال بن خَطَل الأدرميّ، وهند بنت عُتبة، وسارةُ مولاة عمرو بن هشام، وَفَرْتَنَى، وقُرَيْبة.

فأمّا عِكْرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن، وأسلمت امرأتهُ أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنتْ له رسول الله ﷺ، فأمّنه، فخرجتْ في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسولَ الله ﷺ فأسلَم وحسن إسلامه.

حَكى الزبير بنُ بكّار[1] قال: لما أسلم عكرمة قال: يا رسول الله، علّمني خيرَ شيء تَعلمه أقوله؛ فقال له النبي ﷺ: «شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، فقال عِكرمة: أنا أشهد بهذا، وأُشهد بذلك مَنْ حضرني، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي؛ فاستغفرَ له رسولُ الله ﷺ؛ فقال عكرمة: والله لا أدع نفقةً كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أنفقتُ ضِعفَها في سبيل الله، ولا قتالاً قاتلتُه إلاّ قاتلتُ ضِعفَه؛ ثم اجتهد في الجهاد والعبادة حتى استُشهِد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطّاب بالشام؛ وقيل: استُشهِد في آخر خلافة أبي بكْر، قيل: في يوم اليَرْموك. وقيل: في يوم مَرْج الصُفَّر[2]، وقيل: أَجْنادِين[3]. والله أعلم.

وأما عبد الله بنُ سعد بن أبي سَرْح، فإنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدّ ورجع إلى قريش، فلما كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وهو أخوه من الرضاعة، فغَيّبه حتى أَتَى به رسولَ الله ﷺ فاستأمَن له بعد أن اطمأنَّ الناس؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ صَمَت طويلاً، ثم قال: «نعم»؛ فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه: «لقد صَمَتُّ ليقوم إليه بعضُكم فيضربَ عنقَه»، فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أومأت إليّ يا رسول الله؟ فقال: «إن النبيّ لا يَقتل بالإشارة»، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك.

---

(١) الزبير بن بكار: (١٧٢ ـ ٢٥٦ هـ = ٧٨٨ ـ ٨٧٠ م) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله: عالم بأنساب وأخبار العرب راوية. ولد في المدينة وولي قضاء مكة فتوفي فيها. (الأعلام: ٣: ٤٢).

(٢) مرج الصفر: موضع بالشام كانت به وقعة للمسلمين مع الروم، وهو بالغرب من غوطة دمشق.

(٣) أجنادين: موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم.

وأمّا مِقْيَس بنُ صُبابة، فإن أخاه هشام بن صبابة كان قد صحب رسول الله ﷺ في غزوة بني المُصْطَلِق بالمُرَيْسيع، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأ، فقدم مِقْيَس هذا على رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وأظهر الإسلام، وقال: يا رسول الله، جئتُك مسلِماً، وجئتُك أطلب ديةَ أخي، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه، فأقام غيرَ كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتَلَه، ثم خرج إلى مكّة مرتدًّا، فنذَرَ رسول الله ﷺ قتلَه لذلك، فقتله نُمَيلة بنُ عبدِ الله؛ رجل من قومه.

وأما الحويرث بن نُقيذ فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنه كان يؤذي رسول الله ﷺ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بنتَيْ رسول الله ﷺ فاطمةَ وأمَّ كلثوم من مكّة يريد بهما المدينة، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض.

وأمّا عبدِ الله بن خَطَل، فأَمَرَ رسولُ الله ﷺ بقتله لأنّه كان مسلماً، فبعثه رسولُ الله ﷺ مُصدِّقاً[1]، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولًى له يخدمه وهو مسلم، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تَيْساً، فيصنع له طعاماً، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فقتله ثم ارتدّ، وكانت فَرْتَنَى وقُرينْة قَيْنَتَاه تُغَنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ، فقتل ابنَ خَطل سعيدُ بن حُريث المخزوميّ، وأبو برزة الأسلميّ، اشتَرَكَا في دمه، وقُتلتْ إحدى قَيْنَتيه وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمّنها.

وهند بنت عُتبَة أسلمتْ. ولما أخذ رسول الله ﷺ البيعة على النساء؛ ومن الشرط فيها إلاّ يسرفن ولا يزنين، قالت: وهل تزني الحرّة أو تسرق يا رسول الله؟ فلما قال: «ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغاراً، وقَتَّلتَهم ببدرٍ كباراً، أو نحو هذا من القول، وشكت إلى رسول الله ﷺ أنّ زوجها أبا سفيان شَحيح لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدَها، فقال: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيكِ أنتِ وولدك».

وأما سارة فاستُؤمن لها، فأمّنها رسولُ الله ﷺ.

وأما هبّار فإنه هرب فلم يوجد، ثم أسلم بعد الفتح وحَسُنَ إسلامه.

ذكر إسلام أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تَيم بن مرّة بن كعب[2]

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما

---

(١) مصدِّقاً: جامعاً للصدقات، وهي الزكاة.

(٢) أبو قحافة: (٨٣ ق هـ ١٤ هـ = ٥٤٢ ـ ٦٣٥ م) عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التميمي =

قالت: لما وقف رسول الله ﷺ على ذي طُوًى قال أبو قحافة لابنَة له من أصغر ولده: أي بُنيّة، اِظهرِي بي على جبل أبي قُبَيس ـ قالت: وكان قد كُف بصره ـ فأشرفَتْ به عليه فقال لها: أي بنيّة؛ ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل؛ قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً؛ قال: أي بُنَيْة، ذلك الوازع ـ يعني الذي يأمر الخيل ويتقدّم إليها ـ ثم قالت: قد والله انتشر السواد؛ فقال: قد والله إذاً دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي؛ قالت: فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته؛ قالت: وفي عنق الجارية طَوْق من وَرِق[1]، فتلقّاها رجل فاقتطعه من عنقها، فلما دخل رسول الله ﷺ إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركتَ الشيخَ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه»؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، قالت: فأسلم؛ قالت: فدخل به أبو بكر وكأنّ رأسَه ثَغامة[2]، فقال رسول الله ﷺ: «غيّروا هذا من شَعره»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلام طوقَ أختي؛ فلم يجبه أحد؛ قالت: فقال: أي أخيّة، اِحتسِبي طَوْقَك، فوالله إنّ الأمانة في الناس اليوم لقليل.

وأسلم عبد الله بنُ الزِّبَعْرى[3] عام الفتح وحسن إسلامه، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ أشدّ الأذى في الجاهلية، فأسلم واعتذر إلى رسول الله ﷺ، فقبل عذرَه، وكان شاعراً مجيداً، فقال يمدح رسول الله ﷺ: وله في مدحه أشعاراً كثيرة يَنسَخ بها ما قد مضى في كفره، منها قوله: [من الكامل]

مَـنَـع الـرقـادَ بـلابـلٌ وهـمـومُ ... والـلـيـل مُـعـتـلِـج الرِّواق بـهـيـمُ[4]

مـمّـا أتـانـي أنّ أحـمـدَ لامـنـي ... فـيـه فـبـت كـأنـنـي مـحـمـومُ

= القرشي، أبو قحافة: والد أبي بكر الصديق. كان من سادات قريش في الجاهلية. وأسلم يوم فتح مكة، وتوفي ولده أبو بكر قبله. (الأعلام: ٤: ٢٠٧).

(١) الورق: الفضة، وقيل: الذهب والفضة. (اللسان: ورق).

(٢) الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، يشبه بياض الشيب به.

(٣) عبد الله بن الزبعرى: (. . . ـ نحو ١٥ هـ = . . . ـ نحو ٦٣٦ م) عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي، أبو سعد، شاعر قريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة. فهرب إلى نجران. ثم عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ في: فأمر له بحلة. (الأعلام: ٤: ٨٧).

(٤) البلابل: الوساوس المختلطة، معتلج: مضطرب، يركب بعضه بعضاً. رواق الليل: مقدمه وجانبه. البهيم: الذي لا ضياء فيه.

يا خيرَ من حَملتْ على أوْصالها — عَيْرانةٌ سُرُح اليدين غَشُومُ[١]
إني لمعتذِرٌ إليك من الذي — أسديت إذ أنا في الضّلال مُقيمُ[٢]
أيام تأمرني بأَغْوى خُطّةِ — سَهمٌ وتأمرني بها مخزومُ[٣]
وأمدّ أسباب الردَى ويقودُني — أمرُ الغُواة، وأمرهمْ مَشْؤومُ
فاليوم آمنَ بالنبيّ محمّدٍ — قلبي ومُخطىءُ هذه محرومُ
مضت العداوة وانقضتْ أسبابُها — وأتَتْ أواصِرُ بيننا وحُلُومُ[٤]
فاغفر فدًى لك والدَيّ كلاهما — وارحم فإنك راحم مرحومُ
وعليك من سِمَة المليك علامةٌ — نورٌ أغرُّ وخَاتَمٌ مختومُ
أعطاك بعد محبّةٍ برهانَه — شَرَفاً وبرهانُ الإله عظيمُ

ذكر دخولِ رسولِ الله ﷺ المسجد، وطوافِه بالبيت ودخولِه الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال: ولما نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأنّ النّاس، خرج حتى جاء البيتَ، فطافَ به سَبعاً على راحلته يستلم الرّكن بمِحْجَن[٥] في يده، فلما قضى طوافَه دعا عثمان بن طلحة[٦] فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحتْ له، فدخلها، فوجد فيها حَمامةً من عيدانٍ، فكَسَرها بيده وطرَحَها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزابَ وحدَه ألا كلّ مأثرةٍ[٧] أو دم أو مالٍ يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين إلا سِدانة[٨] البيت وسِقاية الحاجّ؛ ألا وقتيل الخَطأ شبه العمْد بالسوط والعصا، ففيه الديةُ مغلّظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها

---

(١) العِيرانة: الناقة السريعة في نشاط. سرح اليدين: سريعتهما، غشوم: لا يثنيها عن مرادها شيء.
(٢) أسديت: ما صنعت من جميل.
(٣) أغوى خطة: أضل خطة.
(٤) الأواصر: العلاقات المتينة، علاقة القربى.
(٥) المحجن: العصا المعوجة (اللسان: حجن).
(٦) عثمان بن طلحة: (. . . ـ ٤٢ هـ = . . . ـ ٦٦٢ م) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي العبدري، من بني عبد الدار: صحابي. كان حاجب البيت الحرام. أسلم مع خالد بن الوليد في هدنة الحديبية وشهد فتح مكة. فدفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة. ثم سكن المدينة ومات بها، وقيل: بمكة. (الأعلام: ٤: ٢٠٧).
(٧) المأثرة: المكرمة المتوارثة.
(٨) سدانة البيت: خدمة البيت.

أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهليّة وتعظُّمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]؛ ثم قال: «يا مَعْشَرَ قُرِيش، ما ترون أنّي فاعل فيكم»؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: «اذهَبوا فأنتم الطُّلَقَاء»؛ ثم جلس رسولُ الله ﷺ في المسجد، فقام إليه عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه ومفتاحُ الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اِجمعْ لنا الحجابةَ مع السِّقاية؛ فقال: «أين عثمان بن طلحة»؟ فدُعِي له، فقال: «هاكِ مِفْتَاحُك يا عثمان، اليوم يوم برٍّ ووفاء»؛ حكاه محمد بن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: دفع إليه رسولُ الله ﷺ المفتاحَ وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة تالدةً[١] خالدةً، لا يَنزِعها منكم إلاّ ظالم»؛ ودفع السقاية إلى العبّاس بن عبد المطّلب.

قال عبد الملك بن هشام: حدّثني بعض أهل العِلم أنّ رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صُوَر الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيمَ عليه السلام مصوّراً في يده الأزلام[٢] يستقسِم بها، فقال: «قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسِم بالأزلام، ما شأن إبـراهـيـم والأزلام، ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾» ثم أمر بتلك الصور كلِّها فَطُمست.

قال: ودخل الكعبة ومعه بلال بن رَباح، فأمره أن يؤذّن، فأذّن وأبو سفيان بنُ حرب وعتّاب بنُ أَسِيد والحارث بنُ هشام جلوسٌ بِفناء الكعبة، فقال عتّاب بن أَسِيد: أكرم الله أَسِيداً ألاّ يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه؛ فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محِقّ لاتّبعته؛ فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرتْ عنّي هذه الحَصَى؛ فخَرج عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «قد علمتُ الذي قلتم»، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعَتّاب: نشهد أنك رسول الله ﷺ ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أَخبَرَك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إنّ رسول الله ﷺ دخل مكّة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرَّصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فما أشار ﷺ إلى صنم منها في وجهه إلاّ وقع لِقفاه، ولا لِقفاه إلاّ وقع لوجهه: حتى ما بقي منها صنم إلاّ وقع.

---

(١) تالدة: قديمة موروثة.

(٢) الأزلام: السهام التي كان يستقسم بها الجاهليون.

قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلثمائة وستُّون صنماً، وكان أعظمها هُبَل، وساق الحديث نحو ما تقدّم، فقال تميم بن أسد الخزاعي[١] في ذلك: [من الوافر]

وفي الأصنام معتبَر وعِلمٌ ... لمن يرجو الثوابَ أو العِقابا

قال: ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله ﷺ بعد الظهر فقال: «إن الله قد حرّم مكّة يوم خَلَق السمٰوات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، ولم تحلّ لي إلاّ ساعة من نهار، ثم رجعتْ لِحرمتِها بالأمس، فليبلَغ شاهدُكم غائبَكم، ولا يحلّ لنا من غنائمها شيء»، وأقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلةً يصلّي ركعتين ركعتين، وبثّ السرايا، ثم خرج إلى حُنين.

ذكر سَرِيّة خالد بن الوليد إلى العُزَّى[٢] وهَدْمِها

قالوا: بعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى العُزَّى ليَهدِمَها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليالٍ بَقِين من شهر رمضان سنة ثمانٍ، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوْا إليها فهدموها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيتَ شيئاً»؛ قال: لا، قال: «فإنّك لم تهدِمها، فارجع إليها فاهدِمْها»؛ فرجع خالد وهو متغيّظ، فجرّد سيفه، فخرجتْ إليه امرأة عُرْيانة سوداء ثائرة الرأس[٣] فجعل السادِن[٤] يصيح بها، فضربها خالد فجزَلها[٥] اثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره؛ فقال: «نعم، تلك العُزَّى، وقد يئستْ أن تُعبد ببلادكم أبداً»، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامِهم، وكان سَدَنَتَها بنو شَيْبَان من بني سُلَيم.

ذكر سريّة عمرو بن العاص إلى سُواع[٦] وكسرِه

بَعَثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان بعد الفتح أيضاً إلى سُواع، وهو صنم هُذيل ليهدمه؛ قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السّادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لِمَ؟ قال: تُمنَع؛ قلت: حتى الآن

---

(١) تميم بن أسد الخزاعي: تميم بن أسيد، وقيل بن أسد بن عبد العزى بن كعب بن عمرو الخزاعي. أسلم وصحب قبل فتح مكة. (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٨٣ رقم الترجمة ٨٣٤).

(٢) العُزّى: صنم كانت تعبده قريش (اللسان: عزز).

(٣) ثائرة الرأس: منتشرة شعر الرأس.

(٤) السادن: خادم الكعبة، وبيت الأصنام.

(٥) جزلها: قطعها.

(٦) سواع: راجع (اللسان: سواع).

أنت في الباطل وَيْحَك! وهل يَسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته، وأمرتُ أصحابي فهدموا بيت خِزانته فلم يجدوا فيه شيئاً؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سريّة سعد بنِ زيد الأشهليّ إلى منَاة[١]

بَعَثه رسولُ الله ﷺ في شهر رمضان أيضاً إلى منَاة ـ وكانت بالمشلَّل[٢] للأوس والخزرج وغسّانَ ـ ليهدمها، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هَدْم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالوَيْل وتَضرِب صدرَها؛ فقال السادن: مناة دونك بعضَ غضَباتك؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه، ولم يجدوا في خزانتها شيئاً، وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان.

ذكر سريّة خالد بن الوليد إلى بني جذَيمة بن عامر ابن عبد مناةَ بنِ كنانة، وهو يوم الغُمَيْصاء

قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هَدم العزّى، ورسولُ الله ﷺ مقيم بمكّة، بعثه في شوّال إلى بني جذَيمة بن عامر، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يَلَمْلَم؛ داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتِلاً، فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سُليم، فانتهى إليهم خالد بن الوليد، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صَلَّينا وصدّقْنا بمحمد، وبنيْنَا المساجد في ساحاتنا، وأذَّنَّا فيها؛ قال: فما بال السلاح عليكم؟ فقالوا: إن بَيْنَنَا وبين بعض العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هُم، فأخذنا السلاح؛ قال: فضعوا السلاح؛ قال: فوضعوه، فقال لهم: استأْسِروا، فاستأسَر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرّقهم في أصحابه، فلما كان في السَّحَر نادى خالد: من كان معه أسير فليُدافّه؛ أي فليُجهِز عليه بالسيف.

فأمّا بنو سُلَيم فقتلوا من كان بأيديهم، وأمّا المهاجِرون والأنصار فأرسلوا أساراهم، فبلغ النبيَّ ﷺ ما صنع خالد، فقال: «اللهم إني أبرأُ إليك مما صنع خالد»؛ وبعث عليّ بن أبي طالب فَوَدى[٣] لهم قَتْلاهم وما ذهب منهم.

---

(١) مناة: صنم كان لهُذيل وخزاعة بين مكة والمدينة. يعبدونه من دون الله.

(٢) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

(٣) ودى: دفع ديات القتلى.

وقد حكى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفَهانيّ[١]، خبرَ هذه السريّة في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بنِ كنانة، وخبر مقتلِه، وذَكَرَ خبرَه مع حُبَيْشة، فروى بسند رفعه إلى ابن دأب قال: كان من حديث عبد الله بنِ علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يَفَعَة[٢]: دون المحتَلِم، لتزور جارةً لها، وكانت لها بنت يقال لها: حُبيشة إحدى بنات عامر بن عبد مناة، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبتْه ووقعتْ في نفسه؛ فانصرف وترك أمّه عند جارتها، فبقيتْ عندها يومين، ثم أتاها لِيرجِعَها إلى منزله، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان في الحيّ، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمّه في غداةٍ تمطِر، فمشى معها وجعل يقول: [من الوافر]

فـمـا أدرِي بَـلـى إنّـي لأدري أَصَوْبُ القَطر أَحْسَنُ أم حُبَيشُ
حُبَيشة والذي خلق الهدايا وما إن عندها للصبِّ عيشُ[٣]

قال: فسمعتْ ذلك حبيشة، فتغافلت عنه، وكرهتْ قولَه، ثم مشى مَليًّا فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض، فقال: [من البسيط]

يا أمّتا خَبِّريني غيرَ كاذبةٍ وما يريد مَسُولُ الحقّ بالكذبِ
أأنت أحسنُ أم ظبيٌ برابيةٍ لا بل حُبيشة في عيني وفي أرَبي[٤]

قال: فزجرته أمّه، وقالت: ما أنت وهذا، أنا مزوِّجتك، بنتَ عمّك؟، فهي أجمل من تلك، وأتت امرأةَ عمِّه فأخبرتْها خَبره وقالت: زيّني ابنَتِك له، ففعلت وأدخلتْها عليه، فلما رآها أطرق، فقالت له أمّه: أيهما الآن أحسن؟ فقال: [من الطويل]

إذا غُيّبتْ عنّي حُبيشة مرّةً من الدهر لم أملِك عزاءً ولا صَبرَا
كأنّ الحشا حَرُّ السعير يَحُشُّه وقود الغضى فالقلب مضطرمٌ جَمرا[٥]

قال: وجعل يراسل الجارية وتراسله حتى علِقتْه كما علقها، وكثر قولُه الشعرَ فيها، فمن ذلك قولُه: [من الطويل]

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ - ٩٦٧ م) علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: من أئمة الأدب، والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه «الأغاني - ط» واحد وعشرون جزءاً. لم يعمل في بابه مثله. (الأعلام: ٤ : ٢٧٨) والخبر في الأغاني: ٧: ٢٨٠ دار الكتب.

(٢) يَفَعَة: في أول فتوته.

(٣) رواية الأغاني: «وما عن بعدها للصب عيش».

(٤) أربي: غايتي.

(٥) حش النار: أوقدها.

حُبيشة هل جدّي وجَدّك جامعٌ ... بشملكم شَملي وأهلِكُم أهلي[١]

وهل أنا ملتفّ بثوبك مرّةً ... بصحراءَ بين الأيْكَتَين إلى النّخل

ومرتشفٌ من ريق ثغرك مرّةً ... كراحٍ ومِسْكٍ خالَطَا عَسَلَ النّحل[٢]

فلما بلغ أهلَها خبرُه، حجبوها عنه مدّة، وهو يزيد غراماً بها، ويكثر قولَه الشعر فيها، فأتَوْها فقالوا لها: عِدِيه السّرحة[٣]، فإذا إتاكِ فقولي له: نَشدتك الله إن أحببتني فما على الأرض شيء أبغض إليّ منك، ونحن قريب نسمع ما تقولين؛ فواعدته، وجلسوا قريباً يسمعون، وجلست عند السرحة، وأقبل عبد الله لموعِدها، فلمّا دنا منها دمعتْ عينُها، والتفتت حيث أهلها جلوس، فعرف أنهم قريب، فرجع وبلغه ما أمروها به أن تقوله، فأنشأ يقول: [من الطويل]

فلو قلتِ ما قالوا لزِدْتِ جَوًى جوٍ ... على أنه لم يبق سِتر ولا صبرُ[٤]

ولم يك حبّي عن نوالٍ بذلته ... فيُسْلِيني عنكِ التجلّد والهجر

وما أنس مِ الأشياءِ لم أنس دمعَهَا ... ونظرتَها حتى يُغَيِّبَني القبر

قال: وبعث النبيّ ﷺ على أثر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بني عامر، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلاّ قاتلهم، فصَحَبَهم خالد بالغُميصاء وقد علموا به وخافوه، وكانوا قد قتلوا الفاكه بنَ الوليد وعمّه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية، فلمّا صبحهم خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشريد، وإخواته كُرْز وعَمرو والحارث، وكانوا قتلوهم في موطن واحد. فلما صبحهم خالد ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نُفوراً، فقال لهم خالد: أسلِموا، فقالوا: نحن مسلمون؛ قال: فألقوا سِلاحكم وأنزلوا، قالوا: لا والله؛ فقال لهم جِذْيَم بنُ الحارث أحد بني أَقْرم: يا قوم، لا تُلقُوا سِلاحَكم، فوالله ما بعد وضْع السلاحِ إلاّ القتل؛ قالوا: والله لا نُلقِي سِلاحنا ولا ننزل، فما نحن لك ولا لمن معك بآمنين؛ قال خالد: فلا أمان لكم؛ فنزلت فرقةٌ منهم فأَسروهم، وتفرّق بقيّة القوم فرقتين، فأَصعدتْ فرقة وسفلتْ أخرى.

قال ابن دأب: فأخبرني من لا أتّهم عن عبيد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ قال:

---

(١) الجد: الحظ.

(٢) الراح: الخمرة.

(٣) السرحة: نوع من الشجر الكبير. وقد يكون المقصود أن توافيه إلى هذا المكان الذي ينبت فيه هذا الشجر (اللسان ـ سرح).

(٤) الجوى: العشق، جوٍ: عاشق.

كنت يومئذ في جُند خالد، فبعثنا في إثر ظُعُنٍ[١] مُصْعدة يسوق بها فتية، فقال: أدركوا أولئك؛ فخرجنا في إثرهم حتى أدركناهم، فمَضوا، ووقف لنا غلام على الطريق، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول:

أَرْخِيــن أطـراف الـذُّيـول وارتَـعـنْ مـشـي حَـيِيّـات كـأن لـم يَـفـزعـنْ

* إن يُـمـنـع الـيـوم نـسـاء تُـمْـنَـعْـن *

فقاتلنا طويلاً، فقتلناه ومضينا، حتى لحقْنا الظّعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأوّل، فجعل يقاتِلْنا ويقول: [من الرجز]

أقْـسِـمُ مـا إنْ خـادِرٌ ذو لِـبْـدَهْ يَـرزِم بـيـن أَيـكـة وَوَهْـدَهْ[٢]

يَـفـرِس ثُـنـيـانَ الـرجـالِ وحـدَهْ بـأصـدقَ الـغـداةَ مـنّـي نَـجْـدَهْ[٣]

فقاتلناه حتى قتلناه، وأدركنا الظُّعُن، وإذا فيهن غلام وضيء به صُفْرة في لَوْنه كالمَنهوك[٤]، فربطناه بحبل، وقدّمناه لنقتله، فقال: هل لكم في خير؟ قلنا: ما هو؟ قال: تدركون بي الظعن أسفلَ الوادي ثم تقتلوني؛ قلنا: نفعل؛ فخرجنا حتى نعارض الظُّعُن بأسفل الوادي، فلمّا كان بحيث يسمعون الصوت، نادى بأعلى صوته: إسلَمي حُبَيش، عند فقد العيش؛ فأقبلتْ إليه جاريةٌ بيضاءُ حسناء؛ فقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشِدّة البلاء؛ قال: سلام عليكِ دهراً، وإن بقيت عصراً؛ فقالت: وأنتَ سلامٌ عليك عشراً، وشَفعاً، ووَتراً، وثلاثة تَترَى، فقال: [من الكامل]

إنْ يـقـتـلـونـي يـا حُـبـيـش فـلَـم يَـدَعْ هـواكِ لـهـم مِـنّـي سـوى غُـلّـة الـصـدرِ

فأنت الّتي أخليتِ لحميَ مِن دمِي وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري

فقالت له: [من الطويل]

ونـحـن بـكـيـنـا مـن فـراقِـك مـرَّةً وأخرى وآسيناكَ في العسرِ واليسرِ

وأنـت فـلا تَـبْـعَـدْ فـنِـعـم فتى الـهـوى جـمـيـلُ الـعَـفـاف والـمـودّةِ فـي سـتـر

فقال لها: [من الطويل]

أريـتـكِ إن طـالـبـتـكـم فـوجـدتـكـم بـحَـرّة أو أدركـتُـكـم بـالـخـوانِـق[٥]

---

(١) الظعن: الجمال التي تحمل النساء.
(٢) الخادر: الأسد. يرزم: يرقد، يجثم.
(٣) نجدة: مساعدة، دفاعاً.
(٤) المنهوك: المرهق.
(٥) الخوانق: موضع بتهامة.

ألـم يـك حـقّـا أن يُـنَـوَّل عـاشـقٌ ... تـكـلّـفَ إدلاجَ الـسُّـرى والـوَدائـق[١]

فقالت: بلى والله، فقال: [من الطويل]

فلا ذَنب لي قَد قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أثيبي بودّ قبل إحدى الصَّفائِق[٢]

أثيبي بودّ قبل أن تَشْحَطَ النّوى ... وَيَنْأى الخَليطُ بالحبيب المفارِق[٣]

قال ابن أبي حَدْرَد: فقدّمناه فضربْنا عنقَه، فاقتحمت الجارية من خِدْرها حتى أهوتْ نحوه، فالتقمتْ فاه، فنزعنا منها رأسَه، وإنها لتتبَّعُ نفسها حتى ماتت مكانَها، وأفلت من القوم غلام من بني أَقْرَم يقال له السَّمَيْدَع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع خالد وشكاه. قال ابن دَأب: فأخبرني صالح بنُ كيسان أن رسول الله ﷺ قال: «هل أنكر عليه أحد ما صنع»؟ قال: نعم، رجل أصفر رَبْعَة[٤]، ورجل طويل أحمر؛ فقال عمر رضي الله عنه: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأوّل فهو ابني، وأمّا الآخر فمولى أبي حُذيفة، وكان خالد قد أمر كلَّ من أَسَر أسيراً أن يقتلَه، فأطلَقَ عبدُ الله بن عمر وسالمٌ مولى أبي خذيفة أسيرَيْن كانا معهما، فبعث رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بعد فراغه من حُنَين، وبعث معه بإبلٍ وورِق، وأمره أن يدِيَهم، فودَاهم، ورجع إلى رسول الله ﷺ، فسأله، فقال: قدمتُ عليهم فقلتُ لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا بما أصيبَ منكم من القتلى والجَرْحَى، وتحلّلوا رسول الله ﷺ ممّا عَلِم وممّا لم يعلم؟ فقالوا: نعم، قال: فدفعتُه إليهم، وجعلت أَديهم[٥] حتى إنّي لأدي مِيلَغَ[٦] الكلْب. وفضلتْ فضلةٌ فدفعتُها إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أَقبِلوها»؟ قلت: نعم؛ قال: «فوالذي أنا عبدُه لذلك أحبّ إليّ من حُمر النَّعَم».

وروَى أبو الفرج أيضاً[٧] بسند رفعه إلى عمر بن شبة، قال: قالوا: يُروَى أن خالداً أتى النبيَّ ﷺ فسئِل عن غَزاته بني جذَيمة، فقال: إن أذِن رسولُ الله ﷺ تحدَّث، فقال: «تحدَّثْ»، فقال: لقيناهم بالغُمَيصاء بعد وجه الصبح، فقاتَلْناهم حتى كاد قَرْن الشمس يغيب، فَمَنَحنا الله عز وجل أكتافَهم، فاتبعناهم نطلبهم، فإذا غلام له ذوائبُ

---

(١) ادلاج السرى: السير ليلاً. الوداثق: جمع وديقة وهي شدة الحر في الظهيرة.
(٢) الصفائق: الخطوب، واحدتها: صفيقة.
(٣) الخليط: الجماعة المتحابون.
(٤) الربعة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير.
(٥) أديهم: ادفع الديات.
(٦) مِيلَغ: الإناء الذي يلغ فيه الكلب.
(٧) الأغاني ٧: ٨٩.

على فرس في أخريات الناس، فبوّأتُ[١] له الرمحَ فوضعتُه بين كتِفيه. فقال: لا إلٰه، فقبضتُ الرمحَ، فقالَ: إلاّ الّلات أحسنتْ أو أساءتْ، فهشمته[٢] هشمةً أرديتُه بها، ثم أخذته أسيراً، فشددته وَثاقاً، ثم كلّمته فلم يكلّمني،د واستخبرتُه فلم يخبرني؛ فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بني جَذيمة يسوق بهنّ المسلمون، فقال: يا خالد، فقلت: ما تشاء؟ فقال: هل أنت واقفي[٣] على هذه النسوة؟ فأَبيتُ، فآلى[٤] عليّ أصحابي، ففعلت، وفيهنّ جارية تدعى حُبَيشة، فقال لها: ناوليني يدك، فناوَلَتْه يدَها في ثوبها، فقال: اِسلَمي حُبيش، قبل نفاد العيش. فقالت: حُيّيتَ عَشْراً، وتسعاً تَتْرَى، وثمانياً أخرى، فقال: [من الطويل]

أريتكِ إذ طالبتكم فوجدتكمْ ... بِنَخْلَةَ أو أدركتكمْ بالخوانِق[٥]

ألم يك حقًّا أن ينوَّلَ عاشقٌ ... تكلَّفَ إدلاجَ السُّرَى والوَدائق

فقالت: بلى، فقال: [من الطويل]

فقد قلت إذ أهلي وأهلك جيرةٌ ... أثيبي بوُدّ قبل إحدى الصَّفائقِ

أثيبي بودّ قبل أن تَشحَطَ النوى ... وينأى الأميرُ الحبيب المُفارق

فإنيَ لا ضَيّعتُ سرَّ أمانةٍ ... ولا راق عيني بعد عينك رائقُ[٦]

قال خالد: فغاظني ما رأيت من غَزَله وشعرِه في حاله تلك، فقدّمته فضربت عنقَه، فأقبلت الجارية تسعى حتى أخذت برأسه فوضعتْه في حجرها، وجعلت ترشُفُه وتقول: [من الطويل]

لا تَبعدَنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً ... ولا يبعدنَّ المدح مثلك من مِثلي

ولا تبعدنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً ... فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفِعْل

فمن لِطراد الخيل تُشْجَر بالقَنَا ... وللنّحر يوماً عند قَرقرة البُزْل[٧]

فما زالت تبكي وتردّد هذه الأبيات حتى ماتت، وإنّ رأسه لفي حجرها، فقال

---

(١) بَوّأ له الرمح: سدده.
(٢) هشمته: جذبته.
(٣) واقفي: تجعلني أطلع وأتأكد.
(٤) آلى عليَّ أصحابي: حلفوا.
(٥) نخلة: هي نخلة اليمانية.
(٦) في هذا البيت إقواء.
(٧) تشجر: تطعن. البزل: جمع بازل وهو البعير في السنة التاسعة. القرقرة: دعاء الإبل، وهي أيضاً هدير الفحل.

رسول الله ﷺ: «لقد وُقِفتَ لي يا خالد وإن سبعين مَلكاً لمطيفون بك يحضّونك على قتل عمرو حتى قتلته». والله أعلم.

ذكر غزوة حُنين، وهي إلى هوازنَ وثَقيف

غزاها رسول الله ﷺ في شوّال سنة ثمان من مُهاجَرِه. وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكّة، مشت أشراف هوَازِنَ وثَقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وأوعبوا[١] وبَغَوْا، وجمع أمرَهم مالكُ بن عوف النَّضْري، وهو يومئذٍ ابن ثلاثين سنة، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأَوْطاس[٢]، وجعلت الأمدادُ تأتيهم.

قال محمد بن إسحاق: اجتمع إليه مع هوازنَ ثقيفٌ كلُّها، ونصر، وجُشَم كلها، وسعد بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قال: ولم يشهدها من قيس عيلان إلاّ هؤلاء، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم؛ قال: وفي بني جُشَم دريد بن الصِّمّة، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التَيَمُّن برأيه ومعرفته بالحرب. قال: وفي ثقيف سيّدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتّب، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيع بن الحارث بن مالك، وأخوه[٣].

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: كان على ثقيف كنانة ابن عبد يا ليل بن عمرو بن عُمَير الثقفيّ. قال: وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف.

قال ابن إسحاق: وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف، قال: ولما نزل مالك بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيد بن الصِّمَّة الصِّمَّة: معاوية الأصغر بن بكر بن عَلَقة، وقيل: علقمة بن خُزاعة بن غَزيّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن، في شِجار له يقاد به - والشّجار الهودج - فلما نزل دريد قال: بأيّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نِعْم مجالُ الخيل، لا حَزْن ضِرْس، ولا سَهْل دَهْس[٤]، ثم قال: ما لي أسمعُ رغاء البعير، ونُهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار[٥] الشاء؟ قالوا: ساقَ مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا

---

(١) أوعبوا: لم يدعوا شيئاً.
(٢) أوطاس: وادٍ في بلاد هوازن.
(٣) في ابن هشام: ٤: ٨٠: «وأخوه أحمر بن الحارث».
(٤) الحزن: ما غلظ من الأرض. الضرس: الصعب من الحجارة. الدهس: المكان السهل.
(٥) يُعار الشاء: صوتها.

مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كان له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فَأَنْقَضَ به، - أي صاح - ثم قال: راعي ضأنٍ والله! وهل يردّ المنهزمَ شيء! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحَدُّ والجدُّ؛ ولو كان يومَ علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولودِدتُ أنكم فعلتم كمَا فَعلت، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال ذانِكَ الجَذَعان من عامر[١] لا ينفعان ولا يضرّان، يا مالك: إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة[٢] هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، إدفعهم إلى متمنع بلادهم، وعُلْيَا قومهم، ثم الْقَ الصُّبّاء[٣] على مُتون الخيل، فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك، قد أحرزت أهلكَ ومالَكَ، قال: لا والله، لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلُك، والله لتطيعُنّني يا معشر هوازن أو لأتّكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصِّمَّة فيها ذكر ورأي، قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتني: [من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيها جَذَعْ أَخُبّ فيها وأَضَعْ[٤]
أقودُ وُطْفاء الزَّمَعْ كأنها شاة صدعْ[٥]

ثم قال مالك بن عوف للناس: إذا رأيتموهم فاكسِروا جفون سيوفِكم، ثم شدوا شَدّة رجلٍ واحد؛ قال: وبعث مالك بن عوف عُيوناً من رجاله فأتوْه وقد تفرّقت أوصالهم من الرّعْب، فقال: وَيْلكم! ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بِيضاً، على خَيلٍ بُلْق، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابنا ما ترى، فلم يردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

---

(١) الجَذَع: الشاب الحدث.
(٢) بيضة هوازن: أصلهم ومجتمعهم.
(٣) في الأصلين: «الظبا» تحريف. والصبا، في الأصل: جمع صابىء، وهو من خرج من دين إلى دين. وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا. وفي اللسان في حديث هوازن: «والف الصُبَّى» (بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة) أي الذين يشتهون الحرب، ويميلون إليها.
(٤) الخب والوضع: ضربان من السير.
(٥) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزمع: الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، والمراد بالشاة: الوعل. صدع: أي وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير (الخشني).

قال ابن إسحاق: ولما سمع رسول الله ﷺ بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حَدْرد الأسلميّ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمهم، ثم يأتيه بخبرهم، ففعل؛ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى هوازنِ لِقتالِهم، وذكِر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذٍ مشرك فقال: «أعرنا سِلاحك نَلْقَ به عدوّنا»؛ فقال: أغصْباً يا محمد؟ فقال: «بل عاريّة[1] مضمونة حتى نؤدّيها إليك»؛ قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة دِرع بما يكفيها من السلاح، ثم خرج رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لستّ ليال خلون من شوّال في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة.

قال الثعلبيّ: قال مقاتِل: كانوا أحد عشرة ألفاً وخمسمائة.

وقال الكلبيّ: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذٍ أكثر ما كانوا قطّ، فقال رسول الله ﷺ: «لن نُغلب اليومَ مِن قِلّة»، حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: قال ذلك أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، قال الثعلبيّ: ويقال: بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له: سلمة بن سلامة.

قال ابن سعد: وخرج مع رسول الله ﷺ ناس من المشركين كثير، منهم صفوان ابن أمية.

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب سِدْرة[2] عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة يعلّقون أسلحَتهم عليها، ويذبحون عندها ويعكُفون عليها يوماً؛ قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرة خضراءَ عظيمة، فتنادينا من جَنَبات الطريق: يا رسول الله، اِجعلْ لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال: «الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] إنها السُّنَن، لتركبن سَنَنَ، من كان قبلكم»، قالوا: وانتهى رسول الله ﷺ إلى حُنَينٍ مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوّال، فلما كان من الليل عَمَد مالكُ بنُ عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله ﷺ وأصحابه حَملةً واحدة، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه في السّحَر، وصفّهم صُفوفاً، ووضع الألوية

---

(١) عارية: مستعارة.
(٢) السدرة: شجرة النبق.

والرايات في أهلها مع المهاجرين: لواء يحمله عليّ بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقّاص، وراية يحملها عمر بن الخطّاب، ولواء الخزرج يحمله حُباب بن المنذرِ ـ ويقال: سعد بن عبادة ـ ولواء الأوس مع أُسيد بن حُضَير، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مسمًّى، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات يحملها قوم منهم مسمَّوْن، وكان رسول الله ﷺ قد قدم سُلَيْماً من يوم خرج من مكة، واستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدّمة حتى قدِم الجِعِرَّانة، قال: وانحدر رسول الله ﷺ في وادي حنين على تعبئته، وركب بغلته البيضاء «دُلْدُل»، ولبس دِرعين والمِغْفَر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن شيء لم يَرَوْا مِثْله قطّ من السواد والكثرة، وذلك في غَبَش[1] الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وسعتِه، فحملوا حملة، وانكشفت الخيل خيل بني سليم مولّية، وتبعهم الناس منهزمين، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله، وثبت معه يومئذٍ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعليّ بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أمّ أيمن بن عبيد في أناسٍ من أهل بيته وأصحابه.

قال الكلبيّ: كان حول رسول الله ﷺ يومئذٍ ثلثمائة من المسلمين، وانهزم سائر الناس عنه، وجعل رسول الله ﷺ يقول للعباس: نادِ، يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة[2]، يا أصحاب سورة البقرة، فنادى ـ وكان صيّتاً[3] ـ فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حَنَتْ على أولادها يقولون: يا لبّيك يا لبّيْك! فحملوا على المشركِين، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: «الآن حَمِيَ الوَطِيس[4]»: [من مجزوء الرجز]

أنا النبيُّ لا كَذِبْ   أنا ابنُ عبد المطّلبْ

ثم قال للعباس بن عبد المطلب: ناولني حَصَيات، فناوله حصيات من الأرض، ثم قال: «شاهت الوجوه» ورمى بها وجوه المشركين، وقال: «انهزموا وربِّ الكعبة»، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وانهزموا لا يَلوِي أحد منهم على أحد.

قال محمد بن إسحاق: لما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من

---

(١) غبش الصبح: ظلمة آخر الليل، وفي ابن هشام: «عماية الصبح».
(٢) السَّمُرة: شجرة الطلح، وهي التي كان عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.
(٣) صَيِّتاً: قوي الصوت.
(٤) الوطيس: التنور يخبز فيه. وقيل: هو حجارة توقد العرب تحتها النار ويشوون فيها اللحم.

جُفاة مكّة الهزيمة، تكلّم رجال بما في أنفسهم من الضّغْن[١]، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وأن الأزلام[٢] لمعه في كنانته، وصرخ جَبَلَة بن الحَنْبَل وهو مع أخيه صفوان بن أمية: ألا بَطَل السّحْرُ اليوم! فقال له صفوان: أُسكت فَضّ الله فاك! فوالله لأن يَرُبّني[٣] رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يَرُبّني رجل من هوازن؛ وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة[٤]: اليوم أُدرِك ثأري من محمد ـ وكان أبوه قتل يوم أُحُد ـ اليوم أقتل محمداً. قال: فبادرت لأقتله، فأقبل شيء حتى غَشّى فؤادي، فلم أُطق ذلك، فعلمت أنه ممنوع منّي.

وفي رواية أخرى، قال شيبة بن عثمان: استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنينٍ وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، وعثمان بن طلحة، فأطلعَ الله رسولَه عليّ ما في نفسي، فالتفتَ إليّ وضرب في صدري وقال: «أعيذك بالله يا شَيبة»، فأُرعدتْ فرائصي، فنظرت إليه وهو أحبّ إليّ مِن سمعي وبصري فقلت: أشهد أنك رسول الله ﷺ، وأنّ الله أطلعك على ما في نفسي.

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العبّاس قال: إني لمع رسول الله ﷺ آخِذٌ بحَكَمةِ[٥] بغلتِه البيضاء وقد شَجرتها[٦] بها، وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت، ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس»، فلم أر الناس يَلْوُون على شيء، فقال: «يا عباس، اصرخ، يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السَّمُرة» قال: فأجابوا لبّيك لبّيك، قال: فيذهب الرجل لِيثني بعيره فلا يقدِر على ذلك، ويأخذ دِرعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله، فيؤمّ الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا؛ فأشرف رسولُ الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مُجتلد[٧] القوم، فقال: «الآن حَمِيَ الوَطِيس».

---

(١) الضّغن: الحقد.

(٢) الأزلام: السهام التي يستقسم العرب بها.

(٣) يربني: يكون رباً لي، أي مالكاً علي.

(٤) شيبة بن عثمان: (. . . ـ ٥٩ هـ = . . . ـ ٦٧٩ م) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، من بني عبد الدار: صحابي من أهل مكة. أسلم يوم الفتح. وكان حاجب الكعبة في الجاهلية. ورث حجابتها عن آبائه، وأقره النبي ﷺ على ذلك، ولا يزال بنوه حجابها إلى اليوم. (الأعلام: ٣: ١٨١).

(٥) الحَكَمَة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه.

(٦) شجرتها بها: أي وضعتها في شجرها، وهو مجتمع اللحيين.

(٧) مجتلد القوم: مكان جلادهم بالسيوف.

قال جابرُ بن عبد الله: فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناسِ من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتّفين عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ فرأى أمّ سليم ابنة مِلْحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببُرد لها، وإنها لحامِل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جَمَل أبي طلحة، فقال رسول الله ﷺ: «أمّ سليم»؟ قالت: نعم، بأبي وأمّي يا رسول الله! أُقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ «أو يكفي الله يا أمّ سليم»؟ قال: ومعها خِنْجَر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أمَّ سُلَيم؟ قالت: خنجرٌ أخذتُه إن دنا منّي أحد من المشركين بعَجْتُه[1] به.

وقال محمّد بنُ إسحاق: حدّثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدّث عن جُبير بن مُطعِم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مِثل البِجادِ[2] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرتُ، فإذا نملٌ أسودُ مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشكَّ أنها الملائكة، ولم تكن إلاّ هزيمة القوم.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكَرَ بعضُهم بأَوْطاس، وتوجّه بعضهم نحو نَخلة[3]، وتَبعتْ خيلُ رسول الله ﷺ مَن سَلَك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سَلَك الثَّنَايا، فأَدرك ربيعةُ بنُ رُفَيع بن أُهْبان ـ وهو ابن الدُّغُنَّة ـ دُرَيْدَ بن الصِّمّة وهو في شجارٍ له أي هَوْدج، فأخذ بخِطَام[4] جَمَلِه وهو يظنّ أنه امرأة، فأناخ به، فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه، فقال له دُرَيْد: ما تريد بي؟ قال: أقتلك؛ قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بنُ رُفَيع السُّلَميّ، ثم ضربه بسيفه فلم يُغن فيه شيئاً، فقال: بئس ما سلّحَتْك أمُّك! خذ سيفي هذا من مُؤخر الرَّحْل في الشِّجار، ثم اضرب به، وارفع عن العِظام، واخفض عن الدِّماغ، فإنّي كذلك كنتُ أضرِبُ الرجال، ثم إذا أتيتَ أمّك فأخبِرها أنك قتلتَ دُرَيدَ بنَ الصِّمة، فرُبَّ واللَّهِ يوم قد منعتُ فيه نساءَك؛ فقتَلَه، ولمّا رجع ربيعة إلى أمّه أخبرَهَا بقتله إيّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثاً.

قال ابن هشام: ويقال أن الذي قَتَل دُرَيْد بنَ الصِّمّة هو عبد الله بن قُنَيْع بن

---

(١) بعج بطنه: شقه.
(٢) البجاد: الكساء، وجمعه: بُجُد بضمتين.
(٣) يريد نخلة اليمامة.
(٤) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير.

أُهْبان بن ثعلبة بن ربيعة؛ قال: وبعَثَ رسولُ الله في آثار من توجّه قبَل أَوْطاس أبا عامر الأشعريّ، فأدركَ بعضَ من انهزم، فناوَشوه القتال، فقَتَلَ منهم أبو عامر تسعةً مُبارزَةً وهو يدعو كلّ واحد منهم إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد؛ ثم برز له العاشر مُعلَماً بعمامة صفراء، فضرب أبا عامر فقتله. واستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعريّ[١]، فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وقُتل قاتل أبي عامر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمّتي في الجنّة»، ودعا لأبي موسى.

وقال ابن هشام في خبر أبي عامر: إنه قتل تسعةً مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فيقتله أبو عامر، وبقي العاشر، فحمل كلٌّ منهما على صاحبه، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد عليّ، فكفّ عنه أبو عامر، فأفلت، ثم أسلم بعدُ فحسنَ إسلامه، فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شَرِيد أبي عامر»، ورَمَى أبا عامر أخوان: العلاء وَأَوْفَى ابنا الحارث من بني جُشم بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه. والآخر ركبته، فقتلاه، ووَليَ الناسَ أبو موسى فحمل عليهما فقتلهما.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: إن الذي رمى أبا عامر فأصاب ركبته هو سَلَمة ابن دريد[٢] بن الصِّمَّة. وإنه ارتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلوا عنّي فإنّي سلمهْ ابنُ سَمَادِيرَ[٣] لمن توسّمهْ

* أضربُ بالسيف رءوسَ المُسْلِمهْ *

قال: وخرج مالك بن عوفٍ عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنيّةٍ من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم، فوقف حتى مضى من لحق بهم من منهزِمة الناس.

قال ابن هشام: وبلغني أنّ خيلاً طلعتْ ومالكٌ وأصحابُه على الثنيّة، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً واضعِي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بوَادّهم[٤] فقال: هؤلاء بنو سُليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلمّا أقبلوا سلكوا بطن

---

(١) أبو موسى الأشعري: (٢١ ق هـ ـ ٤٤ هـ = ٦٠٢ ـ ٦٦٥ م) عبد الله بن قيس بن سليم. أبو موسى، من بني الأشعر من قحطان، صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين. وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد باليمن، وفد مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم وهاجر إلى أرض الحبشة. توفي بالكوفة. (الأعلام: ٤: ١١٤).

(٢) في كلا الأصلين: «زيد».

(٣) سمادير: امرأة دريد بن الصِّمة.

(٤) البوادّ: جمع باد، وهو باطن الفخذ.

الوادي، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رِماحهم أغفالاً[١] على خيلهم، فقال هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما انتهوا إلى أصل الثنيّة سلكوا طريق بني سُليم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويل البادّ واضعاً رمحَه على عاتقه، عاصباً رأسَهُ بملاءةٍ حَمْراء، فقال: هذا الزبير بن العوّام، وأحلِف باللات ليخالطنّكم، فاثبُتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية، أبصر القومَ فصمَد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.

قالوا: ولما انهزم القوم أمر رسول الله ﷺ بقتل من قُدِر عليه، فَحنِق المسلمون عليهم؛ فقتلوا الذرّيّة والنساء، فمرّ رسول الله ﷺ يومئذٍ بامرأة قد قتلها خالد بنُ الوليد، فقال: «ما هذه»؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بنُ الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرِك خالد بنَ الوليد فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة»؛ وأنزل الله تعالى في يوم حُنَين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥ـ ٢٦].

قال الثعلبيّ: قال سعيد بن جُبير: أمدّ الله تعالى نبيّه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مُسوِّمين[٢].

وقال الحسن ومجاهد: كانوا ثمانية آلاف.

وقال الحسن: كانوا ستة عشر ألفاً؛ قال سعيد بن جبير: حدثني رجل كان في المشركين يوم حُنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يقِفوا لنا جَلْبَةَ شاة، فلمّا كشفناهم جعلنا نسُوقهم، حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشُّهْباء ـ يعني رسولَ الله ﷺ ـ فتلقّانا رجال بِيض الثيابِ حِسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إيّاها. يعني الملائكة.

قال: وفي الخبر أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البُلْق، والرجال عليهم ثياب بِيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلاّ كهيئة الشامة، وما كان قَتْلنا إلاّ بأيديهم، فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: «تلك الملائكة».

وقال محمد بن سعد: كان سِيما الملائكة يوم حنين عمائِم حمر قد أرْخَوْها بين أكتافهم.

---

(١) الأغفال: جمع غفل، وهو الذي لا علامة له، يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به.

(٢) مسومين: معلمين.

قال ابن إسحاق: واستُشهِد من المسلمين يوم حُنين من بني هاشم أَيْمَن بن عُبيد، ومن بني أسد يزيد بن زمعة بنِ الأسود، ومن الأنصار سراقة بن الحارث بن عدِيّ، ومن الأشعريين أبو عامر.

وقال ابن سعد: ورُقَيْم بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان، واستحرّ القتل في بني نصر ابن معاوية، ثم في بني رئاب، فقال عبد الله بن قيس، وكان مسلماً. هلكت بنو رئاب، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجبر مصيبتهم». قال: وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال، فجُمِعتْ وحُدِرت إلى الجِعرانة، وعليها مسعود بن عمرو الغِفاريّ، فوقف بها بالجعرانة حتى انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الطائف وهم في حظائرهم يستظلّون بها من الشمس، ثم قسمها ﷺ بعد ذلك، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر سرية الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسيّ[1] إلى ذي الكَفَّيْن

بعثه رسول الله ﷺ في شوّال سنة ثمانٍ عند منصرَفه من غزوة حُنينٍ، وتوجُّهِه إلى الطائف ليهدم ذا الكَفَّين صنم عمرو بن حُممة الدَّوْسِيّ، وأمره أن يستمدّ قومه ويأتيَه بالطائف، فخرج سريعاً إلى قومه، فهدم ذا الكَفَّين وجعل يَحُشُّ النار في وجهه ويقول: [من الرجز]

يا ذا الكَفَّين لستُ من عبّادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادِكا

* إني حَشَشْتُ[2] النارَ في فؤادكا *

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً، فوافَوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مَقدَمِه بأربعة أيام، وقدم الطفيل معه بدَبّابةٍ[3] ومَنْجَنِيق.

ذكرُ غزوة الطائف

غزاها رسول الله ﷺ في شوّال سنة ثمانٍ من مُهاجَرِه، وذلك أنه لمّا انهزمت هوازن وثَقيفٌ يوم حُنين، وجمِعت السبايا والغنائم، سار رسول الله ﷺ من حنينٍ يريد

---

(١) الطفيل الدَّوسي: (... ـ ١١هـ = ... ـ ٦٣٣ م) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي الأزدي. صحابي من الأشراف، في الجاهلية والإسلام. كان شاعراً، غنياً، كثير الضيافة، مطاعاً في قومه. استشهد في اليمامة. (الأعلام: ٣: ٢٢٧).

(٢) حش النار: أوقدها.

(٣) الدبابة: آلة تتخذ في الحروب يدخل في جوفها الرجال، ثم تدفع في أصل الحصن. فينقبونه وهم في جوفها.

الطائف، وقدّم خالدَ بن الوليد على مقدّمته، وقد كانت ثقيف رَمُّوا[١] حِصنهم، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما انهزموا من أَوْطاس، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيؤوا للقتال، وسار رسول الله ﷺ وسلك على نخلة اليمانيّة، ثم على قَرْن، ثم على المُلَيح، ثم على بُحْرة الرُّغاء من لِيّة[٢]، فابتَنَى بها مسجداً يُصَلّي فيه.

قال ابن إسحاق: وأقاد[٣] رسول الله ﷺ يومئذٍ ببحرة الرّغاء حين نزلها بدم، وهو أوّل دم أقيدَ به في الإسلام رجل من بني أَسَد قتل رجلاً من هُذَيل، فقُتل به؛ قال: وأمر رَسول الله ﷺ وهو بلِيّةَ بحصنِ مالك بنِ عوف، فهدِم، ثم سلك في طريق يقال لها: الضَّيْقَة، فسأل عن اسمِها. فقال: «ما اسم هذه الطريق»؟ فقالوا: الضَّيْقَة، فقال: «بل هي اليسرى»، ثم خرج منها على نَخِب[٤] حتى نزل تحت سِدْرة[٥] يقال لها: الصادرة، قريباً من مالِ رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ، يقول: «إمّا أن تخرج وإمّا أن نخرّب عليك حائطك»؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه؛ ثم مضى حتى نزل قريباً من حِصن الطائف وعسكر هناك، فَرَمَوْا المسلمِين بالنّبل رمياً شديداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً.

قال ابن إسحاق: وهم سعيد بن سعيد بن العاص، وعُرْفُطة بن جناب، حليف لهم من أسد بن الغوث.

وعبد الله بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما، رُمي فاندمل جُرحُه، ثم انتَقَضَ[٦] بعد ذلك فماتَ منه في خلافة أبيه.

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة.

ومن بني كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سعد بن ليث جليحة بن عبد الله.

ومن الأنصار ثابت بن الجِذْع، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبد الله، ورُقَيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسيّ.

قال: فارتفع رسول الله ﷺ إلى موضِع مسجدِ الطائف اليوم، وكان معه ﷺ من

---

(١) رموا حصنهم: أعادوه إلى وضعه الجيد.
(٢) أسماء مواضع بالطائف.
(٣) أقاد: القود: قتل القاتل مقابل القتيل.
(٤) نَخِب: وادٍ بالطائف.
(٥) السدْرة: نوع من الشجر.
(٦) انتقض: يقال: انتقض الجرح: إذا فسد.

نسائه أم سَلمة وزينب، فضرب لهما قُبَّتَين، وحاصرهم رسول الله ﷺ ثمانية عشر يوماً، ويقال: خمسة عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، ورَمَى عليهم به، وأهل الطائف أوّل من رُمي بالمنجنيق في الإسلام.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشَّدْخة[1] دخل نفر من المسلمين تحت دبّابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخرِقوه، فأرسلتْ عليهم ثقِيف سِككَ الحديد مُحماةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنَّبل، فقتِل منهم رجال، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فقطع المسلمون قطعاً ذرِيعاً، ثم سألوه أن يَدَعها لِلَّه وللرحم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أدعُها لله وللرَّحِم»، ونادى منادِي رسولِ الله ﷺ: «أيّما عبدٍ نزل من الحصنِ وخرج إلينا فهو حرّ»؛ فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم: أبو بَكْرة، فأعتقهم رسولُ الله ﷺ، ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يَمُونه، فشقّ ذلك على أهل الطائف، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف، فاستشار نوفَل بن معاوية الدّيليّ، فقال: «ما ترى»؟ فقال: ثعلبٌ في جُحر، إن أقمتَ عليه أخذتَه، وإن تركتَه لم يضررك.

قال محمد بن إسحاق: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «يا أبا بكر، إني رأيت أنّي أُهدِيتْ لي قَعْبَةٌ مملوءةٌ زُبْداً، فنقرها دِيك فهَراقَ ما فيها»، فقال أبو بكر: ما أظنّ أن تُدرِك منهم يومك هذا ما تريد؛ فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك».

قال: ثم إن خُوَيْلة بنت حكيم بن أميّة السُلَميّة، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله، [أَعطِني][2] إن فتح الله عليك الطائفَ حُليَّ بادية بنت غَيْلان بن سلمة، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عُقَيل، وكانتا من أحلى نساءِ قريش. قال: فذُكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: «وإن كان لا يؤذن لي في ثقيفٍ يا خُوَيلة»؟ فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فدخل على رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حديث حدَّثَتْنيه خويلة فزعمتْ أنك قد قلته؟ قال: «قد قُلْتُه». قال: أو ما أذِن فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال: أفلا أؤذَن بالرحيل؟ قال: «بلى»، قال: فأذّن عمر في الناس بالرحيل، فضجّ الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم تفتح علينا الطائف؟ فقال رسول الله ﷺ: «فاغدوا على القتال»؛ فغَدَوا، فأصابت المسلمين

---

(١) يوم الشَّدخة: سمي يوم الشدخة، لما شدخ فيه من الناس. والشدخ: كسر كل شيءٍ أجوف (المواهب: ٣: ٣٧).

(٢) التكملة عن ابن هشام: ٤: ١٢٧.

جراحات، فقال رسول الله ﷺ: «إنا قافلون إن شاء الله»؛ فسرّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرتحلون ورسول الله ﷺ يضحك، وقال لهم: «قولوا لا إلٰه إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»؛ فلما ارتحلوا واستقلوا قال: «قولوا آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون»؛ وقيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ادعُ على ثقيف؛ فقال: «اللهم اهد ثقيفاً وأْتِ بهم».

ذكر مسير رسول الله ﷺ إلى الجِعرانة وقسم مغانم حُنين، وما أعطاه المؤلَّفة

قال ابن إسحاق: ولمّا انصرف رسول الله ﷺ من الطائف رجع إلى الجِعْرانة فانتهى إليها ليلة الخميس لثلاثٍ خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشر يوماً، وقسم الفيءَ.

قال محمد بن سعد: كان السَّبي ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، والوَرِق أربعة آلاف أوقية فضّة، فاستأْنَى[1] رسول الله ﷺ بالسَّبْي أن يقدم عليه وفدهم، وبدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلَّفة قلوبهم أوّل الناس.

قالوا: فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل. قال: وابني يزيد؟ قال: «أعطوه أربعين أوقيّة ومائة من الإبل»؛ قال: وابني معاوية؟ فأعطاه أربعين أوقيةً ومائةً من الإبل، وأعطى حكيم بنَ حزام مائةً من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى النُّضَير بنَ الحارث بنِ علقمة بنِ كَلَدَة مائةً من الإبل، وأعطى أَسِيدَ بنَ جارية الثَّقَفِيَّ مائةً من الإبل، وأَعطى العَلاء ابنَ جارية الثقفيّ خمسين بعيراً، وأعطى مَخرَمة بن نوفل خمسين بعيراً، وأعطى الحارث بن هشام مائةً من الإبل، وأعطى سعيد بنَ يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بنَ أميّة مائةً من الإبل، وأعطى قيس بنَ عديّ مائة من الإبل، وأعطى عثمانَ بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سُهيل بنَ عمرو مائةً من الإبل، وأعطى حُوَيطِب بنَ عبد العُزَّى مائةً من الإبل، وأعطى هشامَ بنَ عمرو العامريَّ خمسين من الإبل، وأعطى الأقرعَ بنَ حابس التميميَّ مائةً من الإبل، وأَعطى عُيينة بن حصن مائةً من الإبل، وأعطى مالك بنَ عوف مائةً من الإبل، وأعطى العبّاس بنَ مِرْداس[2] أربعين من الإبل، وقيل: أربعة، فقال في ذلك: [من المتقارب]

---

(١) استأنى: انتظر.

(٢) العباس بن مرداس: (. . . ـ نحو ١٨ هـ = . . . ـ ٦٣٩ م) العباس بن مرداس بن أبي عامر =

كانت نِهاباً تلافيتُها | بكَرّي على المُهْرِ في الأَجْرَعِ[1]
وإيقاظيَ القومَ أن يَرقدوا | إذا هجَعَ الناسُ لم أَهجَعِ
فأصبَحَ نَهْبِي ونَهْبُ العُبَيْـ | ـدِ بين عُيَيْنةَ والأقرعَ[2]
وقد كنتُ في الحربِ ذا تُدْرَإٍ | فلم أُعطَ شيئاً ولم أمْنَعِ[3]
ألاّ أفائلَ أُعطِيتُها | عديدَ قوائمها الأربعِ[4]
وما كان حِصنٌ ولا حابِسٌ | يفوقان مِرْدَاسَ في المَجْمَعِ[5]
وما كنتُ دون امرىءٍ منهما | ومن تَضعِ اليومَ لا يُرفَعِ

فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عنّي لسانَه»، فأَعطَوْه حتى رضي، قيل: أعطاه مائةً من الإبل.

قال ابن سعد: أَعطى رسولَ الله ﷺ ذلك كلَّه من الخُمس، وهو أثبت الأقاويل عندنا، ثم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم فَضّها[6] على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل، وأربعون شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل، أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد.

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وإسلامهم وردّ السبايا إليهم

قال: وقدِم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلاً، ورأسُهم زُهَير بن صُرَد[7]، وفيهم أبو بُرْقان، عمّ رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألوه أن يمنّ عليهم بالسّبي.

= السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم وكان بدوياً قحاً لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي ﷺ لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية. ومات في خلافة عمر. (الأعلام: ٣: ٢٦٧).

(١) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم. الأجرع: المكان السهل.
(٢) العُبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.
(٣) ذا تُدْرإِ: ذا دفع عن قومي.
(٤) الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد: أفيل.
(٥) يعني أباه مرداساً.
(٦) فضّ: يقال: فضّ الشيء على القوم: إذا فرّقه وقسمه.
(٧) زهير بن صُرد: زهير بن صرد السعدي الجشمي أبو جرول. ويقال: أبو صرد. راجع الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٥٥٣ رقم الترجمة ٢٨٢٦.

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو: إنّ وفد هوازنَ وفدوا على رسول الله ﷺ وقد أسلَموا، فقالوا: يا رسول الله، إنّا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، فامننْ علينا.

قال وقام رجل من هوازن، أحد بني سعد بن بكر يقال له: زهير، يُكنَّى بأبي صُرَد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر[1] عمّاتُك، وخالاتك وحواضنك اللّاتي كنّ معك يكفلنك، ولو أنا مَلَحْنا[2] للحارث بن أبي شمِر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمِثل الذي نزلتَ به، رجونا عطفَه وعائدَته علينا، وأنت خير المكفولين.

وحكى أبو عمر بنُ عبد البرّ أن أبا صُرَد زهير بن صرد أنشد عند ذلك: [من البسيط]

أُمنُنْ علينا رسولَ الله في كرمٍ ... فإنّك المرءُ نرجوه وننتظِرُ
أُمننْ على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ ... ممزّق شملها، في دهرها غِيَرُ[3]
يا خير طِفلٍ ومولولدٍ ومنتجَبٍ ... في العالمين إذا ما حصّل البَشَرُ
إن لم تَداركهم نَعماء تنشُرها ... يا أرجح حِلماً حين يُختبرُ
فامنن على نسوة قد كنت تَرضَعها ... إذ فُوك يملؤه من مَحضها دِررُ[4]
إذ كنت طفلاً صغيراً ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تجعلنّا كمن شالت نَعامتُه ... واستبقِ مِنّا فإنّا معشر زُهُرُ[5]
يا خير من مَرِحت كُمْتُ الجِياد به ... عند الهِياج إذا ما استوقد الشررُ
إنا لنشكر آلاءً وإن كُفِرتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخَرُ
إنا نؤمِّل عفواً منك تلبسه ... هذي البريّة إذ تعفو وتنتصرُ
فاغفر عفا الله عما أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يُهدَى لك الظَّفَرُ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم»؟ فقالوا: يا رسول الله، خيّرتَنا بين أموالِنا وأحسابنا، فردّ إلينا أبناءنا ونساءنا

(١) الحظائر: جمع حظيرة وهي الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها.
(٢) ملحنا: يقال: ملحنا لفلان أي أرضعناه (اللسان: ملح).
(٣) البيضة هنا: مجتمع الناس، الغير: المصائب.
(٤) إشارة إلى حليمة السعدية، مرضعة الرسول ﷺ.
(٥) يقال: شالت نعامتهم: إذا ماتوا وتفرقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية. والنعامة: الجماعة انظر (اللسان: شول).

فهو أحبّ إلينا؛ فقال لهم: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صلّيت الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفِع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم»، ففعلوا ما أمرهم به، فقال: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلّب فهو لكم»، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ؛ وقالت الأنصار مثلَ ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أمّا أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حِصن: أمّا أنا وبنو فَزارة فلا، وقال عباس بن مِرداس: أمّا أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال: يقول عباس لبني سليم: وَهَّنْتُموني[١]؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بسَبْيهم، وخيّرتهم فلم يَعدِلوا بالأبناء والنساء شيئاً، فمن كان عنده منهم فطابت نفسُه أن يردّه فسبيل ذلك، ومن أبى فليردّ عليهم، وليكن ذلك قرضاً علينا، فله بكل إنسان ستّ فرائض من أوّل ما يُفيء الله علينا»، قالوا: رَضينا وسلّمنا، فرَدّوا عليهم نساءهم وأبناءهم، ولم يتخلّف منهم أحد غير عُيَينة بن حِصن، فإنّه أبى أن يردّ عجوزاً صارت في يده منهم، ثم ردّها بعد ذلك.

وقد حكى محمد بن إسحاق سببَ تمسّك عيينة بها وردّها، قال: فقال حين أَخَذَها: أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحيّ نسباً، وعسى أن يعظم فِداؤها؛ فلما ردّ الناس السَّبايا بستّ فرائض أبى أن يرُدّها، فقال له زهير بن صُرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديُها بناهِد، ولا بطنُها بوالد، ولا زوجُها بواجِد ولا دَرُّها[٢] بماكِد؛ فردّها بستّ فرائضَ حين قال له زهير ما قال. وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبيَ قُبْطيّة قُبْطيّة، والقَباطي: ثياب بيض تُتّخذ من الكتّان بمصر.

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عيينة بن حِصن في هذه القصة قال: لمّا قدم وفدُ هَوازن على رسول الله ﷺ، وردّ عليهم السبي، كان عيينة قد أخذ رأساً منهم، فنظر إلى عجوزٍ كبيرة، فقال: هذه أمّ الحيّ، لعلّهم أن يُغلُوا بفدائها، وعسى أن يكون لها في الحيّ نسب. فجاء ابنها إلى عيينة فقال: هل لك في مائةٍ من الإبل؟ قال: لا، فرجع عنه، فتركه ساعة، وجعلت العجوز تقول لابنها: ما إربُك[٣] فيّ بعد مائةَ ناقةٍ، أُتركه فما أسرع ما يتركني بغير فداء؛ فلما سمِعها عيينة قال: ما رأيت كاليوم خدعة، والله ما أنا مِن هذه إلا في غرور؛ ولا جرم والله لأبعِدنّ أثرك منّي؛ قال: ثم مرّ ابنها فقال له عيينة: هل لك فيما دعوتني إليه؟؛ فقال: لا أزيدك

---

(١) وهنتموني: أضعفتموني.

(٢) الدَّر: اللبن. الماكد: الغزير.

(٣) إربك فيَّ: حاجتك بي.

على خمسين؛ فقال عيينة: لا أفعل، ثم لبث ساعة، فمرّ به وهو معرِض عنه، فقال له عيينة: هل لك في الذي بذلت لي؟، قال له الفتى: لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة؛ قال عيينة: والله لا أفعل، فلما تخوّف عيينة أن يتفرّق الناس ويرتحلوا قال: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟: فقال الفتى: هل لك إلى عشر فرائض؟ قال: لا أفعل؛ فلما رحل الناس ناداه عيينة: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟؛ قال الفتى: أَرسلْها وأحمدُك، قال: لا والله ما لي حاجة بحمدك؛ فأقبل عيينة على نفسه لائماً لها ويقول: ما رأيتُ كاليوم أمراً أنكد، قال الفتى: أنت صنعتِ هذا بنفسك، عمدتَ إلى عجوز كبيرةٍ، والله ما ثديُها بناهد، ولا بطنُها بوالد، ولا فُوها ببارد، ولا صاحبُها بواجد، فأخذَتها من بين من ترى؛ فقال له عُيينة: خذها لا بارك الله لك فيها؛ قال: فيقول الفتى: يا عيينة، إن رسول الله ﷺ قد كسا السبيَ فأخطأها من بينهم الكسوة، فهل أنت كاسيها ثوباً؟ قال: لا والله ما لَها ذاك عندي، قال: لا تفعل، فما فارقه حتى أخذ منه سَمَل ثوبٍ[١]. ثم ولّى الفتى وهو يقول: إنك لغير بصيرٍ بالفَرْض، قال: وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قُبطِيّة قُبطِيّة، والقَباطي: ثياب بيض تُتّخذ من الكتّان بمصر.

قال محمد بن إسحاق: وسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن عن مالك بنِ عوفٍ ما فعل[٢]؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال: «أخبروا مالكاً إن هو أتاني مسلماً رددتُ إليه أهله وماله، وأعطيته مائةً من الإبل»، فأخبر بذلك. فخرج من الطائف فأدرك رسول الله ﷺ بالجعرانة أو بمكّة، فردّ عليه أهلَه وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشِداً: [من الكامل]

ما إن رأيتُ ولا سمعت بمِثلِه ... في الناس كلِّهمُ بمثل محمَّد

أَوفَى وأَعطَى للجزيل إذا اجْتُدِي ... ومتى تشأ يخبرْك عمّا في غدِ

وإذا الكَتِيبةُ عَرَّدتْ أنيابها ... بالسَّمْهَرِيِّ وضَربِ كلِّ مهنَّدِ[٣]

فكأنه ليثٌ على أشباله ... وَسْط الهَباءَة خادِرٌ في مَرْصَدِ[٤]

---

(١) سمل ثوب: الثوب القديم.

(٢) مالك بن عوف: (... - نحو ٢٠ هـ = ... - نحو ٦٤٠ م) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصري من هوازن: صحابي من أهل الطائف. كان رئيس المشركين يوم حنين... ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية وفتح دمشق وكان شاعراً رفيع القدر في قومه. راجع: (الأعلام: ٥: ٢٦٤).

(٣) السمهري: الرمح. المهند: السيف الهندي.

(٤) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. الخادر: الأسد في عرينه، وهو حينئذٍ أشد ما يكون بأساً لخوفه على أشباله، يصفه بالقوة. المرصد: المكان يرقب منه، يصفه باليقظة.

فاستعمَلَه رسولُ الله ﷺ على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثُمالة، وسلمة، وفَهْم، فكان يقاتِل بهم ثقيفاً؛ لا يخرج لهم سَرْحٌ[1] إلا أغار عليه، حتى ضَيّق عليهم، فقال أبو مِحْجَن بنُ حبيب بن عمرو الثقفيّ[2] في ذلك: [من المديد]هابت الأعداءُ

جـــانـــبَـــنـــا ثـم تـغـزُونـا بـنـو سَـلِـمَـهْ

وأتـــانـــا مـــالِـــك بِـــهِـــم ناقِضاً للعهد والحُرُمه

وأَتَـــوْنـــا فـــي مـــنـــازلـــنـــا ولـقـد كـنّـا أولـي نَـقِـمَـه

ذكر تسمية من بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرها عند قسم مغانِم حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجِعِرانة من غنائم حنين: أبو سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وطُلَيق بنُ سفيان بن أميّة، وخالد بن أَسِيد بن أبي العِيص[3]، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بَعكَك بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أميّة بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة، وأبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم، العَدويّان، وصفوان بن أميّة بن خلف الجُمَحيّ، وأُحَيحة بن أميّة بن خلف، وعُمَير بنُ وهب بن خلف، وعديّ بن قيس بن حُذافة السَّهْمِي، وحُوَيْطِب بنُ عبد العُزّى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر الدِّيلي، وعلقمة بنُ عُلاثة بن عوف، ولَبيد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرمة بن هَوْذة بن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعبّاس بن مِرداس السُّلَميّ وعيينة بنِ حصن بن حذيفة بن بدر الفزاريّ، والأقرع بن حابس بن عقال المُجاشعيّ.

---

(١) السرح: المال السائم.

(٢) أبو محجن الثقفي: (... ـ ٣٠ هـ = ... ـ ٦٥٠ م) عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير أبو عوف: أحد الأبطال الكرماء في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة ٩ هـ وروى عدة أحاديث. توفي بأذربيجان أو بجرجان. (الأعلام: ٥: ٧٦).

(٣) كذا في ابن هشام: ٤: ١٣٧ والاستيعاب. والذي في الأصلين: «العاص».

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفَيْءِ، وما أجابهم به رسولُ الله ﷺ، ورَضّاهم به

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخُدْرِيّ[١] رضي الله عنه أنه قال: لما أَعطَى رسول الله ﷺ ما أَعطَى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدوا[٢] في أنفسهم حتى كثرتْ بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسولُ الله قومَه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجَدوا عليك في أنفسهم لما صنعتَ في هذا الفيء الذي أَصبتَ؛ قسمتَ في قومك، وأعطيتَ عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحيّ من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد»؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلاّ من قومي؛ قال: «فاجمع لي قومَك في هذه الحظيرة»، فخرج سعد فجمعهم فيها، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحَمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتْني عنكم، وجِدةٌ وجَدْتُموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءاً فألّف الله بين قلوبكم»! قالوا: بلى، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل ثم قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟»، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لِلّه ولِرسوله المنّ والفضل، قال رسول الله ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم: أتينا مكذَّباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسِكم مِن لُعاعةٍ[٣] من الدنيا تألفتُ بها قوماً ليُسْلِموا، ووكلتُكُم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رِحالكم! فوالذي نفس محمدٍ بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناسُ شِعباً[٤] وسلكت الأنصارُ شِعباً لسلكتُ شِعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناءِ الأنصار»؛ قال: فبكى القوم حتّى أخضلوا[٥] لِحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظّاً؛ ثم انصرف رسول

---

(١) أبو سعيد الخدري: (١٠ ق هـ ـ ٧٤ هـ = ٦١٣ ـ ٦٩٣ م) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ. وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. توفي في المدينة. (الأعلام: ٣: ٨٧).

(٢) وَجَد: حنق.

(٣) اللعاعة: الجرعة من الماء يريد الشيء اليسير.

(٤) الشعب: الطريق بين الجبلين.

(٥) أخضلوا: أي بلوها بدموعهم.

الله ﷺ وتفرّقوا، ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمِراً، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلةً مضت من ذي القعدة؛ فأحرم بعُمرة، ودخل مكّة فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع إلى الجِعرانة من ليلته.

ذكر استِخلافِ رسول الله ﷺ عتّابَ بنَ أَسِيد[١] على مكّة ورجوعِه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته استَخلف عتّاب بن أَسِيد على مكّة، وخلّف معه مُعَاذَ بنَ جَبَل يفقّه الناس في الدّين ويعلّمهم القرآن.

قال ابن هشام: لما استَعمل رسولُ الله ﷺ عتّاب بنَ أَسِيد على مكة رَزَقه كلَّ يوم درهماً، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاع الله كبِد من جاع على دِرهم، قدْ رزقني رسول الله ﷺ درهماً كلَّ يوم، فليست بي حاجةٌ إلى أحد.

قال: وحجّ عتّاب بالناس في سنةِ ثمانٍ على ما كانت العرب تحجّ عليه.

قال ابن سعد: ولما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة سلك في وادي الجِعرانة، حتى خرج على سَرِف[٢]، ثم أخذ الطريق إلى مَرّ الظَّهْران[٣]، ثم إلى المدينة، فقدِمها ﷺ في بقية ذي القعدة أو في أوّل ذي الحجّة.

قال ابن هشام: لستٍّ بقين من ذي القعدة. والله أعلم.

ذكر سريّة عُيَيْنَةَ بنِ حِصْن الفزاريّ إلى بني تميم

بعثه رسول الله ﷺ في المحرم سنة تسع من مُهاجَرِه إلى بني تميم في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ، وكان يسير الليل ويَكمَنُ النهار، فهجم عليهم في صحراء ـ وكانوا فيما بين السُّقْيا وأرض بني تميم، وقد حلّوا وسرّحوا ماشِيتهم، فلما رأوا الجمع ولّوا ـ وأَخَذَ منهم أحد عشر رجلاً؛ ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيًّا، فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ فحُبِسوا في دار رملة بنت الحارث، فقدِم فيهم عدّة من رؤسائهم: عُطارِد بن حاجب،

---

(١) عتاب بن أسيد: (١٣ ق هـ ١٣ هـ = ٦١٠ ـ ٦٣٤ م) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الرحمٰن: والٍ أموي، قرشي مكي، من الصحابة، كان شجاعاً، عاقلاً من أشراف العرب في صدر الإسلام. أسلم يوم فتح مكة. مات يوم مات أبو بكر. (الأعلام: ٤: ١٩٩).

(٢) سَرِف: موضع على ستة أميال من مكة (ياقوت).

(٣) مر الظّهران: موضع على مرحلة من مكة.

والزِّبْرِقان بن بدر، وقيس بنُ عاصم، ورَباح بنُ الحارث بن مجاشِع، والأقرع بنِ حابس، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهتم، وربيعة بن رُفَيع، وسَبْرة بنُ عمرو، والقَعْقاع بنُ معبد، ووردان بن مُحرِز، ومالك بن عمرو، وفِراس بن حابس، وكان من شأنِهم وكلام خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى، وذلك في السفر السادس عشر من كتابِنا هذا من هذه النسخة[١].

قال: وردّ عليهم رسولُ الله ﷺ الأسرى والسّبي.

قال ابن إسحاق: وكان ممّن قُتل يومئذٍ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له: بنو وهب، وشدّاد بن فراس، وحنظلة بن دارِم، وكان ممّن سبي يومئذٍ أسماءُ بنتُ مالك، وكأس بنت أريّ، ونَجْوة بنت نَهْد، وجُميعة بنت قيس، وعَمْرة بنت مطر.

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط[٢] مع بني المُصْطَلق

قال محمد بن سعد: بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خُزاعة يُصدِّقهم، وكانوا قد أسلموا وبَنوا المساجد، فلما سمعوا بدنوّ الوليد خرج منهم عشرون رجلاً يتلقّونه بالجَزور والغنم فرحاً به، فلما رآهم ولّى راجعاً إلى المدينة، فأخبر رسول الله ﷺ أنهم لَقُوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصّدقة، فهمّ رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ ذلك القوم، فقدِم الرَّكْب الّذين لقُوا الوليد إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر على وجهه، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦]، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القُرآن، وبعث معهم عبّاد بن بِشر يأخذ صدقاتِ أموالهم، ويعلّمهم شرائعَ الإسلام، ويقرئهم القرآن، ففعل، وأقام عندهم عشراً، ثم انصرف إلى المدينة.

ذكر سرِيّة قُطْبة بن عامر بن حديدة إلى خَثْعَم

بعثه رسول الله ﷺ في صفر سنة تسعٍ من مُهاجَرِه إلى حيّ من خثعم بناحية تَبالة

---

(١) من تجزئة المؤلف، ويوافق ج ١٨: ٣٢ (طبع الدار).

(٢) الوليد بن عقبة: (... ـ ٦١ هـ = ... ـ ٦٨٠ م) الوليد بن عقبة بن أبي معيط. أبو وهب، الأموي، القرشي، والٍ من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخ عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم فتح مكة. ولاه عثمان الكوفة سنة ٢٥ هـ. فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله، وحده وحبسه. ولما قتل عثمان، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية. مات بالرقة. (الأعلام: ٨: ١٢٢).

في عشرين رجلاً، وأمره أن يشُنّ الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرةٍ يعتقبونها، فأخذوا رجلاً، فسألوه فاستعجم عليهم، وجعل يصيح بالحاضر ويحذّرهم، فضربوا عنقَه، ثم امهلوا حتى نام الحاضر، فشنّوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وساق المسلمون النَّعَم والشاءَ والنساءَ إلى المدينة وجاء سيلٌ فحالَ بينهم وبين قطبة؛ فما يجدون إليه سبيلاً، وكانت سِهامهم بعد الخمس لكلّ رجل أربعة أبعِرة يُعدَل بعشرة من الغنم.

ذكر سريّة الضحّاك بن سُفْيان الكلابيّ[1] إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأوّل سنة تسع من الهجرة.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القُرْطاء[2] عليهم الضحّاك بن سفيان بن عوف الكلابيّ، ومعه الأَصْيَدَ بن سلمة بن قُرْط، فلَقُوهم بالزُّج[3]، زُجّ لاوَة، فدعَوْهم إلى الإسلام فأبَوا، فقاتَلوهم فهزِمُوا، فلحِق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير الزُّجّ، فدعا أباه إلى الإسلام، وأعطاه الأمان، فسبّه وسبَّ دِينه، فضرب الأصيدُ عُرقوبَي فرسِ أبيه، فلمّا وقع الفرسُ على عُرْقوبيه ارتكز سلمة رمحَه في الماء، ثم استَمسك به، حتى جاءه أحدُهم فقتَلَه، ولم يقتله ابنُه، وفي هذه السريّة وفي الضحّاك بن سفيانَ يقول عبّاس بنُ مِرْداس: [من الكامل]

إن الذّين وفَوا بما عاهدتَهمْ ... جيشٌ بعثتَ عليهمُ الضحّاكا

أمّرْتَه ذَربَ اللّسان كأنه ... لمّا تكنّفه العدوّ يراكا[4]

طَوْراً يُعانِق باليَدَيْن وتارةً ... يَفْرِي الجَماجِمَ صارِماً بَتّاكا[5]

ذكر سريّة عَلْقمةَ بن مُجَزِّز المُدْلِجيّ[6] إلى الحَبشة

كانت هذه السريّة في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وذلك أنّ رسول

---

(١) الضحاك الكلابي: (... ـ ١١ هـ = ... ـ ٦٣٢ م) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد، شجاع صحابي، اتخذه النبي ﷺ سيفاً فكان يقوم على رأسه متوشحاً بسيفه. قيل: استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم راجع (الأعلام: ٣: ٢١٤).

(٢) القرطاء: بطن من بني بكر، واسمه عبيد بن كلاب.

(٣) زج ولادة: موضع بنجد.

(٤) في ابن هشام: ٤: ١٠٣: «رجل به ذرب السلاح».

(٥) البتاك: البتاك والفتاك بمعنى واحد.

(٦) علقمة بن مُجزِّز: (... ـ ٢٠ هـ = ... ـ ٦٤١ م) علقمة بن مجزز بن الأعور الكناني المدلجي: =

الله ﷺ بلغه أنّ ناساً من الحبشة تراآهم أهلُ جُدّة، فبعث إليهم علقَمةَ بنَ مجزِّز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم، فهربوا منه، فلمّا رجع تعجل[(١)] بعض القوم إلى أهليهم، فأذن لهم، وفيهم عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ، فأمّره علقمة على من تعجّل، وكانت فيه دُعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يَصْطَلون عليها، فقال لهم: عزمتُ عليكم إلاّ تَواثبتم في هذه النار، فقام بعض القوم حتى ظُنَّ أنهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا، إنما كنتُ أضحك معكم؛ فذَكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «مَن أمَرَكم بمعصية فلا تطيعوه».

ذكر سريّة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلْس صنم طيّىء

بعثه رسولُ الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفُلْس (صنم طيّىء) ليهدمه ـ (والفُلْس بضمّ الفاء وسكون اللام) ـ بعثهم على مائةِ بعير وخمسين فرساً، ومعه رايةٌ سوداء ولواءٌ أبيض، فشَنّوا الغارة على محلّة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلْس وخرّبوه ومَلأوا أيديَهم من السَّبي والنَّعَم والشاء، وفي السبي أخت عديّ بن حاتم، وهرب عديّ إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود. قال: ووجدوا في خِزانة الفلس ثلاثة أسياف: رَسُول، والمِخْذَم، واليمان، ؛ وثلاثة أدرُع، فلمّا نزلوا رَكَك[(٢)] اقتسموا الغنائم، وعزل لرسول الله ﷺ صَفِيّه[(٣)]: رَسوب، والمُخذَم، ثم صار له بعدُ السيفُ الآخر، وعزل الخُمس وَعَزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قدِم بهم المدينةَ على رسول الله ﷺ.

ذكر سريّة عُكاشة بن مِحْصَن الأَسَديّ إلى الجِناب

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مُهاجَرِه إلى الجِناب، أرضِ عُذْرة وبَلِيّ، ولم يذكر ابنُ سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غَزْوة تَبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب ستة تسعٍ من مهاجَرِ رسول الله ﷺ، وكان سببها

= قائد من الصحابة، شهد اليرموك، وحضر الجابية. مات غريقاً في طريقه إلى الحبشة غازياً على رأس جيش بعثه به عمر. (الأعلام: ٤: ٢٤٨).

(١) أرادوا الرجوع قبل بقية الجيش.

(٢) ركك: (بالتحريك): محلة من محالّ سلمى أحد جبلي طيىء.

(٣) صفية: الصفي: ما يأخذه الرئيس لنفسه من الفيء قبل القسمة.

أنّ رسول الله ﷺ بلغه أنّ الروم قد جمعتْ جموعاً كثيرةً بالشام، وأنّ هِرَقْل قد رَزَق أصحابَه لِسنة، وأجلبتْ معه لَخْم، وجُذام، وعامِلة، وغَسّان، وقدّموا مقدماتهم إلى البَلْقاء، فندب رسول الله ﷺ الناس إلى الخروج، وأعلمهم المكانَ الذي يريد ليتأهّبوا لذلك، وبعث إلى مكّة وإلى قبائل العرب يستنفِرُهم، وذلك في حرّ شديد، وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقاتٍ كثيرة، وقَوَوا في سبيل الله.

قال ابن هشام: أنفق عثمان بنُ عفّان رضي الله عنه في جيش العُسْرة في غزوة تَبوك ألفَ دينار، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارضَ عن عثمانَ فإنّي عنه راضٍ».

وجاء البكّاءون وهم سبعة: سالم بن عُمَير، وهَرَميّ بن عبد الله أخو بني واقف، وعُلْبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمٰن بن كعب المازنيّ، وعمرو بنَ عَنَمة، وسلمة بن صخر، والعِرباض بن سارية الفزاريّ.

قال: وفي بعض الرُّواة من يقول: إنّ فيهم عبد الله بن مغفَّل المُزَنيّ، ومعقل ابن يسار، وبعضهم يقول: البكاءون بنو مقرّن السبعة، وهم من مزينة، فأتوا رسولَ الله ﷺ يستحمِلونه، فقال: «لا أجِد ما أحمِلكم عليهِ»؛ فتولوا وأعينهم تفِيض من الدمعِ ألاّ يجِدوا ما ينفِقون، فعذرهم الله تعالى.

قال: وبلغ رسول الله ﷺ أنّ ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيلم اليهوديّ، يثبّطون الناسَ عن رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ إليهم طلحة بنَ عبيد الله في نفرٍ من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة، فاقتحم الضّحاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرتْ رِجلُه، واقتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحّاك في ذلك: [من الكامل]

كادت وبيتِ الله نارُ محمّدٍ ... يَشِيطُ بها الضحّاك وابن أبَيرِق
فَظِلْتُ وقد طبّقتُ كِبْسَ سويلمٍ ... أنوءُ على رِجلي كَسيراً ومِرْفَقي[1]
سلامٌ عليكمْ لا أعود لمِثلِها ... أخاف، ومن تَشْمَل به النارُ يُحرَقِ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ في التخلّف من غير عِلّة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلاً.

وَجاءَ الْمُعذِّرُون مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤذَنَ لهم، فاعتَذَروا إليه، فلم يعذِرهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً؛ ذكر أنهم نفر من بني غِفار، وكان عبد الله بن أبيّ بنِ سَلول قد عسكر على ثَنِيّة الوَداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكره بأقلّ

(١) طبقت: علوت. الكبس: البيت الصغير.

العسكرين، وكان رسول الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه، فصلّى بالناس، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، فلمّا سار رسول الله ﷺ تخلّف عبد الله بنُ أُبيّ، ومن كان معه، وتخلّف نفر من المسلمين من غير شكّ ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك، وهلال بنُ أميّة، ومُرارة بنُ الرّبيع، وأبو خيثمة مالك بنُ قيس السَّالِميّ، وأبو ذرّ الغِفاريّ؛ وأمر رسول الله ﷺ كلَّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتّخذوا لواءً أو راية، ومضى ﷺ لوجهه يسير بأصحابه حتى قدم تَبوك في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس، فأقام بها عشرين ليلة يصلّي ركعتين ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذرّ.

قال محمد بن إسحاق في سبب مسيرِ أبي خيثمة إلى رسول الله ﷺ: إنه جاء يوماً إلى أهله بعد أن سار رسولُ الله ﷺ أيّاماً في يوم حارّ، فوجد امرأتين له في عَريشَين[١] لهما في حائطه، قد رَشّتْ كلٌّ واحدة منهما عَريشَها وبرّدتْ له فيه ماء، وهيّأتْ طعاماً، فلمّا دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسولُ الله في الضِّحِّ[٢] والرّيح والحرّ، وأبو خيثمة في ظلّ بارد، وطعام مهيّأ، وامرأةٍ حسناء، في مالِه مقيم، ما هذا بالنَّصف!، ثم قال: والله لا أدخل عريشَ واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فَهَيِّئا لي زاداً، فَفَعَلتا، ثم قدّم ناضحَه[٣] فارتحَلَه، ثم خرج في طلب رسولِ الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.

قال: ولمّا دنا مِن رسول الله ﷺ قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبِل؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة؛ فلمّا أناخ أقبل فسلّم على رسول الله ﷺ فقال له: «أَوْلَى لك يا أبا خيثمة»!، ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال: خيراً ودعا له.

وأمّا أبو ذرّ الغِفاريّ، فإنه أدرك رسول الله ﷺ في أثناء الطريق، وكان بعيرُه قد أبطأ عليه، فحمل متَاعه على ظهره، ثم خرج يَتْبَع أَثَر رسول الله ﷺ حتّى أدرَكَه، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذرّ، يمشي وحدَه، ويموت وحدَه، ويُبعث وحدَه» فكان كذلك.

قال: وقدم رسول الله ﷺ تبوك وهِرقل يومئذٍ بحمص، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر.

---

(١) العريش: شبيه بالخيمة. الحائط: بمعنى البستان.
(٢) الضح: الشمس.
(٣) الناضح: البعير يستقى عليه. ارتحله: شد عليه الرحل.

ذكر سرية خالد بنِ الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك[1]

قالوا: بعث رسولُ الله ﷺ بتبوك خالدَ بن الوليد في أربعمائةٍ وعشرين فارساً سَرِيَّةً إلى أكيدِر بنِ عبد الملك بدُومة الجَنْدل، وأكيدِر مِن كِنْدة، قد مَلَكَهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله ﷺ لخالد بنِ الوليد: «إنك ستجِده يصيد البقر». فخرج خالدٌ في شهر رجبَ سنة تسع من الهجرة حتى كان مِن حِصن أكيدِر بمنظَر العين في ليلة مقمِرة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحكّ بقرونها بابَ القصر، فقالت له امرأته: ما رأيتُ مِثلَ هذا قط؟ قال: لا والله؛ قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأُسرِج له، وركب وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له: حسّان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقّتْهم خيلُ رسول الله ﷺ، فشدّت عليه، فاستأسر أكيدر، وامتنع أخوه حسان، وقاتل حتى قتل، وكان عليه قَباء[2] من ديباج مخوَّص[3] بالذهب، فاسْتَلَبه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمِسونه بأيديهم، ويتعجّبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون مِن هذا؟ فوَالذي نفسي بيده لمنَادِيل سعدِ بن مُعاذٍ في الجنة أحسن من هذا». قال: ولما أسِر أكيدِر وقتِل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجاز خالدٌ أكيدَر من القتل حتى يأتيَ به رسولَ الله ﷺ على أن يفتح له دُومة الجَنْدل، ففعل، وصالَحه على ألفي بعير، وثمانمائة فَرَس، وأربعمائة دِرع وأربعمائة رمح، فعزل للنبي ﷺ صَفيًا خالِصاً، ثم أخرج الخُمس، وقسم ما بقِي بين أصحابه، ثم خرج خالدٌ بأكيدر وبأخيه مُصاد ـ وكان في الحصن ـ وبما صَالَحه عليه قافلاً إلى المدينة، فقدِم على رسولِ الله ﷺ بأكيدر، فأهدى له هديّة، وصالَحه على الجِزْية، وحَقَنَ دمَه، ثم خلّى سبيله، فرجع إلى قريتِه، فقال بُجير بن بَجْرة[4]: [من الوافر]

تبارك سائقُ البَقَرات إنّي رأيتُ الله يهدِي كلَّ هاد

---

(١) أُكيدر بن عبد الملك: (. . . ـ ١٢ هـ = . . . ـ ٦٣٣ م) أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية. له حصن وثيق. قيل أسلم. ولما قبض رسول الله ﷺ نقض أكيدر العهد. فأمر أبو بكر خالداً أن يسير إليه، فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل. (الأعلام: ٢: ٦).

(٢) القباء: نوع من الثياب.

(٣) التخويص: التخويص بالذهب: أن يجعل للشيء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل وفي صورته.

(٤) بجير بن بَجْرة: بجير بن بجرة (بفتح أوله وسكون الجيم) الطائي. له في قتال أهل الردة آثار وأشعار ذكرها ابن سحاق. وذكر أنه استشهد بالقادسية انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١ ـ ١٣٨، رقم الترجمة ٥٨٩).

فمن يك حائداً عن ذي تَبوكٍ ... فإنّا قد أُمِرنا بالجهادِ

قال محمد بن إسحاق: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوكَ أتاه يُحَنّة بن رؤبة صاحب أَيْلة[١]، فصالح رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجِزية، وأتاه أهلُ جَرْباء[٢]، وأذرُح[٣]، فأَعْطَوه الجِزية، وكتب رسولُ الله ﷺ ليُحَنّة كتاباً، وهو: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذه أَمَنَة[٤] مِن الله ومحمدٍ النبيّ رسولِ الله ليُحَنّة بنِ رؤبة وأهلِ أَيْلَة؛ سُفُنهم وسيّارتهم في البر والبحر، ولهم ذِمَّة الله ومحمدٍ النبيّ، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنّه لا يَحول ماله دُون نفسه، وإنه طيّب لِمن أخذه من الناس، وإنه لا يَحلّ أن يُمنَعُوا ماءً يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بَرٍّ أو بحر».

قال: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل على حرَسِه بتبوكَ عبّاد بن بشر، ثم انصرف رسول الله ﷺ ولم يَلْقَ كيداً.

وقدِم المدينة في شهر رمضان من السنة وجاءه من كان قد تخلّف عنه، فحلفوا له، فعذرهم، واستغفَرَ لهم، وأرجأ أمرَ كعب بنِ مالك وصاحبيه، حتى نزلتْ توبتُهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الغزوة.

قال: وجعل المسلمون يبيعون أسلحَتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فنهاهم، وقال: «لا تزال عِصابةٌ من أمّتي يجاهدون على الحقّ حتى يخرج الدجّال».

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدّمناه، قد رأينا إيرادَها في هذا الموضع. منها خبر مرور رسول الله ﷺ بالحِجْر.

ومنها ما أُنزِلَ في أمر المنافقين.

ومنها خبر الثلاثة الّذين خُلّفوا، وما أنزل من توبتهم.

ذكر خبرِ مرورِ رسولِ الله ﷺ بالحجْر وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق: لمّا مرّ رسول الله ﷺ في سفره إلى تبوك بالحِجْر من مَدْيَن، نزلها واستقى الناس من بئرها، فلمّا راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام.
(٢) جَرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام (ياقوت).
(٣) أذرح: بلد من أعمال الشراة من نواحي البلقاء (ياقوت).
(٤) أَمَنَة: عهد.

مائها شيئاً، ولا يُتوضأ منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه للأبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجنْ أحد منكم الليلة إلاّ ومعه صاحب له»، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ، إلاّ أنّ رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له، فأما الّذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مَذْهبِه[١]؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيرِه فاحتملتْه الرِّيح حتى طرحتْه بجبلِ طيىء، وأخبِر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال: «ألم أنهكم ألاّ يخرجَ منكم أحد إلاّ ومعه صاحبُه»! ثم دعا للّذي أصيب[٢] فشُفِي، وأمّا الآخر فإن طيّئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

قال ابن هشام: بلغني عن الزُهريّ أنه قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحِجْر سَجَّى[٣] ثوبَه على وجهِه، واستَحثَّ راحلته، ثم قال: «لا تَدخلوا بيوتَ الّذينِ ظلموا إلاّ وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مِثل ما أصابهم».

قال ابن إسحاق: لمّا أصبح الناسُ ولا ماءَ معهم شكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا، فأرسل الله تعالى سحابةً فأمطرتْ حتّى ارتوى الناس واحتملوا حاجتَهم من الماء.

وفي هذه الغزوة ضلّت ناقة رسولِ الله ﷺ، وقال زيد بنُ لُصَيْب[٤] ما قال، وأُخبِر رسولُ الله ﷺ بما قال: فأَخْبر بشأنها ووُجِدت كما وَصَف ﷺ على ما قدّمنا ذلك في أخبار المنافِقين.

ذكر أخبار المنافِقين وما تكلموا به في غزوة تَبوك وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

كان ممّن أَنزل الله عزّ وجلّ فيه من القرآن ما أَنزل في غزوة تبوك الجدَّ بن قيس، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ: ائذن لي ولا تفْتِنّي؛ وقد تقدّم خبره مع أخبار المنافِقين.

وقال قوم منهم: لا تنفِروا في الحرّ زهادةً في الجهاد، فأنزل الله عزّ وجل فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨١ ـ ٨٢]، وقال رهط من المنافقين: منهم

(١) خنق: صرح. المذهب: هنا، الموضع الذي يقضي فيه المرء حاجته.
(٢) عبارة الزرقاني: ٣: ٨٧: «ثم دعا للذي خنق على مذهبه».
(٣) سجّى: غطى ثوبه، وضمنه معنى وضع فقال: على وجهه.
(٤) ويقال فيه: «اللصيت» بالتاء. والخبر في ابن هشام: ٤: ١٦٦.

وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له: مُخَشُّ بنُ حُمَير - وقيل: مَخْشِيٌّ - وغيرهما بعضهم لبعض: أتحسبون جِلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضِهم بعضاً، والله لكأنّكم غداً بهم مقرّنين في الجبال، يقولون ذلك إرجافاً[١] وترهيباً للمؤمنين.

فقال مَخْشي: والله لوددت أن أقاضيَ على أن يضرب كلّ رجل منّا مائة جلدة، وأنا ننفلِت أو ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر[٢]: «أدرِك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل لهم: بلى قد قلتم كذا وكذا»، فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. وقال مَخْشي: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. فكان مَخْشِيّ بن حمير ممن عفِي عنه، فتسمى عبد الرحمٰن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة، ولم يوجد له أثر. والله الموفق للصواب.

ذكر خبرِ الثلاثةِ الذين خُلّفوا، وما أنزِل فيهم وفي المعذّرِين من الأعراب

والثلاثة الذين خُلِّفوا لم يتخلّفوا عن شكّ ولا نِفاق، وهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكان من خبرهم ما حدّثنا به الشيخان المعمَّران المسندان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحيّ الحجّار، وست الوزراء أمّ محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجي التَّنوخيّة الدِّمِشْقيّان قراءةً عليهما، وأنا أسمع في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبعمائة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزّيّة، قالا: حدّثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي، قال: حدَّثنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى بن شعيب السِّجْزي قراءةً عليه ونحن نسمع، قال: حدّثنا الشيخ أبو الحسن عبد

---

(١) إرجافاً: تهويلاً.

(٢) عمار بن ياسر: (٥٧ ق هـ - ٣٧ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٧ م) عمار بن ياسر بن عامر الكناني. أبو اليقظان: صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به: هاجر إلى المدينة وشهد بدراً والخندق وبيعة الرضوان. وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام. شهد الجمل وصفين مع علي وقتل في الثانية وعمره ثلاث وتسعون سنة. (الأعلام: ٥: ٣٦).

الرحمٰن بن محمد بن المظفر الداوديّ، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمّويه السَّرَخْسِيّ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفَرَبْرِيّ، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاريّ، قال: حدَّثنا يحيى بن بكير، قال: حدّثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أنّ عبد الله بن كعب بن مالك، ـ وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عَمِيَ ـ قال: سمعتُ كعب بنَ مالك[1] يحدّث حين تخلّف عن قصّة تبوك قال كعب: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلّفت في غزوة بدر، ولَم يعاتبْ أحداً تخلّف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عِير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد؛ ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبّ أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدرَ أذكَرَ في الناس منها.

كان من خبري أني لم أكن قطّ أقوى ولا أيسَر منّي حين تخلّفتُ عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله يريد غزوةً إلاّ ورّى[2] بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سَفَراً بعيداً ومفازاً[3] وعَدوّاً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهّبوا أهبةَ غَزوِهم، فأخبرهم بوجهِه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيّبَ إلاّ ظنّ أنّه سيَخفَى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي الله عزّ وجلّ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظّلال، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فَطَفقت أغدو لكي أتجهّزَ معهم، فأرجع ولم أقضِ شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى شَمَّرَ بالناس بالجِدّ. فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقضِ من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهّز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهّز، ورجعت

---

(١) كعب بن مالك: (.... ـ ٥٠ هـ = ... ـ ٦٧٠ م) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري، السَلَمي الخزرجي: صحابي من أكابر الشعراء. من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي، وشهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان. ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة راجع. (الأعلام: ٥: ٢٢٨).

(٢) ورّى: أوهم.

(٣) المفازة: الأرض التي لا يسكنها إنسان.

فلم أقضِ شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت، ولم أقضِ شيئاً، فلم يزل بي حتّى أسرعوا وتفرّط[١] الغزو، وهممت أن أرتحل فأدرِكهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطفت فيهم أحزنني أنّي لا أرى إلاّ رجلاً مغموصاً[٢] عليه بالنفاق، أو رجلاً ممّن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب»؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُرْداه ونظرُه في عِطفيه[٣]. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمتُ عليه إلاّ خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني هَمّي، وطفِقت أتذكّر الكَذِب وأقول: بماذا أخرج من سَخَطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأيٍ من أهلي، فلما قيل إنّ رسول الله ﷺ قد أظل[٤] قادماً راح عني الباطل، وعرفت أنّي لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذِب، فأجمعت صِدقَه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدِم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم يجلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفِقوا يعتذرون إليه ويحلِفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم، واستغفر لهم، وَوَكَل سرائرَهم إلى الله، فجئته، فلما سلّمت عليه تبسّم تبسّمَ المغضَب، ثم قال: «تعال»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلّفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك»؟ فقلت: بلى واللّهِ، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سَخَطه بعذر، ولقد أُعطِيتُ جدَلاً[٥]، ولكنّي والله لقد علمت لئن حدّثتك اليومَ حديثَ كذِبٍ ترضى به عنّي ليوشِكن اللّهُ أن يُسخطك عليّ، ولئن حدّثتك حديث صدقٍ تجد[٦] عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، لا والله ما كان لي من عذر، واللّهِ ما كنت قطّ أقوى ولا أيسَر منّي حين تخلّفت عنك؛ فقال رسول الله ﷺ: «أمّا هذا فقد صدق، فَقُمْ حتى يقضيَ الله فيك»، فقمت وثار رِجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزتَ ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه

---

(١) تفرط: فات وسبق.

(٢) مغموصاً: مطعوناً عليه في دينه، متهماً بالنفاق. وفي ابن هشام: ٤ : ١٧٦ : «في النفاق».

(٣) عطفيه: كنى هنا عن إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره.

(٤) أظل: قرب وأشرف.

(٥) أعطيت جدلاً: أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلي ولا يرد.

(٦) تجد: تغضب.

المتخلِّفون، قد كان كافِيك ذنبَك استغفارُ رسولِ الله ﷺ، فوالله ما زالوا يؤنّبوني حتى أردت أن أرجع فأكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معِي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مِثل ما قلت، فقيل لهما مِثل ما قيل لك؛ فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة ابن الربيع العَمْري[(١)]، وهلال بن أمية الواقفيّ[(٢)]، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهِدا بدراً فيهما أسوة؛ فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ـ أيها الثلاثةُ ـ من بين من تخلّف عنه، فاجتَنَبَنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكّرتْ في نفسي الأرضُ فما هي بالتي أعرف، فلبِثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأمّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأمّا أنا فكنت أشبَّ القومِ وأجلَدَهم، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلّي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرضَ عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيتُ حتى تسوّرت[(٣)] جِدَارَ حائط أبي قتادة، وهو ابن عمّي، وأحبّ الناسِ إليّ، فسلّمتُ عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشُدُك بالله، هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتولّيتُ حتى تسوّرت الجِدار.

قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطيّ من أنباط أهلِ الشام ممن قدِم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من مَلك غَسّان، فإذا فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحِبك قد جفاك، ولم يجعلْك الله بدارِ هوان ولا مَضْيعة، فالحق بنا نُواسِك». فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمّمتُ[(٤)] بها التنور، فسَجَرْتُه[(٥)] بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن

---

(١) مرارة بن الربيع: مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف. صحابي مشهور، شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. (الإصابة في تمييز الصحابة: رقم الترجمة ٧٨٦٥).

(٢) هلال بن أمية: هلال بن أمية بن عامر بن قيس. الواقفي. شهد بدراً وما بعدها. وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. (الإصابة في تمييز الصحابة: رقم الترجمة ٨٩٧٨).

(٣) تسورت: تسلقت.

(٤) تيممت: توخيت، قصدت.

(٥) سجرته بها: أوقدته بالصحيفة.

تعتزِل امرأتك. فقلْت: أطلّقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربنّها، وأرسل إلى صَاحِبي مثلَ ذلك، فقلت لامرأتي: الْحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أميّة رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أميّة شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدُمَه؟ فقال: «لا، ولكن لا يقربَنّك» قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي مذ كان من أمرِه ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسول الله ﷺ في امرأتك، كما أذِن لامرأة هلال بن أمية أن تخدُمَه، فقلت: والله لا أستأذِن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شابّ! فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبحَ خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحُبَت، سمعت صوت صارخ أوْفَى[(١)] على جبل سلْع[(٢)] بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذَنَ رسول الله ﷺ بتوبةِ الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَلَ[(٣)] صاحبيّ مبشّرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع مِنْ أَسْلم فأوفَى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه، واللّهِ ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقّاني الناس فوجاً فوجاً يهنّئوني بالتوبة، يقولون: لَيهْنِك توبةُ الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحةُ بن عبيد الله يُهرول حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيرُه، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمتُ على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يَبرُق وجهه من السرور: «أبشر بخيرِ يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمّك»؛ قال: قلت: أمِن عندِك يا رسول الله أم من عندِ الله؟ قال: «لا، بل من عندِ الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعةُ قَمَر، وكنّا نعرِف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت:

---

(١) أوفى: أشرف.

(٢) سلع: جبل بالمدينة.

(٣) قبل صاحبي: نحو صاحبي.

يا رسول الله، إن مِن توبتي أن أنخلِع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله؛ قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعضَ مالك فهو خير لك»، قلت: فإني أُمسِك سهميَ الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجّاني بالصدق، وإنّ من توبتي ألا أحدّث إلاّ صِدقاً ما بَقِيت، والله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صِدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ أحسنَ مما أبلاني، ما تعَمّدت منذ ذكرت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي[1]، فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧ـ١١٩].

قال كعب: فواللّهِ ما أنعم الله عليّ مِن نعمةٍ قطّ بعد أن هداني للإسلام أعظَم في نفسي مِن صِدق رسول الله ﷺ ألا أكون كذبتُه فأهلِك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحيَ شرّ ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥ـ ٩٦]

قال كعب: وكنا تخلفنا ـ أيها الثلاثة ـ عن أمر أولئك الذين قبِل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا[2] فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾.

وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا تخلُّفَنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبِل منه.

انتهت غزوة تبوك، فلنذكر ما سواها من السرايا.

ذكر سريّة خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدان بنَجْران

بعثه رسول الله ﷺ إليهم في شهر ربيع الأوّل سنة عشرٍ من مُهاجَرِه، ولم يذكر من خبرِ هذه السرية غير هذا فنذكره.

---

(١) في كلا الأصلين: «بقيت» وما أثبتناه عن ابن هشام.
(٢) عبارة ابن هشام ٤: ١٨١: «حين حلفوا له فعذرهم».

ذكر سرِيّة علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن

يقال: بعثه رسول الله ﷺ مرتين: إحداهما في شهر رمضان سنة عشرٍ من مُهاجَرِه ﷺ، وعقد له لواءً، وعمّمه بيدِه، وقال: «إمضِ لا تلتفِت، فإذا نزلتَ بساحتِهم، فلا تقاتِلهم حتى يقاتِلوك»، فخرج في ثلثمائة فارس، وكانت أوّل خيل دخلت إلى تلك البلاد، وهي بلاد مَذحِج، ففرق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونَعمَ وشاءٍ وغير ذلك، وجعل على الغنائم بُريدة بن الحُصَيب[١] الأسلميّ، فجمع إليه ما أصابوا، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام، فأبَوْا ورموا بالنّبل، ثم حَمل عليهم عليٌّ رضي الله عنه بأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرّقوا وانهزموا، فكفّ عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على مَنْ وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله، وجمع عليّ الغنائم فخمّسها، وقَسّم على أصحابه بقية المغنم، ثم قفل، فوافى رسول الله ﷺ بمكة حين قدِمها للحج سنة عشرٍ. حكاه ابن سعد[٢].

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسولِ الله ﷺ، فوجدها قد حَلّت فقال: مالَكِ يا بنت رسولِ الله[٣]؟ قالت: أمرنا رسولُ الله ﷺ أن نحلّ بعُمرة فحللنا، ثم أتى رسولَ الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: «انطلق فطفْ بالبيت وحلّ كما حلّ أصحابك» قال: يا رسول الله، إني أهللتُ بما أهلَلت[٤]؛ قال: «فارجِع فاحلل كما حلّ أصحابك» قال: يا رسول الله، إنّي قلت حين أحرمت: اللهم إنّي إهِلّ بما أهلّ به نبيّك، وعبدُك ورسولُك محمد، قال: «فهل معك مِن هَدْي»؟ قال: لا؛ فأشركه رسولُ الله ﷺ في هَدْيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهَدْي.

قال: ولما أقبل عليّ من اليمن تعجّل إلى رسول الله، واستخلف على جندِه الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجلُ فكَسا كلّ رجل من القوم حُلة من

---

(١) بريدة بن الحصيب: (. . . ـ ٦٣ هـ = . . . ـ ٦٨٣ م) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة. انتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. (الأعلام: ٢: ٥).

(٢) ٢: ١٢٢ (قسم أول).

(٣) يعني أنه أنكر عليها ما فعلت.

(٤) أهللت: الهل: التلبية.

البزّ[١] الذي كان مع عليّ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجمّلوا إذا قدِموا في الناس؛ قال: انزعها ويلك! قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتزع الحلل من الناس فردّها في البزّ، فاشتكى الناس عليًّا، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: «أيها الناس، لا تشتكوا عليًّا، فوالله إنه لأخشن في ذات الله» أو «في سبيل الله[٢]».

ذكر سريّة أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشَّراة[٣] ناحية البَلْقاء

وهذه السريّة هي آخر سريّة جهّزها رسول الله ﷺ، ومات قبل إنفاذِها، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسولِ الله ﷺ، وكان فيها أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجرّاح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقَتادة بن النعمان، وسَلْم بن أسلم بن حَريش، فتكلم قوم وقالوا: نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عِصابة وعليه قطيفة[٤]، فصعد المِنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فما مقالةٌ بلغتْني عن بعضكم في تأمِيري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإنّ ابنه من بعدِه لخليق للإمارة وإن كان لَمِن أحبِّ الناس إليّ، وإنهما لمخِيلان لكلّ خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم»، ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأوّل، وخرج الناس إلى الجُرْف، فتوفي رسول الله ﷺ قبل خروج هذه السريّة، فلما وُلّي أبو بكر الصّديق رضي الله عنه. كان أوّل ما بدأ به بعث أُسامة.

هذا ما أمكن إيراده من غَزَواتِ رسولِ الله ﷺ وسراياه. فلنذكر حجّه وعُمَره ﷺ.

ذكر حجّ رسول الله ﷺ وعُمَرِه

قالوا: حج رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة حجّتين، ولم يحجّ بعد الهِجرة إلاّ حجّة الوداع، وهي في السنة العاشرة، وكانت فريضة الحجّ نزلت في السنة السادسة من الهجرة، وفتحت مكّة في سنة ثمان، فاستخلف رسول الله ﷺ عتّابَ بنَ أَسِيد، فحجّ بالناس تلك السنة، وفي السنة التاسعة حج أبو بكر الصّديق رضوان الله عليه

(١) حلة من البز: نوع من الثياب.
(٢) في ابن هشام: ٤: ٢٥٠: «في سبيل الله من أن يشتكي».
(٣) الشراة: شراة الشام، وهي أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم. (معجم البلدان).
(٤) قطيفة: دثار.

بالناس، كما قدّمنا ذِكر ذلك في مواضعه، فلما كان في السنة العاشرة أذّن في الناس أنّ رسول الله ﷺ حاجّ، فقدم المدينة بَشَرٌ كثير كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ، ويعمَل مِثل عمله، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة مغتسِلاً مدّهناً مترجّلاً متجرّداً في ثوبين صُحارِيّين[١]: إزارٌ[٢] ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ بَقين من ذي القعدة سنة عشرٍ من مهاجره، واستعملَ على المدينة أبا دُجانة الساعديّ ـ ويقال: سِباع بن عُرفُطة الغِفاريّ ـ قالوا: وصلى الظهر بذِي الحُليفة ركعتين، وأخرج معه نساءه كلّهن في الهوادج، وأشعر[٣] هديه وقلّده، ثم ركب ناقته، فلما استوى عليها بالبيداء أحرم من يومه، وكان على هديه ناجية بن جُندب، وقيل: إنه أهلّ بالحج مفرداً، وقيل: قَرنَه بعُمرة، ومضى ﷺ يسير المنازل ويؤمّ أصحابَه في الصلاة في مساجدَ له قد بناها الناس، فكان يوم الاثنين بمَرِّ الظَّهْران، فغربت له الشمس بسَرِف، ثم أصبح فاغتسل ودخل مكة نهاراً وهو على راحلته القَصْواء، وكان تحته ﷺ رحْل رثّ عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال: «اللهم اجعله حجًا لا رِيَاءَ[٤] فيه ولا سُمْعة»، فدخل من أعلى مكة من كَداء حتى انتهى إلى باب بني شَيبة، فلما رأى البيت رفع يديه فقال: «اللهم زِد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزِدْ مَن شرَّفَه وعظَّمه ممّن حجّه واعتمره تشريفاً وتكريماً ومهابة وتعظيماً وبِرًّا»؛ ثم بدأ فطاف بالبيت، ورَمَل[٥] ثلاثةَ أشواط من الحِجر إلى الحِجر، وهو مضطبع[٦] بردائه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فَوْرِه ذلك، وكان قد اضطرب بالأبطح، فرجع إلى منزله، فلما كان قبل يوم التروية[٧] بيوم خطب بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم التروية إلى مِنًى، فبات بها، ثم غدا إلى عرفاتٍ، فوقف بالهضاب منها وقال: «كلُّ عرفةٍ [موقفٌ إلاّ بطن عُرَنَة][٨]»، فوقف على راحلته يدعو، فلما غربت الشمس دفع فجعل يسير العَنَق[٩] حتى جاء المزدلِفَة، فنزل قريباً من الغارِ، فصلى المغرب

---

(١) ثوب صحاري: نسبة إلى قرية في اليمن اسمها: «صحار».
(٢) إزار: ملحفة.
(٣) أشعر هديه: الهدي: الأضحيات، وأشعرها: جعل لها علامة مميزة.
(٤) رياء: خداع.
(٥) رمل: هرول.
(٦) اضطبع بالرداء: أدخله تحت إبطه الأيمن، ورد طرفه على يساره وأبدى منكبه الأيمن وغطى الأيسر.
(٧) التروية: يوم قبل يوم عرفة. الثامن من ذي الحجة راجع (اللسان: روي).
(٨) الزيادة عن ابن سعد: ٢: ١٢٥.
(٩) العَنَق: ضرب من السير.

والعَشاء، بأذان وإقامتين، ثم بات بها، فلما برق الفجر صلّى الصبح، ثم ركب راحلته، فوقف على قُزَح[١] وقال: «كلّ المزدلِفة موقِفٌ إلاّ بطن محسّر»[٢]، ثم دفع قبل طلوع الشمس، فلما بلغ إلى محسر أوضع[٣]، ولم يزل يلبّي حتى رَمى جَمرة العَقَبة، ثم نحر الهَدْي وحَلَق رأسه، وأخذ من شارِبه وعارِضَيه، وقلم أظفاره، وأمر بشَعره وأظفاره أن تُدفن، ثم أصاب الطِّيبَ، ولبس القميص، ونادى مناديه بمنًى؛ إنها أيّام أكلٍ وشرب وباءة[٤]، وجعل يرمي الجِمار في كل يوم عند زوال الشمس، ثم خطب الغد من يوم النّحْر بعد الظهر على ناقته القَصْواء، ثم صَدَر يومَ الصّدَر الآخر، وقال: «إنما هنّ ثلاث يقيّمهنّ المهاجر بعد الصَّدَر»، يعني بمكة، ثم ودّع البيت، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر الخُطْبة التي خطبها رسولُ الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: خطب رسول الله ﷺ خطبته التي بيّن فيها ما بيّن فحمِد الله وأَثنَى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اِسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تَلْقَوا ربَّكم كَحُرمَة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقَون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغتُ، فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، وإنّ كلّ رِباً موضوع، وإن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون، قضى الله أنه لا رِبا، وأن رِبا العبّاس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كلّ دم في الجاهليّة موضوع، وأنّ أوّل دمائكم أَضَعُ دَمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ـ وكان مسترضَعاً في بني ليث، فقتلتْه هُذَيل ـ فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية».

«أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضيَ به، ممّا تَحقِرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم».

«أيها الناس، إن النَّسِيءَ[٥] زيادةٌ في الكفر يُضَلّ به الّذين كفروا يُحِلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً لِيواطئوا عِدة ما حرم الله فيُحِلّوا ما حَرّم الله ويحرّموا ما أحلّ الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يومَ خَلَقَ الله السموات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا

(١) قزح: جبل بالمزدلفة.
(٢) بطن محسّر: وادٍ بالمزدلفة.
(٣) أوضع: من الوضع (محركة) وهو أهون سير الدواب.
(٤) الباءة: الاعتراف (اللسان ـ بوأ).
(٥) النَّسِيء: شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية (اللسان: نسأ).

عشَرَ شَهْراً منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثةٌ متوالية، ورجب مُضَر الّذي بين جُمادَى وشعبان».

«أما بعد أيّها الناس، فإن لكم على نسائكم حقًّا، ولهنّ عليكم حقًا، عليهنّ أن لا يوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه، وعليهنّ ألاّ يأتين بفاحشةٍ مبيِّنة، فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غيرَ مبرِّح، فإن انتهين فلهُنّ رزقُهنّ وكِسوتُهنّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنّهنّ عندكم عَوان، لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجَهنّ بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإنّي قد بلّغتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً، أمراً بيّناً: كتاب الله وسنّة نبيّه».

«أيّها الناس، اسمعوا قولي، واعقلوه، تعلّمن أن كلّ مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرىء من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيب نفس، فلا تظلِمُنّ أنفسكم، اللهم هل بلّغتُ»، فقال الناس: اللهم نعم، فقال: «اللّهم اشهد».

وقال ابن إسحاق أيضاً: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعةُ بنُ أميّة بن خلف. قال: يقول له رسول الله ﷺ: «قل يا أيّها الناس إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيُّ شهر هذا؟ فيقوله لهم، فيقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَلْقَوْا ربَّكم كحرمة شهرِكم هذا». ثم يقول: «قل يا أيّها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أيُّ بلد هذا»؟ قال: فيصرخ به، قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدِكم هذا»، ثم يقول: «قل يا أيّها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول هل تدرون أيَّ يوم هذا»؟ فيقولون: يوم الحجّ الأكبر؛ قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربَّكم كحرمة يومِكم هذا».

وعن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتّاب بن أَسِيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقةِ رسول الله ﷺ، وإنّ لُغامَها[1] ليقع على رأسي، فسمعته وهو يقول: «أيها الناس؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حقّ حقّه، وإنه لا تجوز وصيّة لوارث، والولد للفِراش، وللعاهِر الحَجَر، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غيرَ مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناسِ أجمعين، لا يقبل الله منه صَرفاً ولا عَدلاً».

(١) لغم الجمل: رمى بلغامه، أي بزبده.

وأمّا عُمَرُه ﷺ

فقد رَوَى عِكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: اعتمر النبيّ ﷺ أربع عُمر: عُمرة الحديبية، وهي عُمرة الحصر، وعُمرة القضاء مِن قابِل، وعُمرة الجِعرانة، والرابعة التي مع حجّته.

وعن قتادة، قلت لأنس بن مالك: كم اعتمر النبيّ ﷺ؟ قال: أربعاً عَدّ منها عُمرته مع حجّته، وقد قدّمنا ذكر عُمرةِ الحديبية مع الغزوات، وذَكَرْنَا عمرةَ الجِعِرانة عند ذكرنا لقسم مغانم حُنين وعُمرته مع حجّته قد اختلف فيها.

وأمّا عُمرة القضاء

فقد أوردها بعض أهل السِّيَر في الغزوات وترجَم عليها: «عُمرة القضيّة» وحُجّة من أوردها في الغزوات أنه ﷺ خرج معه السلاح، ولم يخرج به ﷺ لقصد الغزاة، وإنما خرج به احتياطاً. وكان من خبر هذه العمرةَ أن رسول الله ﷺ لما استهل هلال ذي القعدة سنة سبع من مُهاجَرِه أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها بالحديبية، وألا يتخلف أحد ممن شهِد الحديبية، فلم يتخلف منها إلا من مات أو قتِل بخيبر، وخرج مع رسول الله ﷺ قوم من المسلمين عُمّاراً ممن لم يشهد الحديبية، فكانوا في عُمرة القضيّة ألفين، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا ذَر الغِفاريّ، حكاه ابن سعد - وقال ابن إسحاق: عويف بن الأضبط الدِّيليْ - وساق ﷺ ستّين بَدَنَة، وجعل على هَدْيه ناجيةَ بنَ جُنْدَب الأسلميّ.

قال ابن سعد: وحمل رسول الله ﷺ السلاحَ والبيض والدُّروع والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحُلَيفة، قدّم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة، وقدم السلاح، واستعمل عليه بشير بن سعد، وأحرم ﷺ من باب المسجد، ولبّى والمسلمون معه يلبون. ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مَرِّ الظَّهْران فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه، فقال: هذا رسول الله ﷺ يُصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله، فأتوا قريشاً بالخبر، ففزعوا، ونزل رسول الله ﷺ بمرّ الظهران، وقدّم السلاح إلى بطن يأجُج حيث [ينظر][1] إلى أنصاب[2] الحَرَم، وخلّف عليه أوسَ بن خَوَليّ الأنصاري في مائتي رجل، وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال، فقدّم رسولُ الله ﷺ الهَدْيَ أمامه، فحُبس بذي طُوًى، وخرج على راحلته القصواء والمسلمون متوشّحون السيوفَ، محدِقون به ﷺ يلبّون، فدخل على الثنيّة التي تطلِعه على الحَجُون، وعبد

---

(١) التكملة عن الزرقاني: ٢: ٣٠٥ وابن كثير: ٤: ٢٣١.

(٢) الأنصاب: الأصنام.

الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يقول: [من الرجز]

خلوا بني الكفّار عن سَبيلِه ... خلّوا فكلّ الخير في رسولِه

يا ربِّ إنّي مؤمنٌ بِقيلِه ... أَعرفُ حقّ الله في قبولِهِ[1]

نحن قتلناكمْ على تأويلِهِ ... كما قتلناكمْ على تنزيلِهِ

ضرباً يزيل الهام عن مقيلِه ... ويُذهل الخليلَ على خَليلِهِ[2]

قال ابن هشام: قوله: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمّار بن ياسِر في غير هذا اليوم.

قال ابن سعد: ولما ارتجز ابنُ رَواحة قال له عمر بن الخطّاب: إيهاً[3] يا بن رَواحة! فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، إني أسمع»؛ فأسكتَ عمر، وقال رسول الله ﷺ: إيهاً يا بن رواحة!، قل لا إلٰه إلا الله وحده، نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده»، فقالها ابنُ رواحة. ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمِحْجَنه مُضْطّبعاً بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم، ثم طاف بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهَدْيُ عند المروة قال: «هذا المَنْحر[4]، وكلّ فِجَاج مكّة مَنحَر»، فنحر عند المروة، وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون، وأمر رسول الله ﷺ ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضوا نُسكَهم؛ ففعلوا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، وتزوج ميمونةَ بنت الحارث الهلاليّة، فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سُهَيل بن عمرو وحُوَيطب بنُ عبد العزّى فقالا: قد انقضى أجلُك، فاخرج عنّا، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل وقال: لا يُمسِينّ بها أحد من المسلمين، وأخرج عَمارةَ بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل سَرِف وتتامَّ الناسُ إليه، وأقام أبو رافع بمكّة حتى أمسَى، فحمل إليه ميمونةَ فبَنَى[5] عليها ﷺ بسَرِف، ثم أَدْلَجَ[6] فسار حتى قدم المدينة صلّى الله عليه وسلّمَ تسليماً كثيراً.

كمل الجزء السابع عشر من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويريّ رحمه الله. ويليه الجزء الثامن عشر وأولّه: (وفادات العرب على رسول الله ﷺ).

---

(١) قيله: دعواه.

(٢) الخليل: الحبيب.

(٣) إيهاً: كلمة استزادة واستنطاق.

(٤) المنحر: المكان الذي تنحر عنده الأضحيات.

(٥) بنى عليها: تزوجها.

(٦) أدلج: سار ليلاً.

فهرس المحتويات